WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

أبحاث في علوم القرآن

القراءات القرآنية - المصحف ورسمه
إعجاز القرآن ووجوهه

الدكتور
غانم قدوري الحمد

دار عمار

www.quranonlinelibrary.com

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م

رقم الاجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر ٢٣٤٨/٩/٢٠٠٥

دار عمار للنشر والتوزيع

عمان. ساحة الجامع الحسيني. سوق البتراء. عمارة الحجيري

ت/فاكس ٤٦٥٢٤٢٧ . ص.ب ٩٢١٦٩١ عمان ١١١٩٢ الأردن

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

أبحاث في علوم القرآن

القراءات القرآنية - المصحف ورسمه - إعجاز القرآن ووجوهه

الدكتور غانم قدوري الحمد

دار عمار

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

الحمدُ للهِ، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، أَمَّا بعدُ:

فإنَّ اشتغالي بتدريس مادة (علوم القرآن) قد لَفَتَ نظري إلى عدد من الموضوعات التي لا يزال فيها مجال للبحث والمناقشة، والتي لم يستوعبها كتابي «محاضرات في علوم القرآن»[1]، فكتبتُ عدة أبحاث حولها، نُشِرَت في مجالات متعددة، وجَمَعْتُ تلك الأبحاث في هذا الكتاب، رغبة في إظهارها وتيسير الاطلاع عليها، على نحو ما فعلتُ في كتابي «أبحاث في علم التجويد»[2]، وكتابي الآخر «أبحاث في العربية الفصحى»[3].

وجاء هذا الكتاب في ثلاثة فصول، ضمَّ الفصل الأول ثلاثة أبحاث تتعلق بعلم القراءات القرآنية، وضمَّ الفصل الثاني أربعة أبحاث تتعلق بالمصحف الشريف ورسمه وطباعته، وضمَّ الفصل الثالث ثلاثة أبحاث في إعجاز القرآن الكريم.

ووجدتُ أنَّ عدداً من أبحاثي الأخرى حول القراءات القرآنية ذات طابع لغوي، وهي تعالج ظواهر لغوية في القراءات القرآنية عامة، وفي رواية حفص عن عاصم خاصة، فلم أُدْرِجْهَا في هذا الكتاب، وخَصَّصتُ لها رسالة أُخرى، ستصدر - إن شاء الله تعالى - بعنوان «ظواهر لغوية في القراءات القرآنية».

---

(١) طبع في بغداد سنة ١٩٨١م، وفي عمان سنة ٢٠٠٣م.

(٢) طبع بدار عمار سنة ٢٠٠٢م.

(٣) تحت الطبع بدار عمار في عمان.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وهذه الأبحاث ثمرة ربع قرن من الدراسة والتدريس والبحث والتأليف، أسأل الله تعالى أن يجعلها من العمل الصالح والعلم النافع، وأن يتقبل ما فيها من صواب، ويعفوَ عما فيها من خطأ وتقصير، آمين.

تكريت ٢٥-١٢-٢٠٠٤م

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

الفصل الأول
أبحاث في القراءات القرآنية

(١)
أَصْلُ القراءاتِ القرآنيةِ
بينَ حقائقِ التاريخِ ودَعَاوَى المُبْطِلِينَ[١]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ، والصلاةُ والسلامُ على رسول اللهِ، وبَعْدُ:

فإنَّ (القراءات القرآنية) عِلْمٌ من علوم القرآن، صَرَفَ إليها العلماء كثيراً من عنايتهم وجهدهم من لدن عصر الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - إلى عصرنا هذا، روايةً وتعليماً وتأليفاً. وموضوع (القراءات) شديد الصلة بنص القرآن الكريم، لأنه يُعْنَى بكيفية أداء كلمات ذلك النص. وقد صار كثير من مباحث هذا العلم أقربَ إلى البحث التاريخي بعد أن سادت في معظم بلدان العالم الإسلامي قراءةٌ واحدةٌ من القراءات القديمة المشهورة، وهي قراءة عاصم بن أبي النَّجُود الكوفيِّ المتوفى سنة ١٢٧هـ، وزالت القراءات الأخرى من ميادين التلاوة العامة إلى ميادينِ البحثِ والدراسة والرواية في معاهد القراءات

(١) منشور في مجلة الحكمة، العدد العشرون، شوال ١٤٢٠هـ، ص١٣٣-١٥٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

ودور العلم.

وقد بَرَزَتْ دعاوى باطلةٌ تَمَسُّ أَصْلَ القراءات القرآنية وطريقة روايتها ونقلها، وهي ذات أثر خطير لا سيما على المثقفين ذوي التخصصات العلمية البعيدة عن علوم القرآن وتاريخه. وبعض تلك الدعاوى ورد في كتابات شعوبية قديمة، وبعضها سَطَّرَتْهُ أقلامٌ استشراقية حديثة، وكلها تلتقي عند هدف واحد، هو تشويه تاريخ القرآن الكريم عن طريق التشكيك في سبل صيانته، وما يتبع ذلك من الطعن في حُفَّاظه الذين أفنوا أعمارهم في تعلُّم قراءة القرآن وروايتها وتعليمها، وهم خيار هذه الأمة على الإطلاق.

وسوف أقتصر في حديثي - هنا - على بيان حقيقة تلك الدعاوى المتصلة بأصل القراءات القرآنية، وعسى أن تسنح فرصة أخرى أتمكن فيها من تفصيل القول في طريقة نقل القراءات وروايتها، إذ إني أجد - الآن - أنَّ بحث موضوع أصل القراءات أكثر أهمية من غيره، لأن الأمر قد تفاقم في هذا الجانب، حتى صرنا نرى مطبوعات يتداولها الناس عامة وفيها من الطعن بالقرآن وتاريخه ما يأسف له كل باحث منصف.

ولقد بلغ الأمر ببعض مَنْ تصدى للبحث في تاريخ القراءات حَدَّ إنكارِ أيِّ صلة للقراءات بالنبي ﷺ أو صحابته، وادَّعى أنها (ترجع إلى خصوصية الخط العربي الذي كُتِبَتْ به المصاحف الأُولى، الذي كان خالياً من علامات الحركات ومن نقاط الإعجام)، أو أنها (اجتهاد من القراء أنفسهم)، وهذه الدعاوى أبعد ما تكون عن حقائق التاريخ الثابتة.

وسأتناول الموضوع من خلال أربعة مباحث:

الأول: تمهيد في التعريف بموضوع القراءات على نحو موجز.

الثاني: مناقشة القول بأن أصل القراءات راجع إلى طبيعة الخط الذي كُتِبَتْ به المصاحف الأولى.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

الثالث: مناقشة القول بأن القراءات اجتهاد من القراء.

الرابع: خاتمة في توضيح أصول قراءتنا التي نقرأ بها الآن.

www.quranonlinelibrary.com

المبحث الأول

تمهيد في التعريف بموضوع القراءات على نحو موجز

علم القراءات علمٌ يُعْنى بكيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم، وتحقيق الروايات المنقولة في ذلك عن أئمة القراءة، ولا شك في أن أَوَّلية هذا العلم مرتبطة بنزول القرآن على رسول الله ﷺ وبدء تبليغه وتلاوته على الناس من حوله، ثم عناية المؤمنين به ومداومتهم على تلاوته.

وكان من بين العدد الكبير من المؤمنين حُفَّاظٌ للقرآن، قد تعلَّموا القراءة من الرسول ﷺ، وانطلق هؤلاء الحفَّاظ بتعليم القرآن في عصر النبوة وبعده، وكان من أشهر حفَّاظ القرآن ومعلِّميه من الصحابة جماعة منهم بعد الخلفاء الأربعة: معاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وسالم مولى أبي حذيفة، وأُبيّ بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وأبو الدرداء، وغيرهم[1].

وكان في قراءة الصحابة للقرآن تباين في نُطقِ بعض كلمات القرآن، يرجع إلى ما رَخَّص لهم به رسول الله ﷺ وأقرَّهم عليه، في ظروف تتلخص في أن العرب كانوا قبائل متباينة في نُطقها، ولو أن كل فريق من هؤلاء أُمر أن يزول عن لغته لاشتدَّ ذلك عليه وعَظُمَتِ المحنة فيه، فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل متسعاً في اللغات ومتصرفاً في الحركات، فأمرَ رسولَه بأن يُقْرِئَ كلَّ قومٍ بلغتهم وما جرت عليه عادتهم، كما يقول ابن قتيبة[2].

---

(١) ينظر: علم الدين السخاوي: جمال القراء ٢/ ٤٢٤.

(٢) تأويل مشكل القرآن ص٣٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وأخذ التابعون قراءة القرآنِ من علماء الصحابة بالقراءة، وحملوا عنهم قراءاتهم، وتكوَّنت في المراكز الإسلامية الخمسة الأُولى، أعني: مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والبصرة، والكوفة، ودمشق، حلقات علمية حول مَن كان فيها أو نَزلَها من علماء الصحابة رضي الله عنهم، واشتهرت عشرات الأسماء من العلماء بالقراءة في عصر التابعين، في تلك الأمصار وما حولها، وقال أبو عبيد القاسم بن سلاَّم (ت٢٢٤هـ) في كتابه الكبير في القراءات: «ثم قام مِن بعدهم بالقرآن قومٌ ليست لهم أسنان مَن ذكرنا ولا قُدْمَتُهُمْ، غير أنهم تجرَّدُوا للقراءة واشتدت بها عنايتهم ولها طَلَبُهم، حتى صاروا بذلك أئمة يأخذها الناس عنهم ويقتدون بهم فيها، وهم خمسة عشر رجلاً من هذه الأمصار المسماة...»[1].

ومضى المسلمون يقتدون بقراءة أولئك العلماء الذين اشتهروا بالقراءة في عهد التابعين وتابعي التابعين، الذين ذكر أبو عبيد أنهم خمسة عشر رجلاً، وربما انضاف إليهم غيرهم. واعتنى العلماء بقراءاتهم وألَّفوا فيها الكتب، التي كان من أشهرها كتاب أبي عبيد الذي ذكرناه قبل قليل، حتى جاء ابن مجاهد (أبو بكر أحمد بن موسى ٢٤٥- ٣٢٤هـ) الذي رأى أن كثرة القراءات مما يصعبُ على الناس عامةً الإحاطةُ به، فدرس تلك القراءات، ومَيَّزَ بين المشهورة منها وغير المشهورة، وألَّفَ من أجل ذلك كتابين لهذا الغرض، كان لهما أبعد الأثر في توجيه الاهتمام والتأليف في القراءات وجهة معينة، فألف كتابه الكبير «السبعة في القراءات» وجعله في القراءات الصحيحة المشهورة، وألَّف كتاب «شواذ القراءات» للقراءات الأخرى التي لم تبلغ من الشهرة والصحة ما بلغته القراءات السبع[2].

قال ابن مجاهد في مقدمة كتابه «السبعة في القراءات»: «والقراءة التي عليها الناس بالمدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام هي القراءة التي تَلَقَّوْهَا عن أَوَّلِيهم تلقياً، وقام بها في كل مصر من الأمصار رجل ممن أخذ عن التابعين، أجمعت

---

(١) نقلاً عن جمال القراء (٢/٤٢٨) لعلم الدين السخاوي، لأن الكتاب مفقود.

(٢) ينظر: ابن جني: المحتسب ١/ ٣٤-٣٥، وابن النديم: الفهرست ص٣٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

الخاصة والعامة على قراءته، وسلكوا فيها طريقه، وتمسكوا بمذهبه»[1]. ثم ذكر القراء السبعة الذين أورد قراءاتهم في كتابه، وهم ممن ذكرهم أبو عبيد من قَبْلُ ضمن الخمسة عشر رجلاً الذين تصدروا للقراءة في الأمصار الخمسة بعد عصر التابعين، وهم، مرتبين حسب تاريخ وفياتهم:

١- عبد الله بن عامر اليحصبي (ت١١٨هـ) قارىء أهل الشام.

٢- عبد الله بن كثير (ت١٢٠هـ) قارىء أهل مكة.

٣- عاصم بن أبي النجود (ت١٢٧هـ) قارىء أهل الكوفة.

٤- أبو عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ) قارىء أهل البصرة.

٥- حمزة بن حبيب الزيات (ت١٥٦هـ) من قراء الكوفة أيضاً.

٦- نافع بن عبد الرحمن (ت١٦٩هـ) قارىء أهل المدينة.

٧- علي بن حمزة الكسائي (ت١٨٩هـ) نشأ في الكوفة، ثم انتقل إلى بغداد، فكان يُقرِىءُ فيها.

وقال ابن مجاهد بعد أن فصَّل أحوال هؤلاء القراء: «فهؤلاء سبعة نفر من أهل الحجاز والعراق والشام، خلفوا في القراءة التابعين، وأجمعت العوام من أهل كل مصر من هذه الأمصار التي سَمَّيْتُ وغيرها من البلدان التي تقرب من هذه الأمصار»[2].

وساعد على تثبيت وانتشار عمل ابن مجاهد عاملان: الأول: حاجة الناس إلى تقييد القراءات وتمييز أصحها حتى يُقتدى به، والثاني: سَعةُ علمه في القراءات، قال ابن النديم عنه أنه «آخر مَن انتهت إليه الرياسة بمدينة السلام في عصره...

---

(١) كتاب السبعة ص٤٩.

(٢) المصدر نفسه ص٨٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وكان واحد عصر غير مدافع»[1]. وقيل عنه بأنه (أولُ مَن سَبَّعَ السبعةَ)[2]. وإذا ما سمعنا اليوم من يذكر القراءات السبع، أو القراء السبعة فأعلم أنهم هؤلاء الذين ذكرهم ابن مجاهد.

وهناك تفصيلات كثيرة تتعلق بتاريخ القراءات وأصولها تكفلت ببيانها الكتب المطولة المؤلفة في علوم القرآن عامة والقراءات خاصة، وما ذكرته كاف - إن شاء الله - في تعريف القارىء على نحو موجز بتاريخ هذا العلم[3].

---

(١) الفهرست ص٣٤.

(٢) ابن الجزري: غاية النهاية ١/ ١٣٩.

(٣) ولمن لم يطلع من قبل على وجوه القراءات أُقَدِّمُ هذا المثال، وهو في ما اختلف فيه القراء السبعة في سورة الفاتحة:

١- قرأ عاصم والكسائي (مَالِكِ) والباقون من السبعة (مَلِكِ).

٢- قرأ نافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر والكسائي (الصراط)، وابن كثير في بعض الروايات عنه (السراط)، وحمزة بين الصاد والزاي.

٣- قرأ حمزة (عَلَيْهُم) بضم الهاء، والباقون بكسرها.

٤- قرأ ابن كثير في الوصل (عليهِمُو)، والباقون بإسكان الميم من غير واو.

(ينظر: ابن مجاهد: كتاب السبعة ص١٠٤، والداني: التيسير ص١٨).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المبحث الثاني

مناقشة دَعْوَى أَنَّ أصل القراءات راجع إلى طبيعة الخط

من المعلوم لدى الكافة أن الله تعالى لم ينزِّل القرآن على رسول الله ﷺ مكتوباً في قراطيس، وإنما أنزله وحياً على قلبه، فكان يحفظه في ساعة التلقي، ثم يأمر كُتَّاب الوحي بكتابة ما أُنزل عليه[١]، وتوفي رسول الله ﷺ «ولم يكن ٱلقرآن جُمِعَ في شيء، وإنما كان في الكرانيف والعُسُبِ»[٢]، وهي القطع التي كان يُكْتَبُ فيها آنذاك. وقد قام الصحابة بجمعه في صحف منظمة في خلافة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -[٣] ونسخوا منها في خلافة عثمان - رضي الله عنه - عدداً من المصاحف، أُرسلت إلى الأمصار الإسلامية، لكي يعتمد عليها المسلمون في كتابة القرآن[٤].

وكانت الكتابة العربية في ذلك الزمان خالية من نقاط الإعجام التي تُمَيِّزُ بين الحروف المتشابهة في الصورة، ومن علامات الحركات وما شاكلها[٥]، وقد كُتِبَ القرآن في المصاحف بتلك الكتابة الخالية من كل علامة حتى قام أبو الأسود الدؤلي (ت٦٩هـ) وتلامذته، والخليل بن أحمد (ت١٧٠هـ) من بعدهم، بوضع

---

(١) أبو شامة: المرشد الوجيز ص٣٣.

(٢) الطبري: جامع البيان ١/ ٢٨، والسيوطي: الإتقان ١/ ١٦٤.

(٣) البخاري: الجامع الصحيح ٦/ ٨٩ و٢٢٥ و٩/ ٩٢، وابن النديم: الفهرست ص٢٧، والزركشي: البرهان ١/ ٢٣٣.

(٤) البخاري: الجامع الصحيح ٦/ ٢٢٦، وابن النديم: الفهرست ص٢٧-٢٨.

(٥) الداني: المحكم ص١٧٦، وسهيلة الجبوري: أصل الخط العربي ص١٤٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

العلامات وإعجام الحروف[1]، على نحو ما نستخدمه في كتابتنا اليوم.

وقد خطر ببال مَنْ قلَّت معرفته بتاريخ القرآن وقراءته، أو ساءت نيته، أَنَّ القراءات ناتجةٌ عن جهل القراء في معرفة وجه القراءة الصحيح حين قرأوا في تلك المصاحف ذات الكتابة المجردة، عندما رأى أن بعض القراءات يختلف في الحركات، وبعضها يختلف في إعجام الحروف. ولم يكن هذا القول مأخوذاً به عند العلماء السالفين إلا حمزة الأصفهاني، فإنه يظهر من بعض كلامه أنه يميل إلى الأخذ به، ولكن المستشرقين تَلَقَّفُوا الفكرة وٱعتمدوها في تفسير اختلاف القراءات، حتى ٱنطلى الأمر على عدد من الباحثين المحدثين من العرب، فنقلوا الفكرة وردَّدُوها في كلامهم.

☆ ☆ ☆

أما حمزة بن الحسن الأصفهاني (ت٣٦٠هـ) فإنه أَلَّف كتاب (التنبيه على حدوث التصحيف) وذكر في مقدمته أخباراً عمَّن صحَّف في القرآن، أي قرأ في المصحف فأخطأ في القراءة، لأنه لم يتعلم القرآن مشافهة عن العلماء بالقراءة[2]، وما ذكره في هذا الموضع لا يتضمن أيَّ طعن في أصل القراءات، بل إنه ليقدِّم الدليل على أن العلماء ميَّزوا بين ما هو قراءة مأثورة، وما هو تصحيف ناتج عن جهل القارئ بما يقرأ.

ولم ينته الأمر لدى حمزة الأصفهاني عند هذا الحد، فقد عاد في الباب الرابع من كتابه ليتحدث عن القراءات مرة أخرى، وجعل عنوانه: (الباب الرابع: في ذكر اختلافات من القرآن، احتمل هجاؤها لفظين، فمن أجل أنه قُرِئَ بهما صارتا قراءتين»[3]. فذكر واحداً وثلاثين موضعاً من القرآن أورد لكل منها

---

(١) ينظر في تفاصيل ذلك: كتاب المحكم في نقط المصاحف للداني، وكتاب: رسم المصحف، الفصل الخامس.

(٢) التنبيه ص٣٦-٤١ (طبع بغداد)، وص٤-٦ (طبع دمشق).

(٣) التنبيه ص٢٢٩ وص١٥٤ على التوالي السابق.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

قراءتين، بعضها غير معروف في القراءات الصحيحة ولا الشاذة، ولا يتسع المقام لتفصيلها، ثم أردف ذلك بقوله في آخر الباب: «فأما ما أُصيب في هجائه ولم يُصَبْ في معناه فهو...» فذكر ثمانية مواضع قُرِئَت على نحو يخالف الصواب مما يدخل في دائرة التصحيف[1].

وطريقة معالجة حمزة الأصفهاني لموضوع القراءات في كتابه تبعث على الريبة في مقصده، لاسيما في الباب الرابع، الذي تقدَّمته أبواب تَحدَّثَ فيها عن تصحيفات العلماء وما وقع في رواية الشعر من التصحيف، وتبعته أبواب تحدَّث فيها عن التصحيف في النثر والشعر عمداً لا سهواً. وإن أقرب ما يقع في نفس قارئ الكتاب أَنَّ ما ورد في الباب الرابع هو من جنس ما ورد في الأبواب التي تقدَّمته وتبعته.

والأصل أن يُحمل الكلام على أحسن الوجوه ما أمكن، ولكن التواء عبارة حمزة الأصفهاني، وما فيه من تعصب ظاهر على العرب والعربية[2]، يحمل على الشك في سلامة مقصده، ومَنْ يقرأ ما ذكره عن القراءات في الكتاب يخرج بنتيجة مؤدَّاها أَنَّ من القراءات ما نتج عن الخط، لاسيما إذا كان القارئ غيرَ مُلِمٍّ بتاريخ القراءات على نحو يدفع عنه هذه الشبهة.

---

(١) التنبيه ص٢٣٥/ ص١٥٨.

(٢) كان حمزة الأصفهاني شعوبياً، وقد ذكر له ابن النديم كتاب الشعوبية (الفهرست ص١٥٤)، وقال عنه القفطي في إنباه الرواة (١/ ١٣٥): «وكان يُنسب إلى الشعوبية، وأنه يتعصب على الأمة العربية»، وذكر أنه ألَّف كتاب (الموازنة بين العربي والعجمي) لعضد الدولة البويهي، قال الزركلي عنه (الأعلام ٢/ ٢٧٧): «تعصب فيه للفارسية».

ويبدو أن شعوبيته كانت مشهورة لدى المتقدمين، فقد قال أبو منصور الثعالبي في كتابه (فقه اللغة ص٢٢٦) وهو يعلِّق على ادعاء حمزة أن كلمة معينة من المعرَّب: «وإنما تقوَّل هذا التعريب وأمثاله تكثيراً لسواد المعرَّبات من لغات الفرس، وتعصباً لهم». ولعل شعوبيته هي التي تفسِّر لنا تحامله على الكتابة العربية وأنها ضعيفة الأساس، وموضوعة على غير حكمة.

(ينظر: التنبيه ص٧٢ و٧٤ و٨١ من طبعة بغداد)، ولذلك تفصيل ليس هذا موضعه.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

أما المستشرقون فإن كبيرهم في هذه القضية إجانتس جولدتسيهر المستشرق اليهودي المجري الأصل المتوفى سنة ١٩٢١م[١]، فقد صرَّح بتلك الدعوى الباطلة في كتابه (مذاهب التفسير الإسلامي) وعرض عدداً من الأمثلة التي حاول أن يستدلَّ بها على صحة مذهبه، وذلك حيث قال: «وترجع نشأة قسم كبير من هذه الاختلافات (يعني القراءات) إلى خصوصية الخط العربي، الذي يقدِّم هيكله المرسوم مقادير صوتية مختلفة، تبعاً لاختلاف النقاط الموضوعة فوق هذا الهيكل أو تحته، وعدد تلك النقاط. بل كذلك في حالة تساوي المقادير الصوتية، يدعو اختلاف الحركات الذي لا يوجد في الكتابة العربية الأصلية ما يحدده، إلى اختلاف مواقع الإعراب للكلمة، وبهذا إلى اختلاف دلالتها. وإذن فاختلاف هيكل الرسم بالنقط، واختلاف الحركات في المحصول الموحَّد للقالب من الحروف الصامتة، كانا هما السبب الأول في نشأة حركة اختلاف القراءات في نصٍّ لم يكن منقوطاً أصلاً، أو لم تُتَحَرَّ الدقة في نقطه أو تحريكه، ولبيان هاتين الحقيقتين قد تكفي بعض أمثلة فحسب»[٢].

وذكر ستة أمثلة لاختلاف القراءات الناشئة عن خلو المصاحف من النقط، وثلاثة أمثلة تتعلق بالحركات[٣].

وتابع جولدتسيهر عددٌ من المستشرقين منهم بروكلمان الذي قال: «فتحت الكتابة، التي لم تكن قد وصلت بعد إلى درجة الكمال، مجالاً لبعض الاختلاف في القراءة»[٤]. ومنهم برتزل الذي قال: إن الرسم القديم «هو الذي أدَّى إلى اختلاف طائفة من القُرَّاء، لأن الكلمة المكتوبة بالرسم القديم ربما احتملت قراءتين أو أكثر»[٥]. ومنهم أيضاً آرثر جفري الذي قال: «وكانت هذه المصاحف

---

(١) ينظر عنه: الزركلي: الأعلام ١/ ٨٤.

(٢) مذاهب التفسير الإسلامي ص٨-٩.

(٣) المصدر نفسه ص٩-١٤.

(٤) تاريخ الأدب العربي ١/ ١٤٠.

(٥) مقدمة تحقيق كتاب التيسير للداني ص: ي.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

(يعني ما كتب في خلافة عثمان) كلها خالية من النقط والشكل، فكان على القارئ نفسه أن ينقط ويشكل هذا النص على مقتضى معاني الآيات. . .»[1]، وهو أكثرُ أصحابهِ غُلوّاً في هذا الأمر حين جعل قراءة القرآن شبيهة بقراءة النصوص الكتابية القديمة التي يختلف في قراءتها المكتشفون والآثاريون.

وقد انزلق إلى نقل تلك الدعوى الباطلة عدد من الباحثين العرب المحدثين[2]، تقليداً للمستشرقين وغفلة عن وجه الحق المبين، وإذا كان للمستشرقين عذرهم، وللشعوبيين حقدهم، الذي حملهم على سلوك تلك الطريق، فما عذر مَن تربَّى في البيئة العربية وعرف المصادر والكتب؟ اللهم إلا التقليد الأعمى الذي يشغل صاحبه عن طلب الدليل.

☆ ☆ ☆

إنَّ وجود قراءات قرآنية تختلف في الحركات أو نقاط الإعجام أمر معروف نصَّت عليه كتب القراءات ورواه القراء وقرأوا به، والقضية الأساسية هنا هي في تحديد مصدر ذلك الاختلاف، وقبل أن نمضي في بيان السبب الحقيقي لوجود تلك القراءات نذكر أمثلة منها، من كلا النوعين:

١- ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ١٥٦﴾ [آل عمران]، قُرِئَ (يعملون) بالياء[3].

٢- ﴿قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ ٢١٩﴾ [البقرة]، قُرِئَ (كثير) بالثاء[4].

---

(١) مقدمة تحقيق كتاب المصاحف لزيد بن أبي داود ص٧.

(٢) منهم الدكتور جواد علي في مقالته (لهجة القرآن الكريم) المنشورة في مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الثالث، الجزء الثاني ١٩٥٥ (تنظر ص٢٨٩)، ومنهم الدكتور عبد الله خورشيد في كتابه: القرآن وعلومه في مصر (ص٩١)، ومنهم الدكتور صلاح الدين المنجد في كتابه: دراسات في تاريخ الخط العربي (ص٤٢)، ومنهم أبو القاسم الخوئي في كتابه: البيان في تفسير القرآن (ص١٧٩).

(٣) ابن مجاهد: كتاب السبعة ص٢١٧، والداني: التيسير ص٩١.

(٤) المصدران السابقان ص١٨٢، وص٨٠ على التوالي.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

٣- ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس]، قُرِئَ (يَعْزِب) بكسر الزاي[١].

٤- ﴿إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴿١٥٤﴾﴾ [آل عمران]، قُرِئَ (كُلُّه) برفع اللام[٢].

هذه القراءات تَحْمل أمرين: الأول: أن تكون ناتجة عن طبيعة الخط المجرد الذي كُتبت به المصاحف الأولى، أي أن القارئ لم يَدْرِ كيف يقرأُ فاجتهد وقرأ بما أدَّاه إليه اجتهاده، والثاني: أن تكون تلك القراءات مروية عن الصحابة الذين أخذوا ٱلقرآن عن النبي ﷺ، ثم نقلها القراء عنهم بعد ذلك.

أما الاحتمال الأول فليس عليه دليل معقول أو منقول، وهو مجرد احتمالٍ ظنيٍّ يفتقر إلى ما يؤيده، يُشْبِهُ عندَ القائلين به اختلاف العلماء في قراءة النصوص القديمة المنقوشة على الحجر أو المرقومة على الطين، وشتان ما بين الأمرين، وقد ينفع في تصور الفرق بين القراءات القرآنية والاختلاف في قراءة النصوص القديمة ذِكْرُ مثال لاختلاف العلماء في قراءة نصٍّ مكتوب على الحجر ويرجعُ تاريخه إلى الحقبة التي كُتِبَت فيها المصاحف في خلافة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - وهو يُعْرَف بنقش القاهرة، الذي اكتشفه الأستاذ حسن محمد الهواري سنة ١٩٢٩م، من بين عدد كبير من قطع الحجر والرخام المكتوبة بالخط الكوفي، والمحفوظة في دار الآثار العربية في القاهرة، وهي مجلوبة من أقدم المقابر الإسلامية في القاهرة وأسوان، وهو مؤرخ بسنة إحدى وثلاثين هجرية. وإليك صورته:

---

(١) السابقان ص٣٢٨، وص١٢٢.

(٢) السابقان ص٢١٧، وص٩١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

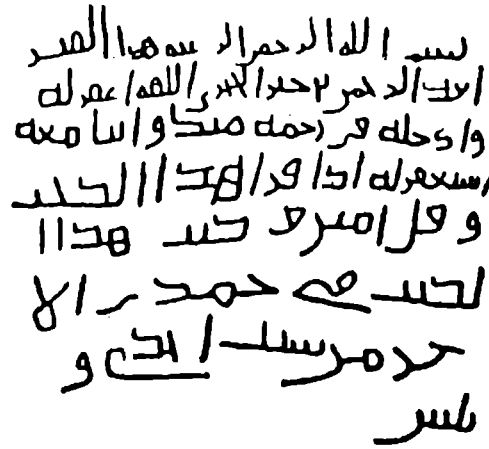

نقش القاهرة - ٣١هـ

وقد اختلف الباحثون في قراءة عدد من كلمات النص على النحو الآتي[١]:

١- بسم الله الرحمٰن الرحيم هذا القبر

٢- لعبد الرحمن بن خير (أو جبر) الحَجْري (أو الحجازي)

٣- وأدخله في رحمة منك وإننا (أو: آتنا، إيانا) معه

٤- استغفر له إذا قرأ هذا الكٰتب (أي: الكتاب)

٥- وقل آمين وكتب هذا ا

٦- لكٰتب (أي: الكتاب) في جمدىٰ الآ

٧- خر من سنت (أي: سنة) إحدىٰ و

٨- ثلثين (أي: ثلاثين)

إننا ونحن نتابع قراءة هذا النص نجد أنفسنا أمام اختلافات حقيقية في نطق عدد من الكلمات، وهي ناتجة من اجتماع أمرين: الأول: خلو الكتابة من النقاط

(١) ينظر: إسرائيل ولفنسون: تاريخ اللغات السامية ص٢٠٢، وخليل يحيى نامي: أصل الخط العربي ص٩١، وإبراهيم جمعة: دراسة في تطور الكتابات الكوفية ص١٣٠، وسهيلة الجبوري: أصل الخط العربي ص١٠٩، وبحثي: موازنة بين رسم المصحف والنقوش العربية القديمة ص٣٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

والحركات، والثاني: انقطاع الصلة بين كاتب النص وقُرَّائه، فقد مضى أكثر من ألف وثلاث مئة سنة والنص مطمور في إحدى المقابر، وفجأة اكتشفه الباحثون، وهم لا يعرفون عن كاتبه شيئاً، ولم يسمعوا نطقه للكلمات التي سطَّرها، ولم يبق أمامهم من وسيلة إلا التأمل في صور الحروف وسياق الكلام لإكمال ما في الكتابة من نقص في تحديد النطق الصحيح الكامل للكلمات المرسومة، ومن ثَمَّ اختلفوا في قراءة عدد من كلماته.

إن ما ذهب إليه جولدتسيهر ومَنْ تابعه يصلح لتفسير اختلاف العلماء في قراءة نقش القاهرة وغيره من النصوص القديمة، ولكنه لا يصلح أبداً لتفسير وجود القراءات القرآنية، وذلك لعدم انقطاع الصلة بين مَنْ يقرأ القرآن وبين مصدره - أعني المبلِّغ عن ربه النبي ﷺ - فإذا كانت المصاحف مكتوبة بالخط المجرد من النقاط والحركات فإنها لم تكن الأساس الأول في تَعَلُّم القراءة، فقد كان هناك جهدٌ شفويٌّ لحفظ القرآن وتعليمه، وقد أبْعَدَ ذلك الجهدُ الشفهيُّ في التلقي والتعليم للقراءة أَيَّ احتمال لصحة نظرية جولدتسيهر في تفسير اختلاف القراءات القرآنية.

ويمكن تقديم عددٍ من الأدلة التاريخية التي تنفي أن تكون القراءات ناتجة عن حيرة القراء في نطق الكلمات المرسومة في المصاحف، منها:

١- كانت القراءات القرآنية موجودة ومعروفة في زمن النبي ﷺ قبل أن تُكْتَبَ المصاحف. وكان المسلمون في ذلك الوقت يعتمدون على المشافهة والحفظ في قراءة القرآن، أكثر من اعتمادهم على كتابة القرآن في الصحف، ونحن لا نريد أن ننفي هنا كتابة القرآن في عصر النبوة، وإنما نشير إلى أن ما كُتِبَ من القرآن في الصحف في ذلك العهد لم يكن بمعزل عن المشافهة في القراءة والتعليم. وقد قال العلاَّمة ابن الجزري كلمة جامعة في ذلك، وهي: إن «الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور، لا على حفظ المصاحف والكتب»[1].

(١) النشر ١/ ٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

ومن أوضح الأدلة على وجود القراءات في زمنه ﷺ قبل وجود المصاحف ما نقله الطبري في تفسيره من أنه «قرأ على رسول الله ﷺ من كل خمسٍ رجلٌ، فاختلفوا في اللغة، فرضيَ قراءتهم كلهم»[1].

وقوله (في اللغة) يعني: في النُّطْقِ. وأوضح من ذلك ما ورد في كتب الحديث من الروايات المتواترة حول تنازع الصحابة في قراءة بعض ألفاظ الذِّكْر الحكيم ولجوئهم إليه ﷺ وقوله لهم: «إن هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف، فٱقرأوا ما تيسر منه»، أو «فاقرأوا كما عُلِّمْتم»[2].

٢- لو كان الرسم هو السبب في نشأة القراءات، لما وجدنا قراءات مخالفة للرسم أو خارجة عليه، فمثال القراءات المخالفة للخط قراءة مَنْ قرأ في الفاتحة (السراط) بالسين، وهي مرسومة بالصاد، فمثل هذه القراءة لا يمكن أن تكون ناتجة عن الخط قطعاً، وهناك من الأمثلة على ذلك ما يطول ذكره.

٣- لو كان الرسم هو السبب في نشأة القراءات لوجب قبولُ كل قراءة احتملها خط المصحف، فما دامت القراءات هي اجتهاد القراء في قراءة المرسوم فإنه لا فضلَ للواحدة منها على غيرها. ونجد ها هنا البيان الواضح لخطأ مَنْ ذهب ذلك المذهب في تفسير القراءات، وذلك من خلال قصة حماد الراوية (ت١٥٥هـ)[3]، الذي كان مشغولاً برواية الشعر عن تعلم قراءة القرآن، فلما أراد أن يحفظ القرآن قرأه في المصحف، قال أبو أحمد العسكري: «روى الكوفيون أن حمَّاداً الراويةَ كان حفظ القرآن من المصحف، فكان يصحِّفُ نيِّفاً وثلاثين حرفاً»[4].

---

(١) جامع البيان ١/ ١٩، وينظر: أبو شامة: المرشد الوجيز ص١٣٠.

(٢) البخاري: الجامع الصحيح ٦/ ٢٢٧، والطبري: جامع البيان ١/ ١١-٢٠، وأبو شامة: المرشد الوجيز ص٧٧-٨٩.

(٣) ينظر عنه: الزركلي: الأعلام ٢/ ٢٧١.

(٤) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص١٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وقد تناقلت كتب التصحيف وغيرها أمثلة مما صحَّفه حمادٌ الراويةُ على سبيل التمثيل والتحذير من الوقوع فيما وقع فيه. ومما ذكرْتُه[1]:

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴿٦٨﴾﴾ [النحل]، صَحَّفها إلى: النخل، بالخاء.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾﴾ [ص]، صحَّفها إلى: غزَة، بالراء.

﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس] صَحَّفَها إلى: يعنيه، بالعين.

إن موقف العلماء مما صحَّفَه حماد الراوية في قراءته للقرآن، يدلك إلى أن القراءات الصحيحة التي اشتهر بها القراء السبعة ليست ناشئة عن الخط، وإلا لكان حمادٌ أحد القراء المشهورين، بدل أن يكون مثالاً لسوء التدبير وتَنكُّبِ سواء السبيل في تعلم القرآن مشافهة من العلماء بالقراءة.

وتُعَبِّرُ عن هذه القضية كلها كلمةٌ قالها الناسُ في الزمن الأول، وهي: «لا تأخذوا القرآن من مُصْحَفِيّ، ولا العلم عن صَحَفِيٍّ»[2]، فالمصحفي هو «مَن لم يقرأ القرآن على القراء ويتعلم من ألفاظهم»[3] وإنما اعتمد على القراءة في المصحف فقط، وقال الخليل: الصَّحفي هو الذي يروي الخطأ عن قراءة الصُّحف بأشباه الحروف[4]. وكل ذلك تجنباً للوقوع في الخطأ عند قراءة القرآن.

٤- وكان الصحابة - رضي الله عنهم - حريصين على تعليم الناس القراءة مشافهة، وعدم الاكتفاء بالمصاحف، ومن أوضح الأدلة على ذلك أن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - حين نُسِخَت المصاحف في خلافته أرسل مع كل

---

(١) ينظر: حمزة الأصفهاني: التنبيه ص٣٨ (ط بغداد)، والعسكري: تصحيفات المحدثين ص٣٣.

(٢) العسكري: شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص١٣، وتصحيفات المحدثين (له) ص٤، والعطار: التمهيد ص٢٤٦.

(٣) العطار: التمهيد ص٢٤٧.

(٤) العين ٣/ ١٢٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

مصحف بعث به إلى الأمصار قارئاً يعلِّم الناس القراءة في المصحف، فبعث عبد الله بن السائب مع المصحف المكيِّ، والمغيرة بن شهاب مع الشاميِّ، وأبا عبد الرحمن السُّلَميَّ مع الكوفي، وعامر بن عبد قيس مع البصريِّ، وأمر زيد بن ثابت أن يُقْرِئَ في المصحف المدني[1]. وما ذلك إلا لضبط القراءة وترك الاعتماد على المصاحف فقط.

وخلاصة القول هي أَن اختلاف القراءات في الحركات ونقاط الإعجام حقيقة ثابتة لا ينكرها أحد، لكن الذي لم يثبت قط هو القول إن هذه القراءات نشأت عن طبيعة الخط المجرد، وإنما أصل كل القراءات الثابتة هو الرواية والنقل عن الصحابة الذين أخذوا القرآن عن النبي ﷺ وتعلموا القراءة منه.

(١) المارغني: دليل الحيران ص١٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المبحث الثالث

مناقشة دعوى أن القراءات اجتهاد من القراء

ذهب بعض مَن كتب مِنَ المحدثين في القراءات إلى «أَنَّ القراءات تستند إلى اجتهاد القراء وآرائهم»[1]. وهذه الدعوى أبعدُ مدىً وأشدُّ خطراً من سابقتها، ويترتب عليها التشكيك في أصل ما نقرأ من القرآن، إذ ليس من السهولة الفصل بين القرآن وقراءته، وهي تفتح باب التصرف في القراءة ما دام الأمر اجتهاداً في أساسه، وهي إلى جانب ذلك تنال من أمانة القراء من الصحابة ومَن جاء بعدهم، لأنهم تركوا ما تعلَّمُوه من النبي ﷺ وقرأوا باجتهادهم!

وهذه الدعوى على الرغم مما تنطوي عليه من قضايا كبيرة ومخاطر جسيمة لا تستند إلى دليل، بل إن حقائق التاريخ وحال القراء وأقوالهم ناطقة بأن القراءة سُنّة لا مجال فيها للرأي والاجتهاد. ولم أعثر على قول أو رواية تؤيد تلك الدعوى، اللهم إلا ما نسبه الكليني إلى أبي جعفر - عليه السلام - أنه قال: «إنَّ القرآن واحدٌ نزلَ من عند واحدٍ، ولكن الاختلاف يجيءُ من قِبَلِ الرواة»[2]. وهذه الرواية ليست ذات دلالة بيِّنة على أن القراءات اجتهاد من القراء، أو أنها مبنية على ما تهديهم إليه عقولهم. ويكفي في رَدِّ تلك المقولة وبيان زيفها أن نذكر الحقائق التاريخية الآتية:

١- كانت عناية رسول الله محمد ﷺ بتعليم القرآن لأصحابه عظيمة، فكان

---

(١) أبو القاسم الخوئي: البيان في تفسير القرآن ١/ ١٦٣ وأيضاً: ١/ ١٧٧ و١٧٨.

(٢) الكليني: الأصول من الكافي ٢/ ٦٣٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

يقرأه على أصحابه[١]، وإذا دخل رجل في الإسلام أمره بقراءة القرآن قبل كل شيء، وكان يقول لأصحابه: «فَقِّهُوا أخاكم في دينه، وأقرئوه وعلموه القرآن»[٢]. وكان المنهج التعليمي الذي رسمه لتعلم القرآن فيه من الحرص على ضبط القراءة ما لا يخفى على أحد، فقد قال أبو عبد الرحمن السُّلميُّ، وهو الذي بعثه عثمان بن عفان مع مصحف أهل الكوفة: «حدثنا الذين كانوا يقرئوننا، عثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب - رضي الله عنهم - أن رسول الله ﷺ كان يُقرئهم عشرَ آيات، فلا يجاوزونها إلى عشر أخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً»[٣]. وكان يأمرهم بالتمسك بما تعلَّمُوه من قراءة القرآن الكريم بقوله: «اقرأوا كما عُلِّمتُم»[٤].

وحين كَثُر المسلمون في عهده ﷺ وانتشر الإسلام في أنحاء الجزيرة أرسل من الصحابة مَن كان معروفاً بضبط القراءة وحفظ القرآن لتعليم الناس القراءة، فبعث مصعب بن عمير إلى المدينة بعد بيعة العقبة، وقبل هجرته ﷺ «وأمرهُ أن يُقرئهم القرآنَ، ويعلمهم الإسلام، ويفقههم في الدين، فكان يُسمَّى المقرئَ في المدينة مصعبٌ»[٥].

وسار الخلفاء الراشدون من بعده على سُنَّتِه، فقد أرسل عمر بن الخطاب عبد الله بن مسعود إلى الكوفة، وأبا موسى الأشعري إلى البصرة لتعليم أهلها القرآن والفقه[٦]. وأرسل معاذ بن جبل وأبا الدرداء وعبادة بن الصامت إلى الشام لتعليم

---

(١) ابن حجر: فتح الباري ٢/ ٥٥٦.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ١٣٥٤.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ١٧٢، والطبري: جامع البيان ١/ ٣٦، وابن مجاهد: كتاب السبعة ص٦٩، والحاكم: المستدرك ١/ ٥٥٧.

(٤) الطبري: جامع البيان ١/ ١٢، والآجري: أخلاق حملة القرآن ص٩٢.

(٥) ابن هشام: السيرة النبوية ١/ ٤٣٤، وابن حجر: فتح الباري ٨/ ٦٩٩.

(٦) ابن مجاهد: كتاب السبعة ص٦٦، وأبو شامة: المرشد الوجيز ص١٤٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

الناس هناك قراءة القرآن[1]، ويظهر ذلك الحرص على تحري الدقة في القراءة باختيار الصحابة المشهورين بضبطها لتعليم الناس، ولم يلجأ الخلفاء إلى إرسال المصاحف بدلاً من القراء، ثم تَرْكِ الناس يقرأون باجتهادهم، وحين أُرسلت المصاحف في خلافة عثمان بن عفان بعث مع كل مصحف قارئاً مشهوراً حتى لا تنقطع سلسلةُ التلقي والمشافهة بين مَن يقرأ في تلك المصاحف وبين رسول الله ﷺ.

٢- ردَّد الصحابة والتابعون قولاً يعبِّرُ عن تمسكهم بما تعلَّمُوه من قراءة القرآن، وهو قولهم: «القراءةُ سُنَّةٌ»، رُويَ ذلك عن زيد بن ثابت كاتب الوحي للرسول ﷺ وعن غيره، ونقل ابن مجاهد عن محمد بن المنكدر أنه قال: قراءةُ القرآنِ سُنَّةٌ يأخذها الآخِرُ عن الأوَّلِ، وأن عامراً الشعبيَّ قال: القراءة سُنَّة فاقرأوا كما قرأ أوَّلوكم، وأن عروة بن الزبير قال: قراءةُ القرآنِ سُنَّةٌ من السنن، فاقرأوا كما عُلِّمتموه»[2].

وقد تردد صدى تلك المقولة عبر العصور، فهذا سيبويه يقول في الكتاب: «إلاّ أنَّ القراءةَ لا تُخالَفُ، لأنَّ القراءة سُنَّة»[3]، وقال الزجاج: «لأن السنة تُتَّبَعُ في القرآن، ولا يُلْتَفَتُ فيه إلى غير الرواية الصحيحة التي قرأ بها المشهورون بالضبط والثقة»[4].

وقال أبو علي النحوي: «وليس كل ما جاز في قياس العربية تَسوغُ التلاوةُ به، حتى ينضم إلى ذلك الأثر المستفيض بقراءة السلف له وأخذهم به، لأنَّ القراءة سُنَّة»[5].

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢/٣٥٦.

(٢) كتاب السبعة ص٥٠-٥٢.

(٣) الكتاب ١/١٤٨.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١/٧.

(٥) الحجة ١/٢٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وهذه الأقوال شديدة الوضوح في دلالتها على أن القراءات لا مجال فيها للاجتهاد والرأي.

وإذا أردت دليلاً أكثر وضوحاً على ما نقول فإليك ما قاله أبو عمرو بن العلاء وهو عالم العربية المشهور وأحد القراء السبعة الأعلام، سأله تلميذه أبو زيد الأنصاري فقال: «قلتُ لأبي عمرو: أَكلُّ ما أخذته وقرأتَ به سمعته، قال: لو لم أسْمَعْهُ لم أقرأ به، لأنّ القراءة سُنّة»[1]. وقال تلميذه الآخرُ الأصمعيُّ: «سمعتُ أبا عمرو بن العلاء، يقول: لولا أنه ليس لي أن أقرأ إلا بما قد قُرِئَ به لقرأتُ حرفَ كذا وحرفَ كذا: كذا»[2]. ولم يكن أبو عمرو متفرداً بهذا الموقف، بل يشاركه فيه جميع القراء المشهورون، وقد قال مكي بن أبي طالب: «والقراءاتُ الثابتةُ كلُّها من السُّنَّة التي لا مَدْفَعَ فيها لأحدٍ»[3].

٣- ومما يُبَيِّنُ أيضاً خَطَأَ القولِ بأنَّ القراءات اجتهاد من القراء ما تعرَّضت له قراءة ٱبن محيصن، وعيسى بن عمر، وابن مِقْسَمٍ العطار، حين أرادوا القراءة على ما تقتضيه قواعد اللغة من غير التفات إلى الرواية والنقل عن أئمة القراءة من الإنكار والإهمال والاندثار.

أما ٱبن محيصن (وهو محمد بن عبد الرحمن بن محيصن المتوفى سنة ١٢٣هـ) فإنه كان أحد قراء مكة في زمانه، وكان نحوياً، وقال ابن مجاهد: «كان لابن محيصن اختيار في القراءة على مذهب العربية، فخرج به عن إجماع أهل بلده فرغب الناس عن قراءته، وأجمعوا على قراءة ابن كثيرٍ لاتِّباعه»[4].

وأما عيسى بن عمر البصري (ت١٤٩هـ) فإنه «كان عالماً بالنحو، غير أنه كان

---

(١) مكي: التبصرة ص٢٣٥.

(٢) ابن مجاهد: كتاب السبعة ص٤٨، والذهبي: معرفة القراء ١/ ٨٥.

(٣) التبصرة ص٢٣٠.

(٤) كتاب السبعة ص٦٥، وعلم الدين السخاوي: جمال القراء ٢/ ٤٤٨، وابن الجزري: غاية النهاية ٢/ ١٦٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

له اختيارٌ في القراءة على مذاهب العربية، يفارق قراءة العامة، ويستنكرها الناس، وكان الغالب عليه حبُّ النصب ما وجد إليه سبيلاً... والذي صار إليه أهل البصرة فاتخذوه إماماً أبو عمرو بن العلاء»[1].

وأما ابن مقسم العطار (وهو محمد بن الحسن البغدادي ت٣٥٤هـ) فإنه كان «من أحفظ الناس لنحو الكوفيين وأعرفهم بالقراءات، وله في التفسير ومعاني القرآن كتاب جليل سماه كتاب الأنوار، وله أيضاً في القراءات وعلوم النحو تصانيف عدة»[2]. ولكنه على جلالة قدره وسعة علمه «عمد إلى حروفٍ من القرآن فخالف الإجماع وقرأها وأقرأها على وجوهٍ ذكر أنها تجوزُ في اللغة العربية، وشاع ذلك عنه عند أهل العلم، فأنكروه عليه، وارتفع الأمر إلى السلطان، فأحضره واستتابه بحضرة القراء والفقهاء فأذعن بالتوبة وكُتِبَ محضرٌ بتوبته، وأَثْبَتَ مَنْ حضر ذلك المجلسَ خطوطَهُمْ فيه بالشهادة عليه»[3].

وقد صارت قصة ابن مقسم حديث العلماء والمؤرخين منذ وقته حتى عصرنا، وذلك لأن الإجماع حاصل على أن القراءات لا مجال للاجتهاد فيها ولا رأي ولا قياس على مذاهب العربية[4]، ومن ثَمَّ لا نستغرب شدة النكير الذي تعرض له، من مثل قول معاصره عبد الواحد بن عمر البغدادي المشهور بأبي طاهر بن أبي هاشم (ت٣٤٩هـ) فيه وفي ما ذهب إليه: «وقد نبغ نابغ في عصرنا هذا فزعم أن كل ما صَحَّ عنده وجه في العربية لحرف من القرآن يوافق خط المصحف فقراءته جائزة في الصلاة وغيرها، فابتدع بقِيلِه ذلك بدعةً ضَلَّ بها قصدَ السبيل، وأورط نفسه في مَزَلَّةٍ عَظُمَتْ بها جنايَتُهُ على الإسلام وأهله، وحاول إلحاق كتاب الله من الباطل ما لا يأتيه من بين يديه ولا من خلفه، إذ جعل لأهل الإلحاد في دين

---

(١) علم الدين السخاوي: جمال القراء ١/ ٤٣٠، وابن الجزري: غاية النهاية ١/ ٦١٣.

(٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٢/ ٢٠٦.

(٣) المصدر نفسه ٢/ ٢٠٦-٢٠٧.

(٤) ينظر: ابن الأنباري: نزهة الألباء ص٢١٦، الذهبي: معرفة القراء ١/ ٢٤٨، وابن الجزري: غاية النهاية ٢/ ١٢٤، والسيوطي: بغية الوعاة ١/ ٨٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

الله بسَيِّىءِ رأيه طريقاً إلى مغالطة أهل الحق بتخير القراءات من جهة البحث والاستخراج بالآراء دون الاعتصام والتمسك بالأثر. . .»[1].

وفي قصص هؤلاء الثلاثة الحجةُ الواضحةُ والدليلُ البيِّنُ على بطلان دعوى مَن ادَّعى أن القراءات اجتهاد من القراء أنفسهم، وكان أبو عمرو الداني الأندلسي (ت٤٤٤هـ) صاحب المؤلفات الكثيرة في القراءات وعلوم القرآن قد قال كلمة موجزة معبرة عن موقف القراء من هذه القضية وهي قوله: «وأئمةُ القراءة لا تَعْمَلُ في شيءٍ من حروف القرآن على الأفْشى في اللغة والأَقْيَس في العربية، بل على الأثْبَتِ في الأثر والأصحِّ في النقل، والروايةُ إذا ثبتتْ لا يَرُدُّها قياسُ عربيةٍ ولا فُشُوُّ لغة، لأن القراءة سُنَّةٌ متبعة يلزم قبولها والمصير إليها»[2].

(١) نقلاً عن: تاريخ بغداد للخطيب ٢/٢٠٧.

(٢) جامع البيان ورقة ١٧١و، ونقله السيوطي: الإتقان ١/٢١١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المبحث الرابع

خاتمة في توضيح أصول قراءتنا التي نقرأ بها الآن

ولا أُريد أن أضع القلم جانباً حتى أقف بالقارئ على أُصول القراءة التي نقرأ بها القرآن في عصرنا، ليطمئن إلى أنها ليست ناشئة عن جهل القارئ بما هو مكتوب في المصحف، ولا هي اجتهاد منه في حمل الكلام على ما هو أنسب وأليق بالمعاني، وإنما هي منقولة عن أكابر أصحاب رسول الله ﷺ من العلماء بالقرآن وقراءته، وكذلك شأن القراءات المشهورة الأخرى.

إن قراءة القرآن في زماننا هي قراءة عاصم بن أبي النجود الكوفي المتوفى سنة ١٢٧هـ، وكان متقدماً أدرك عدداً من أصحاب رسول الله ﷺ فهو من التابعين[١]، وكانت قراءته مشهورة ذائعة، قال مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ): «وهو من جِلَّةِ التابعين فقراءَتُهُ مختارةٌ عند مَن رأيتُ من الشيوخ، مقدَّمةٌ على غيرها، لفصاحة عاصم ولصحة سَنَدِها وثقةِ ناقلها»[٢]. ويظهر من قول أبي حيان الأندلسي (ت٧٥٤هـ) عن قراءته: «وهي القراءةُ التي ينشأ عليها أهل العراق»[٣]، أنها كانت قد انتشرت وسادت منذ قرون طويلة في بلدان العالم الإسلامي، حتى صارت في زماننا من أكثر القراءات انتشاراً، ولا تنافسها سوى قراءة نافع في بلدان المغرب الإسلامي.

وقد ذَكَرَ مكيٌّ أَنَّ من بين عوامل سيادتها فصاحة عاصم، وهو أمر تؤيده

---

(١) علم الدين السخاوي: جمال القراء ٢/ ٤٦٥، والذهبي: معرفة القراء ١/ ٧٣.

(٢) التبصرة ص٢١٩.

(٣) البحر المحيط ١/ ١١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المصادر التاريخية، فقد قال ابن مجاهد: «وكان عاصمٌ متقدماً في زمانه، مشهوراً بالفصاحة، معروفاً بالإتقان»[١]. ونقل الذهبي عن تلميذه أبي بكر بن عياش قوله: «كان عاصم نحوياً فصيحاً»[٢]. وقال ابن الجزري عنه إنه «جمع بين الفصاحة والإتقان والتحرير والتجويد، وكان أحسن الناس صوتاً بالقرآن»[٣].

وكان عاصمٌ محدِّثاً أيضاً، فقد روى عن ثلاثة من أصحاب رسول الله ﷺ وبلغ من عُلُوِّ منزلته أن روى عنه جماعة من أجلاء التابعين[٤]، وكان ثقة عند علماء الحديث، وحديثه مخرَّجٌ في كتب الحديث الستة المشهورة[٥]، وقال عنه الإمام أحمد بن حنبل: «رجلٌ صالحٌ خيِّرٌ ثقةٌ»[٦].

أما أساتذة عاصم في القراءة فكان أشهرهم اثنين[٧] من علماء القراءة الذين كانوا في الكوفة، وهما عبد الله بن حبيب المشهور بأبي عبد الرحمن السُّلَمي، وزِرُّ بن حُبَيْش أبو مريم الأَسدي الكوفي، قال أبو بكر بن عيَّاش، تلميذ عاصم: «قال لي عاصم: ما أقرأني أحدٌ حرفاً إلا أبو عبد الرحمن السُّلَمي، وكان أبو عبد الرحمن قد قرأ على عليّ - رضي الله تعالى عنه - وكنتُ أرجع من عند أبي عبد الرحمن، فأعرضُ على زِرِّ بن حُبَيْشٍ، وكان زرٌّ قد قرأ على عبد الله»[٨]. يعني ابن مسعود - رضي الله عنه -.

أما أبو عبد الرحمن السلمي فإنه الذي جاء من المدينة مع المصحف الذي أرسله عثمان بن عفان - رضي الله عنه - إلى الكوفة، وعلى نحو ما سبق ذكره،

---

(١) كتاب السبعة ص٧٠.

(٢) معرفة القراء ١/ ٧٥.

(٣) غاية النهاية ١/ ٤٣٧.

(٤) علم الدين السخاوي: جمار القراء ٢/ ٤٦٥.

(٥) وهي: صحيح البخاري، ومسلم، وسنن الترمذي، وأبي داود، والنسائي، وابن ماجة.

(٦)

(٧) ذكر ابن الجزري (١/ ٤٣٧) أن عاصماً أخذ القراءة أيضاً عن أبي عمرو الشيباني.

(٨) ابن مجاهد: كتاب السبعة ص٧٠، وابن الجزري: غاية النهاية ١/ ٤٣٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وكان قد أخذ القراءة عن عثمان وعلي بن أبي طالب وزيد بن ثابت وغيرهم من أصحاب رسول الله ﷺ ممن اشتهر بالقراءة[١]. وحين اجتمع بأمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - في الكوفة جَدَّدَ القراءة على يديه، وكان يقول: «قرأت على أمير المؤمنين عليٍّ - رضي الله تعالى عنه - القرآنَ كثيراً، وأمسكتُ عليه المصحف فقرأ عليَّ، وأقرأتُ الحسنَ والحسين رضي الله تعالى عنهما، حتى قرأ عَلَيَّ القرآن»[٢]. وظل أبو عبد الرحمن يُقْرِئُ الناس في المسجد الأعظم بالكوفة أربعين سنة، فلما مات أبو عبد الرحمن سنة ٧٣هـ خَلَفَه في موضعه عاصم[٣].

وأما زِرُّ بن حُبَيْش فقد قال عنه عاصم: «ما رأيتُ أقرأَ من زِرٍّ، وكان عبدالله بن مسعود يسأله عن العربية، يعني اللغة»[٤]. وكان زرٌّ قد قرأ القرآن على عدد من علماء الصحابة بالقراءة، لكنه كان أكثر ملازمة لعبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - من غيره، في المدة التي كان فيها عبد الله في الكوفة، قال عاصم: «كان زرٌّ كثيرَ الصحبة لعبد الله بن مسعود»[٥].

ولا يشك عاقل في أن الصحابة الذين قرأ عليهم شيوخ عاصم القرآن قد تعلموا القرآن من رسول الله ﷺ وكذلك شأن القراء الآخرين المشهورين ومرجع قراءاتهم، وعلماء القراءة ينصون على ذلك نصاً[٦]. وبذلك التلخيص تبطل كل شبهة تتصل بأصل القراءات القرآنية، فلا هي ناشئةٌ من طبيعة الخط، ولا هي اجتهاد من القراء، وإنما مصدرها الأول والأخير النقل عن الصحابة عن رسول الله ﷺ.

---

(١) ابن مجاهد: كتاب السبعة ص٦٩، وابن الجرزي: غاية النهاية ١/ ٤١٣.

(٢) ابن مجاهد: كتاب السبعة ص٦٩.

(٣) المصدر نفسه ص٦٨ و٦٩، وابن الجزري: غاية النهاية ١/ ٤١٣.

(٤) علم الدين السخاوي: جمال القراء ٢/ ٤٦٣، وابن الجزري: غاية النهاية ١/ ٢٩٤.

(٥) ابن مجاهد: كتاب السبعة ٦٦-٦٧، وعلم الدين السخاوي: جمال القراء ٢/ ٤٦٣.

(٦) ينظر: مكي: التبصرة ص٢١٤، والداني: التيسير ص٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وآخر ما يلزم بيانه في هذه العجالة هو أن لعاصم تلامذة كثيرين نقلوا عنه قراءته، بلغ عددهم ثمانية وأربعين من الأئمة والعلماء[1]. وأما مَن سواهم فإنه لا يحصيهم عَدٌّ، لأن مجلس عاصم وحلقته كانت في مسجد الكوفة[2]. فيزدحم عليه الناس لتعلم القرآن، وكان عاصمٌ يبدأ في القراءة بأهل السوق لئلا يحتبسوا عن معايشهم. واشتهرت قراءة عاصم برواية تلميذه حفص بن سليمان، أبي عمر الأسدي (ت١٨٠هـ) وكان حفص أضبط مَن روى القراءة عن عاصم، لأنه كان ربيبه ابن زوجته، وكان ينزل معه في دار واحدة، فقرأ عليه القرآن مراراً[3]. ولعلماء القراءة عناية كبيرة في نقل القراءات وضبط الأسانيد، يمكن الاطلاع عليها في مقدمات أي كتاب من كتب القراءات.

وفي الختام أرجو أن يكون ما سطَّرته في هذا البحث سبباً لإزالة ما علق في بعض الأذهان عن أصل القراءات، مما يختلقه ويدعو إليه بعض مَنْ ساءت نياتهم، واعتمل الحقد في صدورهم، من الشعوبيين الذين حقدوا على العرب بعد أَنْ مَنَّ الله تعالى عليهم وأكرمهم بحمل أشرف رسالة إلى الناس، ولم يقف حقدهم عند ذلك الحد، بل تجاوزه إلى الحقد على الدين والعمل على الطعن في أساسه الأكبر ومصدره الأعظم وهو القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، ومن المستشرقين الذين أفسدت نزعةُ التعصبِ لدى كثير منهم الروحَ العلمية النزيهة، مع ما يخالط كثيراً من أعمالهم من غايات استعمارية أو تبشيرية تحملهم على طمس معالم الحقيقة أو تشويهها. ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨﴾ [الصف].

---

(١) علم الدين السخاوي: جمال القراء ٢/٤٦٣، وينظر: ابن الجزري: غاية النهاية ١/٣٤٧.

(٢) علم الدين السخاوي: جمال القراء ٢/٤٦٣.

(٣) المصدر نفسه ٢/٤٤٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

(٢)

الاختيار في قراءَةِ القرآن

مقدمة

الحمدُ للهِ، وسلامٌ على عباده الذين ٱصطفى، أَمَّا بعدُ:

فإنَّ قراءة القرآن سُنَّةٌ يأخذها الآخِرُ عن الأَوَّلِ، وقد تلقَّى الصحابة - رضي الله عنهم - القرآن عن رسول الله ﷺ واشتهر عدد منهم بحفظ القرآن، وضبط القراءة، وقاموا بتعليم المسلمين القرآن في الأمصار الإسلامية، وفي مقدمتهم زيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود، وأُبي بن كعب، وأبو موسى الأشعري، ومعاذ بن جبل، وأبو الدرداء.

وكان من تيسير الله على الصحابة أنْ رَخَّصَ لهم بقراءة القرآن على أكثر من وجه، فتعددت قراءات الصحابة لذلك، وجَمَعَ عثمانُ - رضي الله عنه - المسلمين على مصحف واحد، حين أمر بانتساخ المصاحف على لغة قريش التي نزل بها القرآن، فكان الرسم واحداً، والقراءات متعددة. وأخذ التابعون القراءة عن الصحابة بالوجوه التي كانوا يقرؤون بها، مما يحتمله خط المصحف.

وبَرَزَ بعد عصر التابعين عدد من القراء في كل مصر من الأمصار الإسلامية، اشتهرت قراءتهم، وأخذها الناس عنهم، وفي مقدمتهم القرَّاءُ السبعة: نافع، وابن كثير، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وأبو عمرو، وابن عامر، ودارت حولهم رواية القراءات والتأليف فيها، واندثرت قراءات الصحابة ولم يَعُدْ لها وجود متميز، وشَكَّلَ ذلك قضية تستحق الدراسة والتفسير.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وكنت قد لاحظت من خلال دراستي لتاريخ القراءات القرآنية شيوع ظاهرة الاختيار في القراءة في القرنين الثاني والثالث، ووجدت أن هذه الظاهرة قد ارتبط بها ظهور القراءات الجديدة، واختفاء قراءات الصحابة، ولم يُفْرَدْ لهذا الموضوع بحث مستقل في كتب علوم القرآن عامة وكتب القراءات خاصة، ومن ثَمَّ فإني حَرَصْتُ على العناية به والبحث فيه لِمَا له من أهمية في تأريخ القراءات القرآنية ومعرفة أصل القراءات السبع وبيان علاقتها بقراءات الصحابة.

وحاولت في هذا البحث بيان دلالة كلمة (الاختيار) في اللغة والاصطلاح، وتاريخ نشأة ظاهرة الاختيار، والأسس التي استندت إليها والشروط التي تتحكم فيها. ثم وقفت عند أصحاب الاختيارات القديمة والمتأخرة، الصحيحة والشاذة، المشهورة والمندثرة. وانتهيت إلى بيان الآثار التي تركتها الظاهرة على القراءات القرآنية. ومن ثم جاءت معالجة الموضوع في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الاختيار: دلالته، ونشأته، وضوابطه.

المبحث الثاني: أصحاب الاختيارات.

المبحث الثالث: أثر ظاهرة الاختيار.

وقد سلكتُ في هذا المبحث مسلك الإيجاز، وأعرضت عن ذكر التفاصيل، وإيراد الأمثلة والشواهد لاختيارات القراء، حرصاً على ظهوره بالحجم المناسب، واللهَ تعالى أسأل التوفيق للصواب، هو حسبنا ونعم الوكيل.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المبحث الأول

الاختيار: دلالتُه، ونشأتُه، وضوابطهُ

الاختيارُ في اللغة طَلَبُ خَيْرِ الأَمْرَيْنِ[1]، وهو مصدرٌ من الفعل اختار، وهو يقتضي وجود عدة أشياء يُختار منها واحدٌ، وشاعت الكلمة في مجال العلوم العربية والإسلامية للتعبير عن الرأي الراجح لدى عالم من العلماء في مسألة تتعدد فيها الآراء والأقوال، في الفقه أو التفسير أو علوم العربية، وغيرها.

وأخذت كلمة (الاختيار) في علم القراءات القرآنية دلالة أكثر تحديداً، وصارت مصطلحاً يُعَبِّرُ عن قيام قارئ للقرآن باعتماد وجه من وجوه القراءة المروية في كل حرف من حروف القرآن المختلف في قراءتها في تعليمه القرآن وتلاوته له، فتسمى طريقته في قراءة القرآن باسمه، فيقال: اختيارُ فلان، أو قراءة فلان.

وبدأ الاختيار في القراءة بعد عصر الصحابة، على يد علماء القراءة من التابعين الذين أخذوا قراءاتهم عن علماء القراءة من الصحابة، مثل زيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود، وغيرهم، ثم استمر في عصر تابعي التابعين، ولم تتجاوز ظاهرة الاختيار القرن الثالث، بعد أنْ مَيَّزَ ابن مجاهد البغدادي (ت٣٢٤هـ) الاختيارات المشهورة عن غيرها، وألَّف كتاب «السبعة» وكتاب «شواذ السبعة».

ولم يكن يتهيَّأُ لعامة قراء القرآن معرفة وجوه القراءات التي قرأ بها الصحابة - رضي الله عنهم - فاقتدى أهل كل مصر من أمصار المسلمين بقارئ من التابعين أو تابعيهم هو من أعلم أهل زمانهم بمعرفة ذلك كله، فقرأوا القرآن بما اختاره لنفسه من القراءات المرويَّة، وجرَّدوا قراءته واجتمعوا عليها[2].

---

(١) ابن منظور: لسان العرب ٥/ ٣٥٢ (خير).

(٢) ينظر: الأندرابي: الإيضاح ص٣٢٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وليس معنى اختيار القارئ قراءة أنه يقوم باختراعها، وإنما هو يختار وجهاً من وجوه القراءات المروية عن الصحابة في ذلك الحرف. قال مكي بن أبي طالب: «وهؤلاء الذين اختاروا إنما قرؤوا لجماعة، وبروايات، فاختار كلٌّ واحد مما قرأ وروى قراءةً تُنسب إليه بلفظ الاختيار»[1]. وقال الداني: «إنَّ معنى إضافة ما أَنزلَ اللهُ تعالى إلى مَن أُضيف إليه من الصحابة، كأُبيٍّ وعبدِ الله وزيدٍ وغيرهم، مِن قِبَل أنه كان أضبطَ له وأكثرَ قراءةً وإقراءً به، وملازمةً له وميلاً إليه، لا غير، وكذا إضافة أنَّ ذلك القارئ وذلك الإمام اختار القراءة بذلك الوجه من اللغة، وآثره على غيره، وداوم عليه ولزمه، حتى اشتهر به، وعُرِفَ به، وقُصِدَ فيه، وأُخِذَ عنه، فلذلك أُضِيفَ إليه دونَ غيره من القراء، وهذه الإضافةُ إضافة اختيارٍ ودوامٍ ولزومٍ، لا إضافةُ اختراعٍ ورأيٍ واجتهادٍ»[2].

وظاهرة الاختيار قديمة، ترجع إلى عصر التابعين، كما ذكرتُ، أو أقدم من ذلك، فقد نَقَلَ ابن الجزري أن عبد الله بن عباس «كان يقرأ القرآن على قراءة زيد بن ثابت، إلا ثمانية عشر حرفاً، أخذها من قراءة ابن مسعود»[3]. وكان القراء المشهورون الذين عاشوا في القرن الثاني يؤلفون قراءاتهم عن طريق الاختيار من القراءات التي أخذوها عن علماء القراءة من التابعين، ولدينا قائمة طويلة من أصحاب الاختيار في القراءة، سنعود إليها في الفقرة الآتية من هذا البحث، ولكن الوقوف عند رواية القراءات في المدينة المنورة والكوفة في القرن الأول والثاني الهجريين تعطينا مثالاً عملياً لظاهرة الاختيار في القراءة، وما ترتب عليها من بروز قراءات جديدة تستمد عناصرها من قراءات الصحابة - رضي الله عنهم -.

أما المدينة فإن القراءة الغالبة فيها كانت قراءة زيد بن ثابت، وهي القراءة التي يقرؤها جمهور الصحابة في المدينة، وكانت تُعرف بقراءة العامة[4]، وكانت إلى جانب قراءة العامة قراءات أُخرى تُنسب إلى بعض الصحابة، نقلها عنهم التابعون، ودرسها علماء القراءة واختاروا منها قراءاتهم. وكان نافع بن أبي نعيم (ت١٦٩هـ)

---

(١) الإبانة ص٤٩.

(٢) جامع البيان ورقة ٩ظ، وينظر: ابن الجزري: النشر ١/ ٥٢.

(٣) غاية النهاية ١/ ٤٢٦.

(٤) ينظر: أبو شامة: المرشد الوجيز ص٦٨-٦٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

سيَّدَ القراء في المدينة، وهو الذي اشتهرت قراءته وانتشرت في كثير من بلدان العالم الإسلامي، ويُروى أنه قرأ على سبعين من التابعين[1]، وكان أشهر شيوخه في القراءة خمسة، هم: عبد الرحمن بن هرمز الأعرج (ت١١٧هـ)، وأبو جعفر يزيد بن القعقاع (ت١٣٠هـ)، وشيبة بن نصاح (ت١٣٠هـ)، ومسلم بن جندب الهذلي (ت بعد ١١٠هـ)، ويزيد بن رومان (ت١٢٠هـ على خلاف)[2].

وقد روى ابن مجاهد أن نافعاً قال: «أدركتُ هؤلاءِ الخمسةَ وغيرَهم.. فنظرتُ إلى ما اجتمع عليه اثنان منهم فأخذته، وما شذَّ فيه واحد تركته، حتى أَلَّفْتُ هذه القراءة»[3].

أما الكوفة فإنها كانت من أكثر المدن الإسلامية بعد المدينة المنورة نشاطاً في القراءة القرآنية، وذلك لنزول عدد كبير من علماء الصحابة فيها، واتخاذ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - لها عاصمة للخلافة.

قال ابن مجاهد: «وأما أهل الكوفة فكان الغالب على المتقدمين من أهلها قراءة عبد الله بن مسعود - رضي الله تعالى عنه - لِيُعَلِّمَهم، فأُخِذَتْ عنه قراءاته قبل أن يَجْمَعَ عثمانُ - رضي الله تعالى عنه - الناسَ على حرفٍ واحد، ثم لم تزل في صحابته من بعده يأخذها الناس عنهم: كعلقمة، والأسود بن يزيد، ومسروق بن الأجدع، وزِرِّ بن حُبَيْشٍ، وأبي وائل، وأبي عمرو الشيباني، وعُبيدة السلماني وغيرهم... فلم تزل قراءة عبد الله بالكوفة لا يعرف الناس غيرها، وأول من أقرأ بالكوفة القراءة التي جمع عثمان - رضي الله تعالى عنه - الناسَ عليها أبو عبد الرحمن السُّلمي، واسمه عبد الله بن حبيب، فجلس في المسجد الأعظم، ونصب نفسه لتعليم الناس القرآن، ولم يزل يُقرئ بها أربعين سنة»[4].

وحين مات أبو عبد الرحمن السلمي سنة ٧٤هـ[5]، خَلَفَهُ في موضعه عاصم بن

---

(١) ينظر: ابن مجاهد: كتاب السبعة ص٦٢.

(٢) ينظر: ابن الجزري: غاية النهاية ٢/ ٣٣٠.

(٣) كتاب السبعة ص٦٢.

(٤) كتاب السبعة ص٦٦-٦٨.

(٥) تنظر ترجمته: ابن الجزري: غاية النهاية ١/ ٤١٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

أبي النجود (ت١٢٧هـ)[١]، وقال عاصم: «ما أقرأني أحدٌ حرفاً إلا أبو عبد الرحمن السلمي، وكان أبو عبد الرحمن قد قرأ على عليٍّ - رضي الله تعالى عنه - وكنت أرجع من عند أبي عبد الرحمن فأعرض على زر بن حبيش، وكان زِرٌّ قد قرأ على عبد الله»[٢].

ونقل ابن سوار البغدادي (ت٤٩٦هـ) رواية عن أبي عمر الدوري، سوف أوردها على ما فيها من طول، لأنها تتعلق بقراءتنا التي نقرأها اليوم، ولدلالتها على موضوع الاختيار، وهي من الروايات العزيزة التي لم أقف عليها في ما اطلعت عليه من مصادر، قال: «سألت أبا عمارة حمزة بن القاسم الأحول الكوفي، وكان من أصحاب حمزة المعدودين في القراءة، عن سبب الاختلاف بين حفص بن سليمان وأبي بكر شعبة بن عياش، فقال: على الخبير سقطت، سألت حفص بن سليمان عن ذلك، وقلت له: إن أبا بكر بن عياش يخالفك عن عاصم في حروف كثيرة؟! قال أبو عمارة: وكانت أم حفص تحت عاصم، وعاصم ربّاه مذ كان طفلاً، فقال: قرأت هذه القراءة على عاصم حرفاً حرفاً، ولم أخالف عاصماً في حرف من كتاب الله تعالى، وأخبرني عاصم أنه قرأ على أبي عبد الرحمن السلمي، وهي التي أخذها عن أصحاب رسول الله ﷺ - عثمان وعلي وزيد بن ثابت، وعامتها عن علي بن أبي طالب - رضوان الله عليهم.

قال حفص: فصححت القراءة على عاصم حتى لم أشك في حرف منها، وكان يقرأ بهذه القراءة زماناً من الدهر، وكان قد قرأ على زر بن حبيش صاحب عبد الله، فاختار بعد أن قطعت القراءة عليه، من حروف عبد الله وحروف زر هذه القراءة التي علَّمها أبا بكر بن عياش.

قال حفص: فلم أحب الرجوع عن قراءة أبي عبد الرحمن، فثبتُّ عليها، وهي قراءة عاصم التي لم يزل يقرأها» (المستنير ص١٠٥).

واشتهر في الكوفة بعد عاصم بن أبي النجود حمزة بن حبيب الزيات

---

(١) ينظر: ابن مجاهد: كتاب السبعة ص٦٩.

(٢) المصدر نفسه ص٦٧. وأورد ابن سوار البغدادي في كتابه «المستنير في القراءات العشر ص١٠٥» الخبر على نحو أكثر تفصيلاً.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

(ت١٥٦هـ)، وكان قد أخذ قراءته من مصادر اختلطت فيها قراءة أهل المدينة القديمة (قراءة زيد) بقراءة أهل الكوفة القديمة (قراءة عبد الله بن مسعود)، وقال ابن الجزري: «استفتح حمزةُ القرآنَ من حُمْرَانَ، وعَرَضَ على الأعمش وأبي إسحاق وابن أبي ليلى، وكان الأعمش يجوِّدُ حرفَ ابن مسعود، وكان ابن أبي ليلى يجوِّدُ حرفَ عليٍّ، وكان أبو إسحاق يقرأ من هذا الحرف ومن هذا الحرف، وكان حُمرانُ يقرأ قراءة ابن مسعود، ولا يخالف مصحف عثمان، يعتبر حروف معاني عبد الله، ولا يخرج من موافقة مصحف عثمان، وهذا كان اختيار حمزة»[١].

وكان علي بن حمزة الكسائي (ت١٨٩هـ) قد أخذ القراءة عن حمزة وغيره من القراء، ثم اختار لنفسه قراءة، قال ابن مجاهد: «وكان علي بن حمزة الكسائي قد قرأ على حمزة ونظر في وجوه القراءات، وكانت العربية علمه وصناعته، واختار من قراءة حمزة وقراءة غيره قراءة متوسطة، غير خارجة عن آثار مَن تقدَّمَ من الأئمة، وكان إمام الناس في عصره، وكان يأخذ الناسُ عنه ألفاظه بقراءته عليهم»[٢].

وقال ابن النديم: «وكان الكسائي من قراء مدينة السلام، وكان أولاً يُقرِئُ الناس بقراءة حمزة، ثم اختار لنفسه قراءة، فأقرأ بها الناس في خلافة هارون»[٣].

وكان القراء يخضعون في اختيارهم القراءة إلى ضوابط أو شروط، وكانت هذه الشروط معتمدة لدى علماء القراءة المتقدمين في اختيار الوجه الراجح لديهم في القراءة، وكان أبو عبيد القاسم بن سلاَّم البغدادي (ت٢٢٤هـ) قد أشار إليها في وضوح وهو يتحدث عن القراءة المختارة لديه في هاء السكت في مثل قوله تعالى: ﴿يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝٢٦﴾ [الحاقة]، وقوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠﴾ [القارعة]، فقد نقل عنه ابن الأنباري أنه قال: «الاختيارُ عندي في هذا الباب كلِّه الوقوفُ عليها بالهاء بالتَّعَمُّدِ لذلك، لأنها إن أُدْرِجَتْ في القراءة مع إثبات الهاء كان خروجاً من كلام العرب، وإن حُذِفَتْ في الوصل كان خلاف الكِتاب [يعني خط المصحف]. فإذا صار قارئها إلى السكت عندها على ثبوت

---

(١) غاية النهاية ١/ ٢٦٢.

(٢) كتاب السبعة ص٧٨.

(٣) الفهرست ص٣٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

الهاءات اجتمعت له المعاني الثلاثة من أن يكون:

- مصيباً في العربية.
- وموافقاً للخط.
- وغيرَ خارج من قراءة القراء»[1].

وقال مكي بن أبي طالب: «وهؤلاء الذين اختاروا إنما قرأوا لجماعة، وبرواياتٍ، فاختار كل واحد مما قرأ وروى قراءةً تُنسب إليه بلفظ الاختيار... وأكثر اختياراتهم إنما هو في الحرف إذا اجتمع فيه ثلاثة أشياء: قوة وجهه في العربية، وموافقته للمصحف، واجتماع العامة عليه»[2].

وقال الأندرابي: «فإن قيل: ما سببُ اختيار القراء بعض القراءات على بعض، وهي في المعنى واحدة؟ قلنا: سبب ذلك هو أن من القراءات ما ورد عن الصحابة والتابعين، وهو معروف لكثرة أهله، صحيح المعنى، جَيِّدٌ في العربية، ومنها ما ورد وهو شاذ لقلة أهله، ضعيف في المعنى والعربية، ومنها ما ورد وهو غلط منهم وعليهم. فلما كان الأمر كذلك اجتهد كل قارئ منهم ليقرأ من تلك القراءات بأكثرها أهلاً من القراء، لأن ذلك أدلَّ على أنه من إقراء رسول الله ﷺ وأفصحها لغة في كلام العرب، وأجودها إعراباً، وأحسنها معنى وانتظاماً لما قبلها من الكلام أو بَعْدَها، من غير أن يعيبَ الوجه الآخر أو يهجره، إلَّا أن يكون غلطاً منهم أو عليهم، فحينئذ يتجنب القراءة به»[3].

ويمكن إدراك حجم هذه الظاهرة ومقدار أثرها في القراءات القرآنية من خلال النظر في قائمة أسماء أصحاب الاختيارات في المبحث الآتي.

---

(١) إيضاح الوقف ١/ ٣١١.

(٢) الإبانة ص٤٩، وينظر عن شروط القراءة الصحيحة: أبو شامة: المرشد الوجيز ص١٧١، والزركشي: البرهان ١/ ٣٣١، وابن الجزري: النشر ١/ ٩، ومنجد المقرئين ص١٥، والسيوطي: الإتقان ١/ ٢١٠.

(٣) الإيضاح ص٣٢٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المبحث الثاني

أصحاب الاختيارات

كانت هناك عوامل موضوعية أدَّت إلى كثرة الاختيارات في قراءة القرآن الكريم، في مقدمتها تلبية متطلبات تعليم جماهير المسلمين القرآن، فاتساع بلاد المسلمين وازدياد عددهم يعني الحاجة إلى جهد أكبر في تعليمهم القرآن وتفقيههم في الدين، وكان عبء ذلك يقع على علماء القراءة.

وكان عدد القراء في عصر التابعين وتابعيهم قد تضاعف أضعافاً كثيرة عن عددهم في عصر الصحابة، وكان عليهم أن يعتمدوا طريقة معينة في تعليم القراءة، وقد سمحت لهم ظاهرة الاختيار في القراءة بأخذ وجوه القراءة التي يختارونها من مجموع ما أخذوه عن شيوخهم، بما يتناسب والعادات اللغوية السائدة في مجتمعاتهم، وما يترجح لديهم منها.

وبلغ عدد القراء الذين ذكرهم الذهبي في كتابه «معرفة القراء» حتى عصر ابن مجاهد[1] الذي خُتِمَ عصرُ الاختيار به (١٨٥) قارئاً، فإذا كان عدد القراء الذين ذكرهم من الصحابة أحد عشر صحابياً، فإن ذلك يعني أن (١٧٤) من القراء عاشوا في عصر الاختيار. ولا شك في أن الكثير من هؤلاء كان صاحب اختيار في القراءة، ولكن الذين صرَّح المؤرخون بأنهم من أصحاب الاختيار أقل من ذلك العدد[2].

---

(١) ذكره الذهبي في الطبقة الثامنة من الكتاب، ينظر ١/ ٢١٦.

(٢) ذكر الداني في قصيدته (المنبهة) سبعة عشر اسماً من أصحاب الاختيارات الشاذة (ص١٥)، وستة عشر من أصحاب الاختيارات المقبولة (ص٢٠)، من غير القراء السبعة.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وسوف أذكر في هذا المبحث مَنْ نَصَّ العلماء على أنه من أصحاب الاختيار، ويمكن تقسيم الاختيارات إلى صحيحة مقبولة، وشاذة مرفوضة، ولكل قسم من هذين القسمين أنواع، فمن الاختيارات الصحيحة ما هو مأخوذ به في القراءة، ومنها ما هو متروك مندثر، ومن الاختيارات الشاذة ما يرجع سبب شذوذه إلى مخالفته خط المصحف، ومنها ما يرجع إلى خروجه عن وجوه القراءة المروية، وإن كان موافقاً لخط المصحف، صحيح الوجه في العربية، وسوف أستعرض أصحاب الاختيارات على أساس هذا التقسيم.

أولاً: أصحاب الاختيارات الصحيحة المقبولة:

إن الاختيارات الصحيحة التي استوفت الشروط تتجاوز القراءات السبع المشهورة والثلاث المتممة لها، لكنها لم تشتهر شهرة هذه القراءات، وزالت من الاستعمال، وبقيت في الكتب فقط، ويمكن أن نقسم الاختيارات الصحيحة على قسمين: اختيارات باقية في الاستعمال، واختيارات مندثرة.

١- الاختيارات الصحيحة الباقية:

إن كثرة الاختيارات الصحيحة التي قرأ بها علماء القراءة في القرون الثلاثة الأولى جعلت ابن مجاهد يدرس تلك الاختيارات ويميز بين ما هو مشهور منها، فألَّفَ فيه كتابه «السبعة في القراءات» وبين ما هو أقل شهرة فألَّف فيه كتابه «شواذ السبعة» على نحو ما سنبين في المبحث الآتي إن شاء الله. وقد أدَّى صنيع ابن مجاهد هذا إلى عناية العلماء بالقراءات السبع، والرواية لها، والتأليف فيها، وإطلاق صفة الشذوذ على ما عداها، وقد وجد العلماء أن ثلاثة من الاختيارات تستحق أن تلحق بهذه القراءات السبع، فصارت القراءات المشهورة عشراً، هي قراءة: نافع، وابن كثير، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وأبي عمرو، وابن عامر، وأبي جعفر، ويعقوب، وخلف.

إن إطلاق مصطلح (القراءات السبع) أو (القراءات العشر) لا يعني أنها خارجة عن مفهوم الاختيار في القراءة الذي أوضحناه في المبحث الأول، فقد أشرنا إلى

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

اختيار نافع قراءته من قراءات سبعين من التابعين، وإلى اختيار حمزة قراءته من مجموع قراءات شيوخه، وكذا فعل عاصم، والكسائي، وأبي عمرو وغيرهم.

وقد وجدتُ ابن الجزري يستخدم أحياناً مصطلح (الاختيار) في وصف قراءات القراء السبعة، فيقول: (اختيار حمزة)[1]، و(اختيار نافع)[2]، و(اختيار أبي عمرو)[3]، و(اختيار الكسائي)[4].

ويبدو أن كلمة (القراءة) كانت يراد بها الطريقة التي قرأ بها كل واحد من علماء الصحابة بالقرآن، مثل قراءة زيد بن ثابت، وقراءة عبد الله بن مسعود، وقراءة أُبي بن كعب، كما كان يقال قديماً حرف زيد أو حرف ابن مسعود، وأن مصطلح (الاختيار) أُطلق للدلالة على تأليف علماء القراءة من التابعين قراءة من قراءات الصحابة، وتأليف علماء تابعي التابعين قراءة من قراءات التابعين، بحيث لا يخرج أحد منهم عن شيء مما رُوِيَ من قراءات الصحابة.

ويبدو أن تقدُّمَ حياة القراء السبعة، وعلو منزلتهم، وتفرغهم لعلم القراءة، وشيوع اختياراتهم، واقتداء الناس بهم، قد أضفى على اختياراتهم منزلة رفيعة جعلتها تستحق أن يطلق عليها مصطلح (القراءة)، فصار الشائع أن يقال: قراءة نافع، وقراءة عاصم... إلخ.

ويؤكد هذا الاستنتاج أن القراء الثلاثة الذين اشتهرت قراءاتهم مع السبعة يغلب استخدام مصطلح (الاختيار) على المتأخرين منهم، ومصطلح (القراءة) على المتقدمين، فيقال: قراءة أبي جعفر القارئ، وهو شيخ نافع، ويقال: اختيار

---

(١) غاية النهاية ١/ ٢٦٢.

(٢) المصدر نفسه ٢/ ٢ و٢/ ٣٣١.

(٣) المصدر نفسه ١/ ٣٥١.

(٤) المصدر نفسه ٢/ ٢٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

يعقوب[1]، واختيار خلف[2].

أما المتأخرون من أصحاب الاختيارات فإن كلمة (الاختيار) هي المستخدمة، فيقال: اختيار أبي عبيد[3]، واختيار أبي حاتم[4] وهكذا.

ولا يتنافى إدراجنا القراءات العشر تحت عنوان (الاختيارات الصحيحة الباقية) مع كون المشهور منها في زماننا قراءتان، هما: قراءة عاصم برواية حفص في المشرق، وقراءة نافع برواية ورش في المغرب، فإن القراءات العشر كانت موضع عناية علماء القراءة رواية وتأليفاً، ولدينا عشرات المؤلفات في القراءات السبع، والقراءات العشر، ولا تزال معاهد الإقراء تعنى بها وتدرِّسُها، ولا يخلو بلد من بلدان المسلمين من عالم يروي تلك القراءات، ويُعَلِّمُها، ويعطي الإجازة بروايتها.

٢- الاختيارات الصحيحة المندثرة:

حين نتحدث عن الاختيارات الصحيحة المندثرة إنما نريد بها ما نص عليه العلماء ونسبوه إلى قارىء معين، فقالوا: اختيار فلان، ولم يصفوه بالشذوذ، ووراء ذلك قراءات كثيرة منسوبة إلى الصحابة أو التابعين، وردت الإشارة إليها في كتب التفسير وكتب القراءات واللغة، ليست موضوع بحثنا هذا، لأننا بصدد تتبع ظاهرة الاختيار، ونقتصر من ذلك على ما ورد النص عليه بأنه اختيار.

وقد وقفت على عشرات الأسماء من القراء الذين نُسِبَ إليهم الاختيار في

---

(١) ينظر: ابن الجزري: غاية النهاية ٢/ ٣٨٧.

(٢) ينظر: الأندرابي: الإيضاح ص٣٨٨، والعطار: غاية الاختصار ١/ ١٦١، وابن الجزري: غاية النهاية ١/ ١٥٤ و٢٧٤ و٢/ ٤٩.

(٣) ينظر: الأندرابي: الإيضاح ص٣٨٦، وابن الجزري: غاية النهاية ١/ ١٨٨ و٢/ ١٨ و٣٤٧.

(٤) ينظر: الأندرابي: الإيضاح ص٣٩١، وابن الجزري: غاية النهاية ١/ ١٤٦ و٣٢٠ و٢/ ١٤٨ و٢٩٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

القراءة، خاصة في كتاب «غاية النهاية في طبقات القراء» لابن الجزري، ويمكن أن أقسم أصحاب الاختيارات الصحيحة المندثرة على قسمين: الاختيارات القديمة في القرن الأول والثاني من شيوخ القراء السبعة، أو معاصريهم، أو تلامذتهم، واختيارات العلماء الذين عاشوا في القرن الثالث، بعد عصر القراء السبعة، الذين يتميزون عن أصحاب الاختيارات القديمة بتأليفهم كتباً في القراءة ذكروا فيها اختياراتهم.

أ- الاختيارات القديمة:

سوف أذكر أصحاب الاختيارات القديمة مرتبين على تاريخ الوفاة، وأذكر ما يمكن أن يوضح أصول قراءاتهم:

١- عبد الله بن قيس أبو بحرية السكوني الكندي الحمصي، تابعي مشهور، صاحب الاختيار في القراءة، قرأ على الصحابي الجليل معاذ بن جبل، وتوفي بعد سنة ٨٠هـ[١]، روى عنه اختياره يزيد بن قطيب السكوني الشامي، وليزيد هذا اختيار في القراء يُنسب إليه أيضاً[٢].

٢- مجاهد بن جبر أبو الحجَّاج المكيُّ المفسرُ (ت١٠٢هـ) له اختيار في القراءة[٣].

٣- طلحة بن مصرف أبو محمد الكوفي (ت١١٢هـ) له اختيار في القراءة يُنسَبُ إليه، رواه عنه فياض بن غزوان، وأقرأ به في الري، وأخذه الناس عنه هناك[٤].

٤- عون العقيلي، له اختيار في القراءة، أخذ القراءة عرضاً عن نصر بن

---

(١) ابن الجزري: غاية النهاية ١/ ٤٤٢.

(٢) المصدر نفسه ٢/ ٣٨٢.

(٣) المصدر نفسه ٢/ ٤١.

(٤) المصدر نفسه ١/ ٣٤٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

عاصم المتوفى سنة ٩٠هـ[١].

٥- قَتادة بن دعامة السدوسي البصري المفسر (ت١١٧هـ)، له اختيار في القراءة[٢].

٦- جُوَيَّةُ بن عاتك الكوفي، روى القراءة عن عاصم (ت١٢٧هـ)، له اختيار في القراءة[٣].

٧- مسلمة بن عبد الله الفهري البصري النحوي، كان مع ابن أبي إسحاق وأبي عمرو بن العلاء المتوفى سنة ١٥٤هـ، له اختيار في القراءة[٤].

٨- يحيى بن الحارث الذِّماريُّ الدمشقيُّ (ت١٤٥هـ) تلميذ عبد الله بن عامر قارىء أهل الشام، له اختيار في القراءة خالف فيه ابن عامر[٥]، رواه عنه عمر بن عبد الواحد الدمشقي[٦].

٩- محمد بن الحسن أبو جعفر الرؤاسي الكوفي النحوي، روى الحروف عن أبي عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ)، روى عنه علي بن حمزة الكسائي (ت١٨٩هـ)، له اختيار في القراءة يروى عنه[٧].

١٠- العباس بن الفضل أبو الفضل الأنصاري البصري (ت١٨٦هـ) له اختيار في القراءة[٨]، رواه عنه عبد الرحمن بن عبيد الله بن واقد البغدادي المؤدب[٩].

---

(١) ابن الجزري: غاية النهاية ١/ ٦٠٦.

(٢) المصدر نفسه ٢/ ٢٥.

(٣) المصدر نفسه ١/ ١٩٩.

(٤) المصدر نفسه ٢/ ٢٩٨.

(٥) المصدر نفسه ٢/ ٣٦٧.

(٦) المصدر نفسه ١٠/ ٥٩٤.

(٧) المصدر نفسه ٢/ ١١٦.

(٨) المصدر نفسه ١/ ٣٥٣.

(٩) المصدر نفسه ١/ ٤٨٩ و٣٨١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

١١- عثمان بن سعيد المصري الملقب ورش (ت١٩٧هـ) أحد رواة قراءة نافع المشهورين، له اختيار خالف فيه نافعاً[١].

١٢- أيوب بن المتوكل الأنصاري البصري (ت٢٠٠هـ)، له اختيار تبع فيه الأثر، رواه عنه محمد بن يحيى القطعي[٢].

١٣- يحيى بن المبارك اليزيدي (ت٢٠٢هـ) أخذ القراءة عن أبي عمرو، وهو الذي خلفه بالقيام بها، وله اختيار خالف فيه أبا عمرو في حروف يسيرة[٣].

١٤- عبد الله بن يزيد أبو عبد الرحمن القرشي (ت٢١٣هـ)، روى الحروف عن نافع وعن البصريين، وله اختيار في القراءة[٤]، رواه عنه ابنه محمد[٥].

١٥- محمد بن سعيد بن عمران الكوفي الضرير، له اختيار معروف، وكان قد اختار من رواية خلف (ت٢٢٩هـ) وخلاد (ت٢٢٠هـ) رواية يُقْرِئُ بها[٦].

١٦- محمد بن سعدان الكوفي النحوي الضرير (ت٢٣١هـ)، له اختيار لم يخالف فيه المشهور[٧].

١٧- أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، له اختيار في القراءة[٨]، رواه عنه ابنه عبد الله، وأخذه عن عبد الله أحمد بن جعفر القطيعي[٩].

---

(١) ابن الجزري: غاية النهاية ١/ ٥٠٢.
(٢) المصدر نفسه ١/ ١٧٢.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ٣٧٥.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٤٦٣.
(٥) المصدر نفسه ٢/ ١٨٨.
(٦) المصدر نفسه ٢/ ١٤٤.
(٧) المصدر نفسه ٢/ ١٤٣.
(٨) غاية النهاية ١/ ١١٢.
(٩) المصدر نفسه ١/ ٤٣ و١/ ٥٧٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

ب- اختيارات العلماء المؤلفين في القراءات الذين عاشوا في القرن الثالث الهجري:

إن إفراد هؤلاء العلماء بفقرة مستقلة لا يعني أن غيرهم من أصحاب الاختيارات لم تُدوَّن قراءاتهم، فقد استعمل ابن الجزري مصطلح (نُسْخَة) للدلالة على تدوين التلامذة قراءات أساتذتهم في كتبٍ أو رسائل مفردة، وقد أحصيت أكثر من أربعين (نسخة) عن القراء السبعة وبعض شيوخهم أو تلامذتهم والرواة عنهم.

ولا يتسع المقام للحديث عن تلك النسخ التي ضَمَّت اختيارات أشهر القراء، وسأكتفي بذكر خمسٍ منها تخص قراءة الكسائي، علماً أن من القراء السبعة من نُقل عنه أكثر من ذلك مثل: نافع بن أبي نعيم الذي أحصيت له تسع نسخ[1]، وهذه أسماء أصحاب النسخ المنقولة عن الكسائي:

١- إبراهيم بن زاذان، روى القراءة عن الكسائي، وهو معدود في المكثرين عنه، وله عنه نسخة[2].

٢- أحمد بن الصباح بن أبي سريج، قرأ على الكسائي، وله عنه نسخة[3].

٣- عبد الرحيم بن حبيب البغدادي، روى القراءة عن الكسائي، وله عنه نسخة[4].

٤- نُصَيْرُ بن يوسف النحوي، أخذ القراءة عرضاً عن الكسائي، وهو من جلة أصحابه وعلمائهم، وله عنه نسخة[5].

---

(١) أثبت ذلك في (فهرس عناوين الكتب الواردة في غاية النهاية) وهو مخطوط.

(٢) غاية النهاية ١/ ١٤.

(٣) المصدر نفسه ١/ ٦٣.

(٤) المصدر نفسه ١/ ٣٨٢.

(٥) المصدر نفسه ٢/ ٣٤٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

٥- هارون بن يزيد الفارسي ثم البغدادي، روى الحروف والقراءة عن الكسائي سماعاً، وله عنه نسخة[١].

وأما أصحاب الاختيارات من العلماء المؤلفين فإني سأتحدث عن أربعة منهم ممن وقفت على معلومات عن اختياراتهم، وهم[٢]:

١- أبو عبيد القاسم بن سلاَّم الهرويُّ البغداديُّ، المتوفى في مكة المكرمة سنة ٢٢٤هـ، قال ابن الجزري: له اختيار وافق فيه العربية والأثر[٣]، قرأه عليه ثابت بن أبي ثابت، المشهور بورَّاق أبي عبيد[٤]. وقرأه عليه محمد بن أحمد البيساني[٥]، وقرأ به على البيساني هارون بن موسى الأخفش الدمشقي المتوفى سنة ٢٩٢هـ[٦].

ودوَّن أبو عبيد اختياره في كتابه الذي ألَّفهُ في القراءات. وهو كتاب مفقود وردت الإشارة إليه في كثير من المصادر[٧]. وأشار الداني إلى ذلك في قصيدته المسماة (المنبهة في الحذق والإتقان وصفة التجويد للقرآن) بقوله[٨]:

والقاسمُ الإمامُ في الحروفِ ... أبو عبيدٍ صاحبُ التصنيفِ
اختارَ من مذاهبِ الأئمَّهْ ... ما قد فشا وصحَّ عندَ الأُمَّهْ

---

(١) ابن الجزري: غاية النهاية ٢/٣٤٨.

(٢) ليحيى بن سلام البصري المفسر اختيار في القراءة من طريق الآثار (ينظر: ابن الجزري: غاية النهاية ٢/٣٧٣) وأحسب أنه أثبته في تفسيره، والاطلاع على تفسيره يؤكد ذلك أو ينفيه.

(٣) غاية النهاية ٢/١٨.

(٤) المصدر نفسه ١/١٨٨.

(٥) المصدر نفسه ٢/٨٥.

(٦) المصدر نفسه ٢/٣٤٧.

(٧) ينظر عن كتاب القراءات لأبي عبيد: بحثي الموسوم (أبو عبيد... وجهوده في دراسة القراءات)، منشور في مجلة الشريعة بجامعة بغداد، العدد التاسع ١٤٠٦هـ= ١٩٨٦م.

(٨) المنبهة ص٢٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وذاك فـــي تصنيفـــهِ مُسَطَّـــرُ مُعَلَّـــــلٌ مُبَيَّـــــنٌ محـــــرَّرُ

وأورد أبو الفضل الخزاعي (ت٤٠٨) في كتابه «المنتهى في قراءات الخمسة عشر»، اختيار أبي عبيد[١]. وكذلك أورده أحمد بن أبي عمر الأندرابي (ت بعد ٥٠٠هـ) في كتابه «الإيضاح في القراءات العشر واختيار أبي عبيد وأبي حاتم»[٢].

ونقل الأندرابي عن أبي عبيد أنه قال: «إنما تَوَخَّيْنَا في جميع ما اخترناه من القراءات أكثرَها من القَرَأَةِ أَهلاً، وأعربَها في كلام العرب لغةً، وأصحَّها في التأويل مذهباً، بمبلغ علمنا، واجتهادِ رأينا، والله الموفق للصواب». قال الأندرابي: وذكر ما اختار من أول القرآن إلى آخره[٣]. وأورد الأندرابي اختيار أبي عبيد في القسم الثاني من كتابه الخاص بفرش الحروف، بروايته له عن ثابت بن أبي ثابت ورَّاق أبي عبيد.

٢- محمد بن عيسى بن إبراهيم بن رزين، أبو عبد الله التيمي الأصبهاني المتوفى سنة ٢٥٣هـ، قال ابن الجزري عنه: «إمام في القراءة كبير، مشهور، له اختيار في القراءة أوَّلٌ وثانٍ. . . وصنف كتاب الجامع في القراءات»[٤].

وليس لدينا معلومات عن كتابه في القراءات، لكن ابن الجزري ذكر أن محمد بن عصام الأصبهاني روى القراءة عرضاً عن محمد بن عيسى باختياره الأول[٥]، وأنَّ كلاًّ من محمد بن أحمد الشعيري وإبراهيم بن أحمد الأصبهاني رَوَيَا القراءة عن محمد بن عيسى باختياره الثاني[٦]. وذكر ابن الجزري أيضاً أن كُلاًّ من جعفر بن عبد الله الأصبهاني، وإسماعيل الضرير قد قرآ على محمد بن

---

(١) ينظر: ابن الجزري: غاية النهاية ٢/١٠٩، والفاسي: العقد الثمين ٧/ ٢٤.

(٢) ابن الجزري: غاية النهاية ١/ ٩٣.

(٣) الإيضاح ص٣٨٧.

(٤) غاية النهاية ٢/ ٢٢٣.

(٥) المصدر نفسه ٢/ ١٩٧.

(٦) المصدر نفسه ٢/ ٦١ و١/ ٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

عيسى باختياره، من غير تحديد[1].

٣- سهل بن محمد بن عثمان أبو حاتم السجستاني المتوفى سنة ٢٥٥هـ على خلاف، قال ابن الجزري عنه: «إمام البصرة في النحو والقراءة واللغة والعروض... وكان إمام جامع البصرة، وله تصانيف كثيرة، وأحسبه أول من صنف في القراءات... وله اختيار في القراءة رويناه عنه، ولم يخالف مشهور السبعة إلا في قوله في آل عمران: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [آل عمران]...»[2].

وذكر ابن الجزري أنَّ محمد بن سليمان بن إبراهيم، المعروف بابن الزردقي أخذ القراءة عرضاً عن أبي حاتم السجستاني، وضبط عنه اختياره[3]. وأن يوسف بن جعفر النجار روى القراءة عرضاً عن محمد بن سليمان صاحب أبي حاتم وضابط اختياره[4].

كما ذكر أن مُسَبِّحَ بن حاتم روى اختيار أبي حاتم عنه، ورواه عنه أبو بكر النقاش[5]. وأن عبد الله بن عبد العزيز الأصبهاني المؤدب روى القراءة عرضاً عن الحسين بن تميم صاحب أبي حاتم، روى عنه القراءة عرضاً محمد بن إبراهيم شيخ ابن مهران، وقال: قرأت عليه ختمات كثيرة باختيار أبي حاتم[6].

ولأبي حاتم كتاب مشهور في القراءات، قد لا يكون أول مصنف كما ذكر ابن الجزري، فقد سبقه إلى ذلك أبو عبيد وغيره، ولكنه من الكتب

---

(١) ابن الجزري: غاية النهاية ١/ ١٩٢ و١/ ٢٣٨.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٣٢٠، قرأها أبو حاتم (تعملون).
(٣) المصدر نفسه ٢/ ١٤٨.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ٣٩٤.
(٥) المصدر نفسه ٢/ ٢٩٤.
(٦) المصدر نفسه ١/ ٤٢٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المشهورة[1]، وأشار ابن الجزري إلى أن يحيى بن عَتَّاب روى الحروف عن أبي حاتم، وسمع منه مصنفه في القراءات[2]. ونصَّ الداني في المنبهة على أن أبا حاتم ذكر اختياره في القراءات في كتابه، وذلك حيث قال[3]:

وسَهْـلٌ العـالـمُ بـالأداءِ اختـارَ مـن مـذاهـبِ القـراءِ
حـروفـاً أقْـرَا بهـا أصحـابَـهْ وكلُّهـا ضَمَّنَهـا كتـابَـهْ

وذكر ابن الجزري أن أحمد بن هبة الله بن عساكر الدمشقي المتوفى سنة ٦٩٩هـ حدَّث بحروف العشرة واختيار أبي حاتم من كتاب «الغاية» لأحمد بن الحسين بن مهران المتوفى سنة ٣٨١هـ[4].

ونقل الأندرابي اختيار أبي حاتم في كتابه «الإيضاح»، وقال عنه: «وكان عالماً بوجوه القراءات، بصيراً بالنحو والعربية واختلاف اللغات، اختار لنفسه اختياراً حسناً، أتَّبَعَ فيه الأثر والنظر، وما صحَّ عنده في الخبر عن النبي ﷺ وعن الصحابة والتابعين، رحمة الله عليهم أجمعين... قال أبو عبد الله الحسين بن تميم: سألت أبا حاتم بعدما فَرَغْتُ من القراءة عليه، فقلتُ: هذه قراءتك التي تختار؟ فقال: نعم واللهِ!»[5].

٤- محمد بن جرير أبو جعفر الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ، أحد الأعلام، صاحب التفسير والتاريخ والتصانيف، له كتاب «الجامع في القراءات»[6]، له اختيار في القراءة، قرأه عليه أحمد بن عبد الله الجبني سنة ثمان وثلاث مئة[7].

---

(١) ينظر: ابن النديم: الفهرست ص٦٤، وابن خلكان: وفيات الأعيان ٢/ ٤٣٢.
(٢) غاية النهاية ٢/ ٣٧٤.
(٣) المنبهة ص٢٠.
(٤) غاية النهاية ١/ ١٤٦، وينظر: ابن مهران: الغاية في القراءات العشر ص٧١.
(٥) الإيضاح ص٣٩١.
(٦) ينظر: ابن الجزري: غاية النهاية ٢/ ١٠٧.
(٧) ينظر: المصدر نفسه ٢/ ١٠٦ و١/ ٧٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

ونصَّ الداني في «المنبهة» على أن الطبري ذكر اختياره في كتابه «الجامع» وذلك في قوله[1]:

والطبريُّ صاحبُ التفسير ... له اختيارٌ ليسَ بالشهيرِ
وهو في جامعهِ مذكورُ ... وعندَ كلِّ صَحْبِهِ مشهورُ

وصرَّح الطبري بذلك أيضاً في تفسيره حين تحدث عن القراءات في قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة]، فقال: «وقد استقصينا حكاية الرواية عمَّن رُوِيَ عنه في ذلك قراءة في كتاب «القراءات» وأَخبَرْنا بالذي نختار من القراءة فيه، والعلة الموجبة صحة ما اخترنا من القراءة فيه، فكرهنا إعادة ذلك في هذا الموضع، إذ كان الذي قصدنا له في كتابنا هذا «البيان عن وجوه تأويل آي القرآن»، دون وجوه قراءتها»[2]، ومن ثم فإن الطبري كان يوجز الحديث عن القراءات في تفسيره اعتماداً على تفصيل الحديث عنها في كتابه «الجامع في القراءات».

ثانياً: أصحاب الاختيارات الشاذة:

تدلُّ كلمة الشذوذ على الانفراد ومخالفة ما عليه الجمهور[3]، واستُخدِمتِ الكلمةُ في وصف بعض القراءات التي فقدت شرطاً من شروط الصحة، وهذا ينطبق على عدد من اختيارات القراء أيضاً، وقد أحصيت عدداً من الاختيارات التي أُطلق عليها وصف الشذوذ، ومنها ما اختاره بعض القراء المتقدمين، ومنها ما اختاره بعض العلماء الذين أَلَّفُوا في القراءات، وسوف أذكرهم مرتبين حسب الوفيات في قائمة واحدة، وأذكر ما قيل عن كل اختيار:

١- محمد بن عبد الرحمن بن محيصن المكي المتوفى سنة ١٢٣هـ، مقرئ أهل مكة مع ابن كثير، ولكن أهل مكة اتبعوا ابن كثير، وأعرضوا عن اختيار ابن

---

(١) المنبهة ص٢١.

(٢) جامع البيان ١/ ٦٥.

(٣) ينظر: ابن منظور: لسان العرب ٥/ ٢٨-٢٩ (شذذ).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

محيصن لشذوذه، قال ابن مجاهد: «كان لابن محيصن اختيار في القراءة على مذهب العربية، فخرج به عن إجماع بلده، فرغب الناس عن قراءته، وأجمعوا على قراءة ابن كثير لاتباعه»[١].

ويبدو أن تمكن ابن محيصن في علم العربية حمله على اختيار وجوه لم تنقل من السلف، قال أبو عبيد: «كان من قراء مكة عبد الله بن كثير، وحميد بن قيس الذي يقال له الأعرج، ومحمد بن محيصن... وكان ابن محيصن أعلمهم بالعربية وأقومهم عليها»[٢].

وذكر ابن الجزري سبباً آخر لشذوذ قراءة ابن محيصن حين قال: «ولولا ما فيها من مخالفة المصحف لأُلحقتْ بالقراءات المشهورة»[٣].

٢- يحيى بن أبي سليم، أبو البلاد النحوي الكوفي، صاحب الاختيار في القراءة، قال الداني: أكثره على قياس العربية، روى عن الشعبي (ت١٠٥هـ)، روى الحروف عنه نعيم بن يحيى السعيدي[٤].

٣- فياض بن غزوان الضبي الكوفي، أخذ القراءة عرضاً عن طلحة بن مصرف (ت١١٢هـ)، وهو الذي روى اختيار طلحة وأقرأ به في الري، وأخذه الناس عنه هناك[٥]. قال الداني: ويروى عنه حروف شواذ من اختياره تضاف إليه، رواها عنه طلحة بن سليمان السمَّان[٦].

٤- عيسى بن عمر الثقفي النحوي البصري المتوفى سنة ١٤٩هـ، وله اختيار

---

(١) نقلاً عن ابن الجزري: غاية النهاية ٢/ ١٦٧.

(٢) نقلاً عن السخاوي: جمال القراء ٢/ ٤٢٩.

(٣) غاية النهاية ٢/ ١٦٧.

(٤) المصدر نفسه ٢/ ٣٧٣ و٢/ ٣٤٣.

(٥) المصدر نفسه ١/ ٣٤٣.

(٦) المصدر نفسه ٢/ ٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

في القراءة على قياس العربية[1]. قال أبو عبيد: «وكان عيسى بن عمر عالماً بالنحو، غير أنه كان له اختيار في القراءة على مذاهب العربية، يفارق العامة، ويستنكرها الناس»[2].

٥- محمد بن عبد الرحمن بن السُّمَيْفَع اليمانيُّ، له اختيار في القراءة يُنسب إليه شَذَّ فيه، وقد أفرده الحافظ أبو العلاء الهمذاني العطار، قال ابن الجزري: وفي الجملة القراءة ضعيفة، والسند بما فيه نظر، وإن صحَّ فهي قراءة شاذة لخروجها عن المشهور، على أنه قد أحسن في توجيهها الحافظ أبو العلاء، وفيما ذكر لها من الشواهد والمتابعات[3].

وروى إسماعيل بن مسلم المخزومي (ت١٦٠هـ) عن محمد بن السميفع اختياره، وروى عنه اختيار ابن السميفع إبراهيم بن محمد بن إسحاق المدني[4].

٦- إبراهيم بن أبي عبلة الشامي المتوفى سنة ١٥٢هـ، له حروف في القراءات واختيار خالف فيه العامة[5].

٧- قعنب بن أبي قعنب أبو السَّمال البصري، له اختيار في القراءة شاذ عن العامة، رواه عنه أبو زيد الأنصاري المتوفى سنة ٢١٥هـ[6].

٨- نعيم بن ميسرة الكوفي النحوي، المتوفى سنة ١٧٤هـ، يروى عنه حروف شواذ من اختياره[7].

٩- شريح بن يزيد أبو حيوة الحضرمي الحمصي، المتوفى سنة ٢٠٣هـ،

---

(١) المصدر نفسه ١/ ٦١٣.

(٢) نقلاً عن السخاوي: جمال القراء ٢/ ٤٣١، وابن الجزري: غاية النهاية ١/ ٦١٣.

(٣) غاية النهاية ٢/ ١٦١-١٦٢.

(٤) المصدر نفسه ١/ ١٦٩ و٢/ ٤٩.

(٥) المصدر نفسه ١/ ١٩.

(٦) المصدر نفسه ٢/ ٢٧.

(٧) المصدر نفسه ٢/ ٣٤٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

صاحب القراءة الشاذة[1]، روى محمد بن عمرو الحمصي المؤذن الحروف سماعاً عن أبي حيوة، ودوَّن عنه اختياره[2].

١٠- موسى بن جرير أبو عمران الرقي الضرير، المتوفى سنة ٣١٦هـ، أخذ القراءة عرضاً عن أبي شعيب السوسي، وهو أجل أصحابه، وكان لأبي عمران اختيارات يخالف فيها ما قرأ به على أبي شعيب، وكان يعتمد على ما قرأ في العربية[3].

١١- محمد بن أحمد بن أيوب، أبو الحسن البغدادي، المعروف بابن شَنْبُوذ، كانت وفاته سنة ٣٢٨هـ، كان يرى جواز القراءة بالشاذ، وهو ما خالف رسم المصحف. مما قرأ به بعض الصحابة قبل نسخ المصاحف في خلافة عثمان - رضي الله عنه - وكان قد ناهضه إمام القراء في عصره أبو بكر بن مجاهد البغدادي بسبب قراءته تلك، وعقد له الوزير ابن مقلة مجلساً بحضور ابن مجاهد وجماعة من العلماء والقضاة، وكُتِبَ عليه فيه المحضر، واسْتُتِيبَ عن مذهبه بعد اعترافه به[4].

وقد أورد ابن النديم صورة كتاب رجوع ابن شَنَبُوذ عن مذهبه في القراءة بما خالف خط المصحف، وهو: «يقول محمد بن أحمد بن أيوب: قد كنتُ أقرأ حروفاً تخالف ما في مصحف عثمان بن عفان المُجْمع عليه، والذي اتفق أصحاب رسول الله ﷺ على قراءته، ثم بان لي أنَّ ذلك خطأٌ، وأنا منه تائبٌ، وعنه مُقْلِعٌ، وإلى الله - جلَّ اسمه - منه بَرِيءٌ، إذ كان مصحف عثمان هو الحق الذي لا يجوز خلافه، ولا أن يُقرأ بغير ما فيه»![5]. وسبق أن عرضت مذهب

---

(١) المصدر نفسه ١/ ٣٢٥.

(٢) المصدر نفسه ٢/ ٢٢٠.

(٣) المصدر نفسه ٢/ ٣١٧.

(٤) ينظر: ابن الجوزي: المنتظم ٦/ ٣٠٧-٣٠٨، وابن خلكان: وفيات الأعيان ٢/ ٢٩٩-٣٠١، والذهبي: معرفة القراء ١/ ٢٢٣، وابن الجزري: غاية النهاية ٢/ ٥٤.

(٥) الفهرست ص٣٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

ابن شنبوذ على نحو أكثر تفصيلاً في بحثي (كتاب الرد على من خالف مصحف عثمان لابن الأنباري)[1].

١٢- محمد بن الحسن بن يعقوب بن مقسم، أبو بكر البغداديُّ العطار، المتوفى سنة ٣٥٤هـ، وكان من أحفظ الناس لنحو الكوفيين وأعرفهم بالقراءات[2]، لكنه زعم أن كُلَّ ما صحَّ عنده في العربية من القرآن يوافق خط المصحف، فقراءته جائزة في الصلاة وغيرها، وإن لم يكن لها سند[3].

وذكر الخطيب البغدادي قصة ابن مقسم العطار، وقال: «ومما طُعِنَ عليه به أنه عمد إلى حروف من القرآن فخالف الإجماع، وقرأها وأقرأها على وجوه ذكر أنها تجوز في العربية، وشاع ذلك عنه عند أهل العلم، فأنكروه عليه، وارتفع الأمر إلى السلطان، فأحضره واستتابه بحضرة القراء والفقهاء، فأذعن بالتوبة، وكُتِبَ محضر توبته، وأثبت جماعة من حضر ذلك المجلس خطوطَهم فيه بالشهادة عليه»[4].

ونقل الخطيب البغدادي حجة ابن مقسم العطار في اختياره عن كتاب «البيان» لأبي طاهر بن أبي هاشم، تلميذ ابن مجاهد، حيث قال: «وقد دخلتْ عليه شبهةٌ لا يخفى فسادها على ذي لُبٍّ وفطنةٍ صحيحة، وذلك أنه قال: لمَّا كان لخلف بن هشام وأبي عبيد وابن سعدان أن يختاروا، وكان ذلك لهم مباحاً غير منكر، كان ذلك لي أيضاً مباحاً غير مستنكر، فلو كان هذا حذا حذوهم فيما اختاروه، وسلك طريقاً كطريقهم، كان ذلك مباحاً له ولغيره غير مستنكر، وذلك أن خلفاً ترك حروفاً من حروف حمزة واختار أن يقرأ على مذهب نافع، وأما أبو عبيد وابن سعدان فلم يتجاوز واحدٌ منهما قراءة أئمة الأمصار، ولو كان هذا الغافل نحا نحوهم كان مسوغاً لذلك غير ممنوع منه، ولا مَعيبٍ عليه، بل إنما

(١) منشور في مجلة الحكمة، العدد التاسع ١٤١٧هـ.

(٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٢/ ٢٠٦.

(٣) ينظر: ابن الجوزي: المنتظم ٧/ ٣١، والذهبي: معرفة القراء ١/ ٢٤٨.

(٤) تاريخ بغداد ٢/ ٢٠٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

كان النكير عليه شذوذه عما عليه الأئمة الذين هم الحجة فيما جاءوا به مجتمعين ومختلفين»[1].

وعلى نحو ما أنكر العلماء على ابن شَنَبُوذ اختياره، أنكروا على ابن مقسم اختياره. وألَّف ابن درستويه (ت٣٤٦هـ) كتاباً سماه «كتاب الرد على ابن مقسم في اختياره»[2].

(١) المصدر نفسه ٢/٢٠٨.

(٢) ابن النديم: الفهرست ص٦٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المبحث الثالث

أثر ظاهرة الاختيار على دراسة القراءات وروايتها

تُعَدُّ ظاهرةُ الاختيار قضية أساسية في تاريخ القراءات القرآنية. ومن أهم العوامل التي أدت إلى تشكُّل القراءات بالشكل الذي استقرت عليه منذ عصر ابن مجاهد البغدادي المتوفى سنة ٣٢٤هـ، وعلى الرغم من أن هذه الظاهرة لم تأت بوجوه جديدة في قراءة القرآن الكريم، فإنها تركت آثاراً عميقة في القراءات القرآنية، لعل من أهمها ما يأتي:

١- امتزاج قراءات الأمصار:

كانت قراءات الأمصار متميزة بعضها عن بعض، فكانت في المدينة قراءة زيد بن ثابت، وفي الكوفة قراءة عبد الله بن مسعود، وفي البصرة قراءة أبي موسى الأشعري، وفي الشام قراءة أبي الدرداء في دمشق، وقراءة معاذ بن جبل في حمص، وفي مكة كانت قراءة عبد الله بن عباس، وقد تداخلت هذه القراءات في عصر التابعين وتابعي التابعين، وظهرت بأشكال جديدة لكنها تستمد مادتها من قراءات الصحابة التي أشرت إلى أشهرها.

ولا يَصْعُبُ على القارىء الوقوف على هذه الحقيقة، وسبق عرض أمثلة لتشكُّلِ قراءات الأمصار في عصر التابعين وتابعي التابعين، في المبحث الأول، ولعل من أبرز الأمثلة على ذلك ما صارت إليه القراءات في العراق عامة ومدينة الكوفة خاصة، التي عَرَفَتْ أولاً قراءة عبد الله بن مسعود، ثم عرفت قراءة زيد بن ثابت عن طريق أبي عبد الرحمن السلمي الذي جلب نسخة من مصحف

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

عثمان إليها، وأقام يقرىء القرآن فيها أربعين سنة، وعَزَّز ذلك الاتجاه تحوُّلُ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إليها واتخاذها عاصمة للخلافة، على نحو ما أشرنا إلى ذلك من قبل.

وبتقدم السنين انتشرت قراءة أهل المدينة في الكوفة، وصارت تزاحم قراءة أهل الكوفة القديمة: قراءة عبد الله بن مسعود، وصارت القراءتان متساويتين في الانتشار في نهاية القرن الأول الهجري، يدل ذلك ما ذكره الذهبي وابن الجزري من أن سعيد بن جبير (ت٩٥هـ) كان يَؤُمُّ الناس في رمضان، فيقرأ ليلة بقراءة عبد الله بن مسعود، وليلة بقراءة زيد بن ثابت[١].

وحين نقترب من منتصف القرن الثاني نجد أن قراءة زيد تنتشر في الكوفة حتى لا يكاد أحد يذكر قراءة عبد الله بن مسعود، فقد نقل ابن مجاهد عن سليمان بن مهران الأعمش أنه قال لتلامذته: «أدركتُ الكوفة وما قراءة زيد فيهم إلا كقراءة عبد الله فيكم اليوم ما يقرؤ لها إلا الرجل والرجلان»[٢]. وكانت ولادة الأعمش سنة ٦٠هـ، ووفاته سنة ١٤٨هـ[٣].

وإذا كنا نلاحظ أن قراءة ابن مسعود قد أخذت تختفي معالمها في أوائل القرن الثاني، فإن عناصر من تلك القراءة قد دخلت في قراءة قُرَّاء الكوفة المشهورين عن طريق تلامذة ابن مسعود من التابعين، كما أن قراءة زيد بن ثابت لم تعد ظاهرة للعيان محددة المعالم، فقد مزج علماء القراءة من تابعي التابعين بينها وبين قراءة ابن مسعود وغيرها، وكذلك الحال في قراءة أهل البصرة والأمصار الإسلامية الأخرى.

إن ظاهرة الاختيار جعلت وجوه القراءات تتحرك وتنتقل من قراءة إلى أخرى وتتمازج بشكل مستمر، وأدى ذلك إلى اختفاء معالم القراءات الأولى وظهورها

---

(١) الذهبي: معرفة القراء ١/ ٥٧، وابن الجزري: غاية النهاية ١/ ٣٠٥.

(٢) السبعة ص٦٧.

(٣) ينظر: ابن الجزري: غاية النهاية ١/ ٣١٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

في عشرات الاختيارات.

٢- أزدياد عدد القراءات:

كان عدد القرَّاء من الصحابة الذين تصدَّروا للإقراء واشتهرت مذاهبهم في القراءة لا يكاد يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة، وإذا أردنا أن نحتاط فقل: عدد أصابع اليدين، وفي مقدمتهم زيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود، وأُبي بن كعب، وأبو موسى الأشعري، وأبو الدرداء رضي الله تعالى عنهم.

وبلغ عدد الذين أخذوا القراءات عن علماء الصحابة فتجردوا للقراءة، واشتدت بها عنايتهم، حتى صاروا أئمة يأخذها الناس عنهم، العشرات، وتضاعف العدد في عصر تابعي التابعين، بسبب اتساع بلاد المسلمين، وازدياد الحاجة إلى التعليم، واستقر في عُرفهم أنَّ كل من تصدَّى لقراءة القرآن له أن يختار طريقة في القراءة يُعَلِّمُهَا لمن يقرأ عليه، واكتفى بعضهم برواية قراءة شيخه، لكن النتيجة كانت ظهور عشرات الاختيارات في القراءة في القرون الثلاثة الأولى.

وتقدَّم في هذا البحث ذكر أصحاب الاختيارات الذين وقفت على أسمائهم، وهم يتجاوزون الثلاثين، سوى السبعة، ولعل واقع الحال كان ضعف هذا العدد أو أضعافه، وذلك لأن عدد علماء القراءة في عصر الاختيار، وهو القرون الثلاثة الأولى، يبلغ المئات، وكثير منهم كان له اختيار في القراءة، وأحياناً اختياران، على نحو ما وجدنا عند محمد بن عيسى الأصبهاني.

وإن مما يصوِّرُ كثرة ما صارت إليه القراءات بسبب الاختيار ما ذكره أبو القاسم الهذلي المتوفى سنة (٤٦٥هـ) في كتابه «الكامل» الذي وصفه ابن الجزري بأنه (الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها)[١]. ونقل ابن الجزري قول المؤلف في مقدمته: «وألَّفتُ هذا الكتاب فجعلته جامعاً للطرق المتلوة والقراءات المعروفة»[٢]. ومن الكتاب نسخة ناقصة مخطوطة في مكتبة الجامع

(١) النشر ١/ ٩١، وينظر: حاجي خليفة: كشف الظنون ١/ ١٣٨١.

(٢) غاية النهاية ٢/ ٣٩٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

الأزهر في القاهرة جديرة بالتحقيق والدراسة[1].

وأدرك ابن مجاهد البغدادي (ت٣٢٤هـ) ما أدت إليه ظاهرة الاختيار في القراءة من كثرة القراءات، وحمله ذلك على الامتناع من اختيار قراءة تنسب إليه، على عادة كبار علماء القراءة في زمانه وقبله. فقد نقل تلميذه عبد الواحد بن عمر المشهور بأبي طاهر بن أبي هاشم أن رجلاً سأل ابن مجاهد: «لِمَ لا يختارُ الشيخُ لنفسه حرفاً يُحْمَلُ عنه؟ فقال: نحن أحوجُ إلى أن نُعْمِلَ أنفسَنا في حفظ ما مضى عليه أئمتنا، أحوجَ منا إلى اختيار حرف يُقْرَأ به مِن بعدنا»[2].

وكان موقف ابن مجاهد هذا إيذاناً بتوقف حركة الاختيار في القراءة، لعدم وجود حاجة مُلِحَّةٍ تدعو إليها، مع ما يسببه تزايد عدد القراءات من عَنَتٍ على القراء والمتعلمين. ولم أعثر على اختيارات في القراءة ترجع إلى ما بعد عصر ابن مجاهد سوى ما ذكره ابن الجزري من أن عبد الله بن محمد بن فورك القباب الأصبهاني المتوفى ٣٧٠هـ، قد اختار اختياراً من القراءة رواه عنه الهذلي[3].

٣- اختيار القراءات السبع:

كان التأليف في علوم القرآن عامة والقراءات القرآنية خاصة قد بدأ مع بدء تدوين العلوم العربية والإسلامية، وكثرت الكتب المؤلفة في القراءات، وكانت المؤلفات الأولى تختص بقراءة قارىء معين، ثم صارت تستجيب لازدياد عدد الاختيارات، وكان كتاب أبي عبيد (ت٢٢٤هـ) أول كتاب جامع يُؤلَّفُ في القراءات، وجمع فيه قراءة خمسة وعشرين قارئاً، كما ذكر ابن الجزري، وكان بعده إسماعيل القاضي (ت٢٨٢هـ) ألَّف في القراءات كتاباً جمع فيه قراءة عشرين إماماً، وكان من بعده محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) جمع في كتابه في

---

(١) ينظر: عبد الصبور شاهين: تاريخ القرآن ص٢٢١.

(٢) ينظر: الذهبي: معرفة القراء ١/ ٢١٧.

(٣) غاية النهاية ١/ ٤٥٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

القراءات نيفاً وعشرين قراءة[1].

ودفعت كثرة الاختيارات علماء القراءة إلى التفكير في تمييز الاختيارات المشهورة عن غيرها، واعتمادها في التعليم والقراءة، قال مكي بن أبي طالب: «إن الرواة عن الأئمة من القراء كانوا في العصر الثاني والثالث كثيراً في العدد، كثيراً في الاختلاف، فأراد الناس في العصر الرابع أن يقتصروا من القراءات التي توافق المصحف على ما يَسْهُلُ حفظهُ وتنضبطُ القراءةُ به، فنظروا إلى إمام مشهور بالثقة والأمانة وحسن الدين، وكمال العلم، قد طال عمره، واشتهر أمره، وأجمع أهل مصره على عدالته فيما نقل، وثقته فيما قرأ وروى، وعلمه بما يقرأ، فلم تخرج قراءته عن خط مصحفهم المنسوب إليهم، فأفردوا كلَّ مصر وَجَّهَ إليه عثمانُ مصحفاً، إماماً هذه صفته، وقراءته على مصحف ذلك المصر، فكان أبو عمرو من أهل البصرة، وحمزة وعاصم من أهل الكوفة وسوادها، والكسائي من أهل العراق، وابن كثير من أهل مكة، وابن عامر من أهل الشام، ونافع من أهل المدينة... وأول من اقتصر على هؤلاء أبو بكر بن مجاهد، قبل سنة ثلاث مئة، أو في نحوها، وتابعه على ذلك مَنْ أتى بعده إلى الآن»[2].

وابن مجاهد الذي يُنسب إليه ذلك العمل قال عنه ابن النديم: «آخر مَن انتهت إليه الرئاسة بمدينة السلام أبو بكر أحمد بن موسى بن ٱلعباس بن مجاهد، وكان واحدَ عصره غير مدافع، وكان مع فضله وعلمه وديانته ومعرفته بالقراءات وعلوم القرآن، حَسَنَ الأدب، رقيقَ الخلق، كثيرَ المداعبة، ثاقبَ الفطنة، جواداً. ومولده سنة خمس وأربعين ومئتين، وتُوُفِّيَ في يوم الأربعاء لليلة بقيت من شعبان سنة أربع وعشرين وثلاث مئة...»[3]. ووصفه ابن الجزري بأنه «شيخُ الصنعةِ، وأولُ مَن سَبَّعَ السبعة»[4].

---

(١) النشر ١/ ٣٤.

(٢) الإبانة ص٤٧-٤٨.

(٣) الفهرست ص٣٤.

(٤) غاية النهاية ١/ ١٣٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

إن عمل ابن مجاهد استند إلى موقفه من ظاهرة الاختيار، فإنه امتنع عن اختيار قراءة تُنسب إليه، وَوَجَّهَ عنايته إلى دراسة القراءات المعروفة في زمانه، ومَيَّزَ بين القراءات الصحيحة المشهورة، وألَّفَ فيها كتابه «السبعة»، والقراءات الشاذة، وألف فيها كتابه «شواذ السبعة»، وذكر ابن جني أن القراءات صارت ضربين: «ضرباً اجتمع عليه أكثر قرَّاء الأمصار، وهو ما أودعه أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد - رحمه الله - كتابه الموسوم بقراءات السبعة، وهو بشهرته غانٍ عن تحديده، وضرباً تعدَّى ذلك، فسمَّاه أهل زماننا شاذاً، أي خارجاً عن قراءة القرَّاء السبعة المقدَّم ذكرها»[1]. وقد اعتمد ابن جني على كتاب «شواذ السبعة» لابن مجاهد في كتابه «المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات»[2]، لكن الكتاب بشكله الأصلي مفقود اليوم.

ووضَّح ابن مجاهد منهجه في تأليف كتابه «السبعة في القراءات» بقوله: «اختلف الناس في القراءة كما اختلفوا في الأحكام، ورُويت الآثار بالاختلاف عن الصحابة والتابعين توسعةً ورحمةً للمسلمين، وبعضُ ذلك قريبٌ من بعض، وحَمَلَةُ القرآن متفاضلون في حَمْلِه، ولِنَقَلَةِ الحروف منازل في نقل حروفه. وأنا ذاكرٌ منازلهم ودالٌّ على الأئمة منهم، ومُخبِرٌ عن القراءة التي عليها الناس بالحجاز والعراق والشام، وشارح مذاهب أهل القراءة، ومبين اختلافهم واتفاقهم إن شاء الله، وإياه نسأل التوفيق بمَنِّهِ... والقراءة التي عليها الناس بالمدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام هي القراءة التي تَلَقَّوْهَا عن أوَّلِيهم تلقياً، وقام بها في كل مصر من الأمصار رجلٌ ممَّن أخذ عن التابعين، أجمعتِ الخاصة والعامة على قراءته، وسلكوا فيها طريقه، وتمسكوا بمذهبه...»[3].

ثم ذكر ابن مجاهد القرَّاء السبعة وشيوخهم وتلامذتهم، ثم قال: «فهؤلاء سبعة نفر من أهل الحجاز والعراق والشام، خلفوا في القراءة التابعين، وأجمعت على

---

(١) المحتسب ١/ ٣٢.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ١/ ٣٥.

(٣) السبعة ص٤٧-٤٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

قراءتهم العوام من أهل كل مصر من هذه الأمصار التي سَمَّيْتُ، وغيرها من البلدان التي تقرب من هذه الأمصار، إلَّا أن يستحسن رجلٌ لنفسه حرفاً شاذاً، فيقرأ به، من الحروف التي رُوِيَت عن بعض الأوائل منفردة، فذلك غير داخل في قراءة العوام، ولا ينبغي لذي لُبٍّ أن يتجاوز ما مضت عليه الأئمة والسلف بوجه يراه جائزاً في العربية، أو مما قرأ به قارىء غير مجمع عليه»[1].

وبعد أن اختار ابن مجاهد قراءات هؤلاء السبعة، وأَلَّفَ في قراءاتهم كتابه «السبعة» اتجهت العناية إليهم، ودارت المؤلفات حول وصف قراءاتهم، ولم يُضَفْ إليهم إلا ثلاثةٌ من القراء، وهم أبو جعفر القارىء شيخ نافع، ويعقوب الحضرمي تلميذ أبي عمرو بن العلاء، وخلف بن هشام تلميذ الكسائي، وتأثر المؤلفون في علم القراءات بصنيع ابن مجاهد، فأطلق بعضهم صفة الشذود على ما عدا القراءات السبع أو العشر، على نحو ما فعل البنا الدمياطي في كتاب «إتحاف فضلاء البشر» حين وصف اختيار الأعمش واليزيدي بالشذوذ[2].

٤- تأصيل شروط القراءة الصحيحة:

تلَقَّى الصحابة - رضي الله عنهم - القرآن عن النبيِّ ﷺ فحفظوه في الصدور، ودوَّنوه في السطور، وتتلمذ عليهم التابعون، وأخذوا عنهم قراءاته، واتسعت دائرة الرواية والاختيار، وجعل ذلك علماءَ القراءة يفكرون في وضع ضوابط لتمييز الرواية الصحيحة من الشاذة، والاختيار المشهور الموافق للمأثور من غيره.

قال البنا الدمياطي: «ثم إن القراء الموصوفين بما ذكر بعد ذلك تفرقوا في البلاد، وخلفهم أمم بعد أمم، فكثر الاختلاف وعسر الضبط، فوضع الأئمة لذلك ميزاناً يرجع إليه، وهو السند والرسم والعربية»[3].

---

(١) السبعة ص٨٧.

(٢) ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص٤.

(٣) المصدر نفسه ص٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وصارت هذه الشروط مقياساً لتمييز الصحيح من الشاذ، واستخدمها أبو عبيد القاسم بن سلاَّم في كتابه الذي ألَّفه في القراءات، وهو أول كتاب جامع يؤلف فيها، على نحو ما أشرنا في أول المبحث الأول، وأجمع على اعتمادها علماء القراءة، قال ابن الجزري (ت٨٣٣هـ): «فقام جهابذة علماء الأمة، وصناديد الأئمة، فبالغوا في الاجتهاد، وبينوا الحق المراد، وجمعوا الحروف والقراءات، وعزوا الوجوه والروايات، وميَّزوا بين المشهور والشاذ، والصحيح والفاذ، بأُصول أَصَّلُوها، وأركان فصلوها، وها نحن نشير إليها، ونعوِّل كما عوَّلوا عليها، فنقول: كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصحَّ سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها، ولا يحل إنكارها. . .»[١].

وكان اختيار ابن مجاهد للقراءات السبع، وتمييزها عن غيرها من القراءات قد ترك انطباعاً بأنَّ ما عداها شاذ، وتطور بذلك معنى الشذوذ في القراءة، فبعد أن كانت القراءة الشاذة هي المخالفة لخط المصحف، صارت كل قراءة سوى القراءات السبع شاذة[٢]، وظنَّ بعض من لا علم له أن هذه القراءات هي المقصودة بحديث الأحرف السبعة، ومن ثم فقد كره بعض العلماء اقتصار ابن مجاهد على هؤلاء السبعة، وقالوا هَلاَّ زاد عليهم أو نقص[٣].

ولم يمض وقت طويل على عصر ابن مجاهد حتى عادت الشروط الثلاثة هي التي تحدد صحة القراءة من شذوذها، فقال مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ): «وإنما الأصل الذي يعتمد عليه في هذا: أن ما صحَّ سنده، واستقام وجهه في العربية، ووافق لفظه خط المصحف فهو من السبعة المنصوص

---

(١) النشر ١/ ٩.

(٢) ينظر: ابن النديم: الفهرست ص٣٣، حيث ذكر ابن النديم أربعة وعشرين من قراء الشواذ عن السبعة، منهم أبو جعفر، ويعقوب، وخلف، من القراء العشرة.

(٣) ينظر: ابن الجزري: النشر ١/ ٣٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

عليها، ولو رواه سبعون ألفاً، متفرقين أو مجتمعين»[1].

وقال أبو شامة: «فليس الأقرب في ضبط هذا الفصل إلا ما قد ذكرناه مراراً من أن كل قراءة اشتهرت بعد صحة إسنادها وموافقتها خط المصحف، ولم تنكر من جهة العربية فهي القراءة المعتمد عليها، وما عدا ذلك فهو داخل في حيز الشذوذ والضعيف»[2].

ومع أن تلك الشروط ظلت هي المعتمدة في قبول القراءة وردها، إلا أن بعض العلماء المتأخرين يذهب إلى تقسيم القراءات على ثلاثة أقسام: قسم اتفق على تواتره، وهو السبع، وقسم اختلف في تواتره، وهو الثلاث بعدها، وقسم متفق على شذوذه وهو ما عدا القراءات العشر[3].

---

(١) الإبانة ص٥١.

(٢) المرشد الوجيز ص١٧٨.

(٣) ينظر: السيوطي: الإتقان ١/ ٢١٠، والقسطلاني: لطائف الإشارات ١/ ١٧٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

الخاتمة

الاختيارُ ظاهرةٌ أصيلةٌ في رواية القراءات القرآنية، وهي تمثل منهجاً عملياً سهَّل على القراء اختيار القراءة التي يُعَلِّمُونها للناس، لصعوبة استيعابهم كُلَّ القراءات المروية عن الصحابة، ولم يجدوا قراءة أولى من قراءة، فاختاروا من الوجوه التي أخذوها عن شيوخهم وجهاً يلتزمونه في التعليم والتلاوة.

وكانت ظاهرة الاختيار في القراءة تستهدي بشروط القراءة الصحيحة الثلاثة، وأدَّى ذلك إلى تمييز مجموعة من الاختيارات التي اختل فيها بعض تلك الشروط، ومن ثم فإنها وُصِفت بالشذوذ، وكان ذلك كافياً، للإعراض عنها، وترك القراءة بها، منذ وقت مبكر.

وكَثُرَتِ الاختيارات الصحيحة المستوفية للشروط كثرة جعلت شيخ القرَّاء في بغداد يعلن ضرورة توقف ظاهرة الاختيار، فأمتنع ابن مجاهد عن اختيار قراءة تنسب إليه، وقام بمراجعة الاختيارات المعروفة في زمانه، ومَيَّزَ بين الصحيح المشهور، والشاذ المتروك، ووضع كتابه «السبعة» في القراءات الصحيحة، وكتابه «شواذ السبعة» فيما عداها، واقتدى الناس بعمله، وائتموا باختياره، واندثرت الاختيارات الصحيحة المستوفية للشروط ما عدا السبعة التي اختارها ابن مجاهد، ولم يُضَفْ إليها سوى ثلاثة اختيارات حازت من الشهرة ما جعلها تلتحق بالسبع، وصارت القراءات الصحيحة المشهورة عشر قراءات.

ولعل القارىء يلاحظ أن القراءات المشهورة في زماننا، التي تُضبط بها المصاحف المطبوعة، ويلتزمها الناس في التلاوة، لا تكاد تتجاوز قراءة عاصم برواية حفص عنه، وقراءة نافع برواية ورش عنه، فكأنَّ الأمة اختارت بعد عصر

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

الاختيار هاتين القراءتين من القراءات السبع، لتكونا أساساً للتلاوة، مع بقاء عناية أهل الاختصاص بالقراءات الأخرى، وقد أتاحت وسائل التسجيل الصوتي الحديثة والأقراص المدمجة اطلاع الناس على هذه القراءات والاستماع إليها، لكن التيسير في التلاوة مطلوب، وقد تحقق ذلك باشتهار قراءة عاصم في بلدان المشرق الإسلامي، وقراءة نافع في بلدان المغرب الإسلامي.

ويلاحظ الدارس للقراءات القرآنية أن جُلَّ عناية الدارسين تركزت حول القراءات السبع والعشر، رواية وتعليماً وتأليفاً، ولم يصل إلينا من المؤلفات الجامعة للاختيارات القديمة شيءٌ، وهو أمر يحول دون كتابة تاريخ القراءات على نحو شامل، وأحسب أنه من المهم البحث عن تلك المؤلفات، وأخصُّ بالذكر منها: كتاب أبي عبيد، وأبي حاتم، وإسماعيل القاضي، والطبري، وأعتقد أن العثور على واحد من هذه الكتب سيكون إنجازاً علمياً متميزاً في هذا المجال، وما ذلك على الله بعزيز، وآخر دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

(٣)

عِلْمُ القراءةِ بَيْنَ الرِّوايةِ والدِّراية[١]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة:

الحمدُ لله، وسلامٌ على عبادِه الذين اصطفى، أما بَعْدُ:

فإن علمَ قراءةِ القرآنِ - اليوم - صار موضعَ عنايةِ جمهور المثقفين والمتعلمين، حرصاً منهم على تصحيح قراءة القرآن، وضبطِ تلاوته، وتعددت وسائل تعليم القراءة، فظهر إلى جانب التلقي المباشر من المعلمين وسيلة الأشرطة الصوتية المسموعة والمرئية، وتُسْهِمُ في هذه الحركة المباركة جهود الأفراد والجمعيات والمؤسسات الرسمية، في البيوت والمساجد والمدارس والمعاهد والجامعات، وصارت تلك الجهود تؤتي ثمارها، والحمد لله.

ولأهل العراق إسهامٌ وافرٌ في علم القراءة القرآنية، منذ أن تَشَرَّفَت أرض العراق بالإسلام، فكان من أقدم المعلمين للقرآن في العراق اثنان من كبار أصحاب رسول الله ﷺ وهما: أبو موسى الأشعري وعبد الله بن مسعود، رضي الله عنهما. وكانت حِصَّةُ العراق من المصاحف التي كتبها الصحابة في عهد خلافة سيدنا عثمان بن عفان - رضي الله عنه - مصحفين من خمسة مصاحف. وكان أربعةٌ من القراء السبعة من أهل العراق، وهم: عاصم وأبو عمرو بن العلاء

(١) منشور في المجلة العراقية للعلوم الإسلامية في بغداد، العدد الأول، ١٤٢٣هـ= ٢٠٠٢م، ص٧٦-١٠٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وحمزة والكسائي، كما أن ستة من القراء العشرة من أهل العراق، الأربعة المذكورون ومعهم يعقوب وخلف. وكان أكبر علماء القراءة وأكثرهم تأثيراً من بغداد: ابن مجاهد، الذي قال عنه ابن الجزري بأنه «شيخُ الصَّنْعَة، وأوَّلُ مَن سَبَّع السبعة».

ويبدو لي أن المشتغلين بعلم القراءة في بلادنا والمتخصصين بدراستها يحرصون على الرواية أكثر من حرصهم على الدراية، وهذا خلل عند أهل المعرفة بهذا الشأن، لا يليق بحملة القرآن، وعليهم المسارعة إلى سَدِّ هذا الخلل، وبذل الجهد من أجل إعادة التوازن إلى شِقَّيِ هذه المعادلة: الرواية والدراية.

وكتبتُ هذا البحث للتنبيه على هذه المسألة، وقدَّمت له بمبحث في التعريف بالمصطلحين، وتَتَبُّعِ موقعهما في التراث العلمي للأمة، على نحو موجز، ثم جعلتُ المبحث الثاني للحديث عن تأكيد علماء قراءة القرآن أهمية الدراية للمتخصصين بعلم القراءة، سواء كانوا متخصصين بعلم القراءات، أم بعلم التجويد، فعلى الرغم من قولهم: إن علمَ القراءات علم رواية، وعلمَ التجويد علم دراية، فإنهم يُحَذِّرُون من إهمال الدراية لحامل القراءات القرآنية، كما يحذرون من إهمال الرواية للمتخصص بعلم التجويد، وجعلتُ الخاتمة للمناقشة والاستنتاج.

وأدعو الله تعالى أن يوفقني في هذا البحث للصواب، وأن يجعلَه تذكرةً لحملة القرآن، لاستكمال تحصيلهم العلمي، حتى يُؤَدُّوا رسالتهم العظيمة في تعليم القرآن على أحسن وجه، جعلني الله تعالى وإيَّاهم ممن قال فيهم رسول الله ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَن تَعَلَّمَ القرآنَ وعَلَّمَهُ».

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المبحث الأول

الرواية والدراية في التراث العلمي العربي

الرِّوَاية والدِّرَاية مصدران للفعلين: رَوَى، ودَرَى، والمَصْدَرُ عند أهل اللغة: صيغة اسمية تَدُلُّ على الحدث فقط[1]. والوزن الصرفي الذي جاءت عليه الكلمتان هو (الفِعَالة)، وهو وزن يدل في العربية على الحِرَفِ وشبهها، نحو: الصِّياغة، والخِياطة، والتجارة، والزراعة، وما أشبهها[2]. ويبدو أن هذه المصادر نُقِلَت من المصدرية إلى الاسمية.

والرِّوايةُ مَصْدَرُ الفعلِ رَوَى يَرْوِي، يقال: رَوَى الحديثَ والشعرَ يَرْويهِ روايةً، وهو رَاوٍ، وراويةٌ إذا كَثُرَتْ روايته، والهاء للمبالغة. ويُقال: رَوَّى فلانٌ فلاناً شعراً، إذا رواه له حتى حَفِظَهُ، للرواية عنه. وتقول: أنشدِ القصيدةَ يا هذا، ولا تَقُلْ: آرْوِها إلا أن تأمرَه بروايتها، أي باستظهارها[3]. ويظهر من هذا أن الرواية قرينة الحفظ.

والدِّراية مصدرُ الفعل دَرى يَدْرِي، يقال: دَرَيْتُ الشَّيْءَ أَدْرِيهِ: عَرَفْتُهُ، وأدريتُه غيري: إذا أعلمتَه. ويقال: يُصِيبُ وما يَدْرِي، ويُخْطِئُ وما يَدْرِي، أي إصابَتَهُ، أي هو جاهل، إن أخطأ لم يَعْرِفْ، وإنْ أصابَ لم يَعْرِفْ[4].

---

(١) المعجم الوجيز ص٣٦١.

(٢) الرضي: شرح الشافية ١/١٥٣.

(٣) ابن منظور: لسان العرب ١٩/٦٦-٦٧ (روى).

(٤) المصدر نفسه ١٨/٢٧٨ (درى).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وفرَّقَ المُفَسِّرون بين الفعلين عَلِمَ ودَرَى، فالعِلْم ما جاءَ من غير كُلْفَة، والدرايةُ ما كان عن كلفة، ولهذا يُسْنَدُ الفعل (عَلِمَ) إلى الله تعالى، ولا يُسْنَدُ (درى) إليه. قال البيضاوي، وهو يفسِّر قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان]. قال: «... والدراية للعبد، لأنَّ فيها معنى الحيلة، فَيُشْعِرُ الفَرْقَ بين العِلْمَيْنِ»[1]. وقال الراغب: «الدرايةُ المعرفةُ المُدْرَكةُ بضربٍ من الخَتْلِ»[2].

وهناك تلازم بين الرواية والدراية، لأن «الدراية موقوفةٌ على الرواية، وكيف يَقَعُ نظرَ الناظر في حديثٍ قبلَ وصولهِ إليه، أو يتأتَّى العلمُ بمعناه قبل الوقوف عليه، وهل يثبت فرعٌ على غير أصل في مقتضى القياس، أو يُرْقَى من غير سُلَّمٍ، أو يُبنى على غير أساس؟»[3].

ووردت أقوالٌ يُفهم منها تقديم الرواية أو تقديم الدراية، مثل قَوْلِ مَن قال: «وإذا ثبتت الروايةُ بَطَلَتِ الدراية»[4]. أو ما رُوِيَ من قول بعضهم: إن العلماء هِمَّتُهُمُ الدرايةُ، وإن السفهاءَ همتهم الرواية[5]. ولا شك في أن النظر إلى تقابل الرواية والدراية أمر يخالف ما يشير إليه واقع العلوم وتاريخ الفكر، ففي كل علم من العلوم النظرية أو العملية أشياء تُنقل من الخبرة المتراكمة لأجيال البشرية، ثم تتفاوت العلوم في مقدار ما يمكن أن يُضاف إليها من اجتهاد العلماء في كل عصر، ولا شك في صحة قاعدة «لا اجتهاد مع النص» ولكن فهم النص يحتاج إلى دراية.

وجاء في التراث العلمي للأُمة ما يصحح المعادلة بين الرواية والدراية،

---

(١) أنوار التنزيل ٢/ ٢٣٢.

(٢) المفردات ص١٧٥، وينظر: المناوي: التوقيف على مهمات التعاريف ص٦٣٥ و٦٤٥.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى ١٤/ ٢٥٥.

(٤) الشوكاني: فتح القدير ٤/ ٤٥٣.

(٥) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ١/ ٤١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

ويجعل كلاًّ منهما مرتبة في سُلَّم المعرفة، ومنزلة في حياة المسلم في سَعْيِهِ إلى رضوان الله. يقول ابن القيم: «ومراتبُ العلم والعمل ثلاثة: رواية، وهي مُجَرَّدُ النَّقْلِ وحَمْلُ المَرْوِيِّ، ودراية وهي فَهْمُهُ وتَعَقُّلُ معناه، ورعايةٌ وهي العمل بِمُوجب ما عَلِمَهُ ومقتضاه، فالنَّقَلَةُ هِمَّتُهمُ الروايةُ، والعلماءُ همتهم الدراية، والعارفون همتهم الرعاية»[1].

وتحدَّث ابن القيم عن طبقات العلماء فجعلهم ثلاث طبقات: الطبقة الأولى: أهل رواية ودراية، كمالك والشافعي والأوزاعي وإسحاق بن راهويه وأحمد بن حنبل والبخاري وأمثالهم، والطبقة الثانية: أهل رواية ورعاية ولهم نصيب من الدراية، كأبي زرعة وأبي حاتم وسعيد بن أبي عروبة وغيرهم، والطبقة الثالثة: الأشقياء، لا رواية ولا دراية ولا رعاية، هَمُّهُم الزينةُ والرياسةُ والطعامُ[2].

وأصل هذا التقسيم وارد في كلام أحد الزهاد، وهو أبو بكر أحمد بن محمد بن أبي سعدان البغدادي الذي قال: «مَن عَمِلَ بعِلْمِ الرواية وُرِّثَ عِلْمَ الدراية، ومَن عَمِلَ بعلم الدراية وُرِّث عِلْمَ الرعاية، ومَنْ عَمِلَ بعلم الرعاية هُدِيَ إلى سبيل الحق»[3].

ولعل استخدام كلمة (عِلْم) مع الرواية والدراية لا يخلو من المسامحة، فإن هاتين الكلمتين تدلان على منهج في التفكير أكثر من دلالتهما على علم من العلوم، ولهذا غَلَبَ استخدام الكلمتين مُعَرَّفتين بأل، على استخدامهما مضافتين إلى كلمة (علم).

وجاء في كتب العلوم الإسلامية وصف العلماء بإحدى هاتين الكلمتين أو بكلتيهما، كما جاء تقسيم العلوم على قسمين على أساس منهما.

فنجد في كتب التراجم وَصْفُ بعض العلماء بأنه «الجامع بين الدراية

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ٦٠.

(٢) ينظر: الوابل الصيب ١/ ٨٤-٨٥.

(٣) السلمي: طبقات الصوفية ص٤٢١، وأبو نعيم: حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

والرواية»[1]. أو أنه «جَمَع بين عُلُوِّ الرواية وكَثرة الدراية»[2]، ومن العلماء مَن كان مائلاً إلى الدراية أكثر من الرواية[3]، ومنهم من كانت الرواية أغلب عليه من الدراية[4].

أما وصف العلوم بإحدى هاتين الكلمتين، أو تقسيمها على أساسهما، فأمر مشهور، ويكاد يشمل معظم العلوم الشرعية واللغوية، وسوف أتحدث عن صلة علم القراءة بهما في المبحث الثاني، وأُشير هنا إلى العلوم الأُخرى.

فمن تفاسير القرآن ما يعتمد على الرواية، ومنها ما يعتمد على الدراية، حتى ظهر ذلك في عناوينها، فالسيوطي سَمَّى أحد مؤلفاته في التفسير بـ«مَجْمَعُ البَحْرَيْنِ ومَطْلَعُ البَدْرَيْنِ الجامعُ لتحرير الرواية وتقرير الدراية»[5]. ويقول الشوكاني في مقدمة تفسيره: «فهذه كُتُبُ التفسير على ظهر البسيطة، انظر تفاسيرَ المعتمدين على الرواية، ثم ٱرجع إلى تفاسير المعتمدين على الدراية، ثم انظر في هذا التفسير بَعْدَ النَّظَرَيْنِ، فعندَ ذلك يُسْفِرُ الصبحُ لذي عينين... وقد سميته: فتح القدير الجامع بين فَنَّيِ الرواية والدراية من علم التفسير»[6].

وعلم الحديث النبوي الشريف ينقسم إلى علم رواية وعلم دراية، و«علم الحديث الخاص بالرواية: علمٌ يشتمل على أقوال النبي ﷺ وأفعاله، وروايتها وضبطها وتحرير ألفاظها. وعلم الحديث الخاص بالدراية: علمٌ يُعْرَفُ منه حقيقة الرواية، وشروطها وأنواعها وأحكامها، وحال الرواة وشروطهم، وأصناف المرويات وما يتعلق بها»[7].

---

(١) ينظر: السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ١٠/١٠٣.

(٢) ينظر: الأتابكي: النجوم الزاهرة ٥/ ٣٠.

(٣) ينظر: ابن الأبار: كتاب التكملة ١/ ١٩٥.

(٤) المصدر نفسه ١/ ٢٥٧.

(٥) ينظر: السيوطي: الإتقان ١/ ٢٧.

(٦) فتح القدير ١/ ١٣.

(٧) ينظر: السيوطي: تدريب الراوي ١/ ٤-٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وعلم الفقه علم دراية، وكذا علم أُصول الفقه[١].

واللغة لا بد من تحصيلها رواية، ثم إتقانها دراية[٢]، والتصحيف والتحريف باب صَعْبٌ لا يكاد يضبطه إلا كثيرُ الرواية غزير الدراية[٣]، والأمثال يحتاج الرجل في معرفتها مع العلم بالغريب إلى الوقوف على أُصولها، والإحاطة بأحاديثها، ويَكْمُلُ ذلك لمَن اجتهد في الرواية، وتقدَّم في الدراية[٤].

وهذه النصوص على وجازتها تشير إلى أهمية الرواية في تحقيق العلوم الشرعية واللغوية، لكن الرواية وَحْدَها لا تحقق الغاية، ولا بد من إعمال الدراية في نصوصها، فالعالم هو مَنْ جَمَعَ بين الرواية والدراية، لكن مواهب العلماء متفاوتة في هذا المجال، وكذلك العلوم متباينة في حاجتها إلى كل من الرواية والدراية، وإذا كنا قد أشرنا إلى موقعهما في كثير من العلوم، بقي أن نتتبع في علم القراءة، وهو ما نحاول القيام به في المبحث الآتي، إن شاء الله.

---

(١) ينظر: القنوجي: أبجد العلوم ٢/ ٢٠٠.

(٢) ينظر: الجوهري: الصحاح ١/ ٣٣.

(٣) ينظر: السيوطي: المزهر ٢/ ١٩٣.

(٤) ينظر: أبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال ١/ ٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المبحث الثاني

الرواية والدراية في علم القراءة

يَشْمَلُ علم القراءة عِلْمَيْنِ: القراءات، والتجويد، فالقراءاتُ «علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها، بعَزْوِ الناقلة»[1]. والتجويد علمٌ يُبْحَثُ فيه عن مخارج الحروف وصفاتها، والأحكام الصوتية الناشئة عن التركيب[2].

وكلا العلمين موضوعهما ألفاظ القرآن، وبينهما تكامل، إلَّا أن كُلَّ علمٍ يتناول جانباً من النطق بألفاظ القرآن، قال محمد المرعشي: «إن قلتَ: ما الفرقُ بين عِلْمَيِ التجويد والقراءات؟ قلت: علمُ القراءات عِلْمٌ يُعْرَفُ فيه اختلافُ أئمةِ الأمصار في نَظْمِ القرآن في نَفْسِ حروفه أو في صفاتها، فإذا ذُكِرَ فيه شيءٌ من ماهية صفات الحروف فهو تتميم، إذ لا يتعلق الغرض به، وأما علم التجويد فالغرض منه معرفة ماهيات صفات الحروف، فإذا ذُكِرَ فيه شيءٌ من اختلاف الأئمة فهو تتميم»[3].

وذهب بعض العلماء إلى نسبة علم القراءات إلى الرواية، وعلم التجويد إلى الدراية، فقال مكيُّ بن أبي طالب القيسي في كتابه «الرعاية لتجويد القراءة»: «وإذا تكرَّرت الذال وَجَبَ بيانها، نحو: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١﴾ [ص]، فهذا قد اجتمع فيه في اللفظ ثلاثُ ذالات، فبيانُه لازمٌ، وقد ذكرنا في غير هذا الكتاب ما تُدْغَمُ فيه الذال وغيرها من الحروف، مما اختلف القراء فيه، فأغنى

---

(١) ابن الجزري: منجد المقرئين ص٣.

(٢) ينظر: المرعشي: جهد المقل ص١٠٩.

(٣) جهد المقل ص١١٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

عن ذكر ذلك في هذا الكتاب. فتلك الكتبُ كُتُبٌ تُحْفَظُ منها الروايةُ المختلف فيها، وهذا الكتابُ يُحْكَمُ فيه لفظُ التلاوة التي لا خلاف فيها، فتلك كُتُبُ روايةٍ، وهذا كتابُ درايةٍ»[1].

وكرَّر مكيٌّ ذلك في كتابه «الكشف عن وجوه القراءات» الذي شرح فيه كتابه «التبصرة في القراءات السبع»، واحتجَّ لما ذُكِرَ فيه من القراءات، فقال: «فلا غناء لمن كَتَب كتابنا هذا، واعتمد عليه، عن الكتاب الأول الذي هذا شرحه: كتاب التبصرة، فهذا الكتاب كتاب فَهْمٍ وعِلْمٍ ودرايةٍ، والكتاب الأول كتاب نَقْلٍ ورواية»[2].

والمتتبع لأقوال العلماء في هذه المسألة يجد أن تخصيص الرواية بالقراءات، والدراية بالتجويد، لا يعني انفصال الدراية عن القراءات، أو الرواية عن التجويد، ومن ثَمَّ فإن ما ذَهَبَ إليه مكيٌّ يجب أن يُحْمَلَ على إرادته غلبة جانب الرواية والنقل على علم القراءات، وجانب الدراية والاستنباط على علم التجويد، وليس اختصاص أحد العلمين بواحد منهما.

وقد جاءَنا عن إمام المقرئين أبي العباس أحمد بن موسى بن مجاهد البغدادي (ت٣٢٤هـ) ما يُبَيِّنُ حاجة المشتغل بعلم القراءات إلى الدراية، فقال فيما نقله عنه ابن الجزري: «لا تَغْتَرُّوا بكل مُقْرِىء، إذِ الناسُ على طبقاتٍ:

فمنهم مَن حَفِظَ الآية والآيتين والسورةَ والسورتين، ولا عِلْمَ له غير ذلك، فلا تُؤْخذُ عنه القراءةُ، ولا تُنْقَلُ عنه الروايةُ، ولا يُقرأُ عليه.

ومنهم مَن حَفِظَ الروايات، ولم يَعْلَمْ معانيها، ولا استنباطها من لغاتِ العربِ ونَحْوِها، فلا تُؤخذُ عنه، لأنه ربما يُصَحِّفُ.

ومنهم مَن تعلَّم العربية، ولا يَتَّبِعُ الأثَرَ والمشايخَ في القراءة، فلا تُنْقَلُ عنه

---

(١) الرعاية ص٢٢٥-٢٢٦.

(٢) الكشف ١/٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

الروايةُ، لأنه ربما حَسَّنَتْ له العربية حَرْفاً، ولم يُقْرَأْ به، والرواية مُتَّبَعةٌ، والقراءةُ سُنَّةٌ يأخذها الآخِرُ عن الأول.

ومنهم مَن فَهِمَ التلاوةَ، وعَلِمَ الروايةَ، وأخذ حظاً من الدراية: مِن النحو واللغة، فتُؤْخَذُ منه الروايةُ، ويُقْصَدُ للقراءة، وليس الشَّرْطُ أن يجتمع فيه جميع العلوم، إذ الشريعة واسعة، والعمر قصير، وفنون العلم كثيرة، ودواعيه قليلة، والعوائق معلومة، تَشْغَلُ كُلَّ فريق بما يَعنيه»[1].

وكلام ابن مجاهد من الوضوح في الدعوة إلى الاعتناء بالدراية لمن يعلِّمُ القراءات، التي فَسَّرَها بالنحو واللغة، بما لا يُحْوِج إلى زيادة بيان، وقد جاءت المعاني التي تضمنها هذا الكلام، الذي نقله ابن الجزري، في مقدمة كتاب «السبعة في القراءات» لابن مجاهد نفسه، ولولا ما جاء في هذه المقدمة من تفصيل يؤكد ما نقله ابن الجزري ويوضحه، لاكتفيت به عنه، وأحسب أن في نقل ما جاء في المقدمة ما يزيد في وضوح حاجة مُعَلِّمِ القراءات إلى الدراية بعلوم اللغة العربية.

قال ابن مجاهد، في مقدمة كتاب «السبعة»:

«فمِن حَمَلَةِ القرآنِ المُعْرِبُ، العالمُ بوجوه الإعراب والقراءات، العارفُ باللغات ومعاني الكلام، البصيرُ بِعَيْبِ القراءات، المنتقدُ للآثار، فذلك الإمام الذي يَفْزَعُ إليه حُفَّاظُ القرآن، في كل مِصْرٍ من أمصار المسلمين.

ومنهم مَن يُعْرِبُ ولا يَلْحَنُ، ولا علمَ له بغير ذلك، فذلك كالأعرابيِّ الذي يقرأُ بلغته، ولا يقدر على تحويل لسانه، فهو مطبوع على كلامه.

ومنهم مَن يُؤَدِّي ما سمعه مِمَّنْ أَخذ عنه، ليس عندَه إلا الأَداءُ لما تعلَّمَ، لا يَعْرِفُ الإعرابَ ولا غيره، فذلك الحافظُ، فلا يلبثُ مِثله أن ينسى إذا طال عهده، فيُضَيِّعَ الإعرابَ لشدة تشابهه، وكَثرةِ فَتْحِهِ وضَمِّهِ وكَسْرِهِ في الآية الواحدة، لأنه

(١) منجد المقرئين ص٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

لا يَعْتَمِدُ على علمٍ بالعربية، ولا به بَصَرٌ بالمعاني يرجعُ إليه، وإنما اعتماده على حفظه وسماعه، وقد ينسى الحافظُ، فيضَيِّعُ السماعَ، وتشتبهُ عليه الحروف، فيقرأ بلَحْنٍ لا يعرفه، وتدعوه الشبهةُ إلى أن يَرْوِيَهُ عن غيره ويُبَرِّىءَ نفسه، وعسى أن يكونَ عندَ الناس مُصَدَّقاً، فَيُحْمَلُ ذلك عنه، وقد نسِيَهُ، ووَهِمَ فيه، وجَسَرَ على لزومه والإصرار عليه. أو يكونَ قد قرأ على مَن نَسِيَ وضَيَّعَ الإعرابَ، ودخلته الشبهة فيتوَهَّم، فذلك لا يُقَلَّدُ القراءة، ولا يُحْتَجُّ بنقله.

ومنهم مَن يُعرِبُ قراءته، ويُبْصِرُ المعاني، ويعرفُ اللغاتِ، ولا عِلْمَ له بالقراءات واختلاف الناس والآثار، فربما دعاه بصره بالإعراب إلى أن يقرأ بحرفٍ جائزٍ في العربية لم يَقْرَأْ به أحدٌ من الماضين، فيكون بذلك مبتدعاً»[1].

وابن مجاهد في هذه النصوص قد جعل القراء على أربع طبقات، واحدة منها هي التي استوفت شروط التصدي للإقراء وتعليم الناس، وهي التي جمعت بين الرواية (حفظ القراءات) والدراية (معرفة العربية)، والثلاث الأُخرى لا يُؤَمَنُ عليها الوقوع في الخطأ من جهة الرواية، أو من جهة العربية.

ومعرفةُ حَمَلةِ القرآنِ بعلوم اللغة العربية من آكد ما عليهم تَعَلُّمَهُ، ولا يزال العلماء بعد ابن مجاهد يوصون بذلك، وقال الحافظ أبو العلاء الهمذاني العطار: «ثم اعلم أن ما ذكرناه من الحِذق بالأداء، وما لم نذكره من مذاهب القراء، لا يوقف على حقيقته، ولا يوصل إلى كيفيته إلا بإتقان العربية ومقاييسها، ومعرفة وجوه القراءات ورواياتها»[2].

وقال أبو عمرو الداني: «وهذا كله، وسائر ما ذكرناه قبل، لا يتمكن معرفته للقراء إلا بنصيبٍ وافرٍ من علم العربية، وذلك من آكدِ ما يلزمهم تَعَلُّمُهُ والتفقهُ فيه، إذ به يُفهَمُ الظاهرُ الجليُّ، ويُدْرَكُ الغامضُ الخفيُّ، وبه يُعْلَمُ الخطأ من

---

(١) كتاب السبعة ص٤٥-٤٦.

(٢) التمهيد ص١٩٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

الصواب، ويتميَّزُ السقيمُ من الصحيح»[1].

وجَعَلَ الأندرابيُّ تَعَلُّمَ العربيةِ واجباً على مَن قرأَ القرآن، فقال: «فمِنَ الواجب على مَن قرأ القرآن أن يأخذوا أنفسهم بالاجتهاد في طلب العربية، وتَعَلُّمِ الإعراب»[2].

ومن هنا نجد الزركشي يؤكد هذا المعنى في كتابه «البرهان»، حين قال: «وَلْتَكُنْ تلاوته بعد أخذهِ القرآن من أهلِ الإتقان لهذا الشأن، الجامعين بين الدراية والرواية، والصدق والأمانة»[3].

وهذه الدعوة إلى الجمع بين الرواية والدراية في قراءة القرآن يُقَدِّمُ الداني لها تعليلاً صحيحاً، وهو أن رسوخ العلم يتوقف على الفهم، يقول: «وقرَّاءُ القرآن يتفاضلون في العلم بالتجويد، والمعرفةِ بالتحقيق، فمنهم مَن يعلمُ ذلك قياساً وتمييزاً، وهو الحاذقُ النبيهُ، ومنهم مَن يعلمه سمَاعاً وتقليداً، وهو الغبيُّ الفَهِيهُ، والعِلْمُ فطنةً ودرايةً آكَدُ منه سماعاً وروايةً، فللدراية ضَبْطُهَا ونَظْمُها، وللرواية نَقْلُهَا وتَعَلُّمُهَا، والفضلُ بيد الله يؤتيه مَن يشاء، والله ذو الفضل العظيم»[4].

وكانت لمكي بن أبي طالب عناية بهذا المعنى، فنقل في كتابه «الرعاية» ما جاء في كلام الداني السابق، وختمه بقوله: «فإذا اجتمع للمقرىء النقل والفطنة والدراية وَجَبَتْ له الإمامة، وصَحَّت عليه القراءةُ، إن كانت له مع ذلك ديانة»[5].

وتحدث مكيٌّ عَمَّا - يَكْمُلُ به حال طالب القرآن، فذكر معرفة أحكام القرآن وفهم معاني آياته. ثم قال: «ومِن كمال حالِ طالب القرآنِ أن يعرفَ الإعرابَ وغريبَ القرآن، فذلك مما يسهِّلُ عليه معرفة معنى ما يقرأُ، ويزيل عنه الشكَّ في

---

(١) التحديد ص١٧٨.

(٢) الإيضاح ص٢٧٨.

(٣) البرهان ١/ ٤٦١.

(٤) التحديد ص٦٩.

(٥) الرعاية ص٩٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

إعراب ما يتلو»[1].

ونختم هذه النصوص الدالة على وجوب أن يجمع القارىء بين الرواية، وهي حفظ القراءات، والدراية، وهي معرفة العربية، بقول ابن الطحان الأندلسي الذي ذكر فيه وجوب تعلم العربية، وختمه بقوله: «فماذا تَنْفَعُ القارىءَ الروايةُ، إذا قصَّرتْ به الدرايةُ، فهو يواقعُ اللحنَ في كل حين، ولا عُذرَ له في جهالته عندَ أنصار الدين»[2].

(١) الرعاية ص٧٨.

(٢) نظام الأداء ص٢١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

خاتمة

مناقشة واستنتاج

إنَّ الحضارَة تتقدُم، والعلوَم تزدهر إذا جَمَع العلماء بين الروايةِ، التي تعني نقل أَحْسَنَ ما أنتجه الفكر البشري، والدرايةِ التي تعني فَهْمَ ذلك النتاج والبناء عليه، وهذه معادلة فهمها علماء الإسلام وعالجوا من خلالها علوم الشريعة وعلوم العربية.

ولا شك في أن للرواية عند علماء القراءة خصوصيةً، لكونها تعنى بكلام الله تعالى، الذي به تُسْعَدُ البشرية في الدنيا، وتفوز به في الآخرة، لكن الرواية المَحْضَة غير كافيةٍ في ضبط القراءة واجتناب الخطأ فيها، فأوجب العلماء على حَمَلَةِ القرآن جمع الدراية إلى الرواية، ويريدون بالدراية الفهم المبني على معرفة علوم العربية، لأن العلم فطنةً ودرايةً آكدُ منه سماعاً ورواية، وماذا تنفع القارىءَ الروايةُ إذا قصَّرت به الدراية؟!

وكذلك الشأن في علوم الشريعة الأخرى، مثل علم التفسير، وعلم الحديث، والفقه وأُصوله، ويمكن تطبيق معادلة الرواية والدراية على العلوم الأخرى، لكن الذي يهمنا في هذه العجالة ما يتعلق بعلم القراءة.

وإذا كان مثل ذلك الترابط قائماً بين علم القراءة وبين الرواية والدراية، فبنا حاجة للنظر في هذا العلم في زماننا، ومقدار عناية حملة القرآن بالدراية، ونحن نتحدث عن ذلك في بلادنا التي شهدت في العقود الأخيرة نشاطاً عظيماً في ميدان تعليم القرآن والاعتناء بقراءاته.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

ويبدو أن نزعة التخصص العلمي في زماننا قد باعدت بين كثير من حملة القرآن وعلوم اللغة العربية، فكثير من مُجَوِّدي القرآن، ومن المشتغلين بالقراءات القرآنية، تُعْوِزُهُم المعرفةُ المناسبة بالعلوم اللغوية. لاسيما علم الأصوات، وعلم الصرف، وعلم النحو والإعراب، وربما صارت مقولة الأستاذ محمد المرعشي (ت١١٥٠هـ): «الشيخُ الماهرُ الجامعُ بينَ الرواية والدراية، المُتَفَطِّنُ لدقائق الخلل في المخارج والصفات أعزَّ من الكبريت الأحمر!»[1]، تنطبق على حال كثير من القراء في زماننا.

ولا يمكن للمنصف أن يجحد الجهد الكبير الذي يبذله المُعَلِّمُون والمتعلمون لقراءة القرآن، وحماستهم للتعلم والحفظ، فازداد حفاظ القرآن، وحملة القراءات السبع، في بلادنا، والحمد لله، لكن ذلك الجهد لا يزال يفتقر إلى معرفة بعلوم العربية، فأكثر علماء هذا الزمان الذين تخصصوا برواية القراءات تعوزهم الدراية، كما أن أكثر المتخصصين بعلوم العربية تعوزهم الرواية، وما أحوج الفريقين إلى استكمال هذا النقص.

وصارت هِمَّةُ كثير من متعلمي القراءات في زماننا الحصول على الإجازة في رواية القراءات، وهذا أمر مفيدٌ يجدِّدُ ما اندثر من معالم هذا العلم في بلادنا. لكن ذلك لا يُعْفِيهم من بذل الجهد في استدراك ما فاتهم من علم العربية، فقد يستطيع مَن أتقن القراءة وأَلَمَّ بعلم العربية أن يُعَلِّم قراءة القرآن على نحو صحيح، وقد لا يتمكن مَنْ أَخَذَ الإجازة في القراءات من تعليم القراءة على نحو صحيح، أو توجيه بعض وجوه النطق توجيهاً لغوياً صحيحاً، إذا لم تكن له دراية مناسبة بعلوم العربية.

وكان علماء السلف قد بحثوا شَرْطَ الحصول على الإجازة للتصدي لتعليم القرآن، وانتهى بهم الأمر إلى القول بعدم لزوم الإجازة لذلك لمن تحقق من أهليته العلمية، قال السيوطي: «الإجازةُ من الشيخ غيرُ شَرْطٍ في جواز التصدي

---

(١) بيان جهد المقل ٣ظ.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

للإقراء والإفادة، فمَن عَلِمَ من نفسه الأهلية جاز له ذلك، وإن لم يُجزْهُ أحدٌ، وعلى ذلك السلف الأولون والصدر الصالح، وكذلك في كل علم، وفي الإقراء والإفتاء، خلافاً لما يتوهمه الأغبياء من اعتقاد كونها شرطاً، وإنما اصطلح الناس على الإجازة لأنَّ أهلية الشخص لا يعلمها غالباً مَن يريد الأَخْذَ عنه من المبتدئين ونحوهم، لقصور مقامهم عن ذلك، والبحثُ عن الأهلية قبلَ الأخذ شَرْطٌ، فَجُعِلَتِ الإجازة كالشهادة من الشيخ المُجاز بالأهلية»[1].

وقال النويري: «وأما مَن فَهِمَ التلاوةَ، وعَلِمَ الروايةَ، وأَخَذَ حظّاً من الدراية، من النحو واللغة، فتُؤْخذ عنه الرواية، ويُقْصَدُ للقراءة»[2].

واسْتَجَدَّتْ في العصر الحديث وسائل جديدة لتعلُّم القراءة، وَفَّرَها التقدم الصناعي، فكانت وسائل التسجيل الصوتي والإذاعي تنقل أصوات المتقنين للقراءة إلى كل مكان وعبر الأزمان، وأتاح ذلك التقدم في العقود الأخيرة وسائل جديدة من خلال التسجيل الصوتي والمرئي الذي تتيحه الأقراص الليزرية، والحاسبات الإلكترونية، على نحوٍ قد يحمل للوهلة الأولى على الاعتقاد بإمكانية الاستغناء عن التلقي الشفهي المباشر من مُعَلِّم القراءة، ولكن يظل ذلك التلقي مُهِمّاً ومطلوباً، ولا يمكن أن تَسُدَّ الحاسبات والمختبرات التعليمية ما يُؤَدِّيهِ من دور يتلخص في ثلاثة أمور:

١- قد لا يُحَقِّقُ التَّعَلُّمُ عن طريق الحاسبات ومختبرات الصوت ما في الاجتماع في بيوت الله لتدارس القرآن من خير، يشير إليه حديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه: «ما اجتمعَ قومٌ في بيتٍ من بيوت الله، يتلون كتابَ اللهِ، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينةُ، وغَشِيَتْهُم الرحمةُ، وحَفَّتْ بهم الملائكةُ، وذكرهم الله في مَنْ عنده»[3].

---

(١) الإتقان ١/ ٢٨٩.

(٢) شرح الطيبة ١/ ٤٣.

(٣) رواه مسلم وأبو داود وغيرهما، (ينظر: المنذري: الترغيب والترهيب ٣/ ٣٤٣).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

٢- قد يؤدي التعلم عن طريق الحاسبات وحدها إلى تعطيل سلسلة الإسناد التي نقلت القرآن الكريم متواتراً خلال جميع العصور، فالإسناد «هو أعظم مدارات هذا الفن، لأن القراءات سُنَّة مُتَّبَعةٌ، ونَقْلٌ مَحْضٌ، فلا بد من إثباتها وصحتها، ولا طريق إلى ذلك إلا بالإسناد، فلهذا توقفت معرفة هذا العلم عليه. وقد حَدُّوه بأنه: الطريق المُوَصِّلَةُ إلى القرآن، وهو خِصِّيصَةٌ فاضلةٌ من خصائص هذه الأمة، وسُنَّةٌ بالغة من السنن المؤكَّدة»[١].

٣- وفي القراءة ما لا يُضْبَطُ إلا بالمشافهة والسماع، والتعليم والتربية ولا بد فيهما من التواصل بين المعلم والمتعلم، فلا يمكن للآلة أن تأخذ دور الإنسان في كل شيء.

ولا تعني هذه الأمور التي تعجز الحاسبات عن تحقيقها أن يُهْمِلَ المتعلمون الاستعانة بها، إذ يجب على القائمين على أمر تعليم القرآن استخدام كل ما يتيحه العصر من وسائل حديثة تُسَهِّل تعليم قراءة القرآن الكريم.

وخُلاصة الأمر أن هناك حاجةً دائمةً للقائمين على أمر تعليم تلاوة القرآن إلى معرفة مناسبة بعلوم اللغة، وبعض ما يتصل بأحكام القرآن، قال ابن الجزري: «والذي يلزمُ المقرىءَ أن يَتَخَلَّقَ به مِنَ العلوم قبل أن يَنْصِبَ نفسه للاشتغال، أن يَعْلَمَ مِن الفقه ما يُصْلِحُ أَمْرَ دينه، ولا بأس من الزيادة في الفقه، بحيث يُرْشِدُ طلبته وغيرهم إذا وقع لهم شيء، ويَعْلَمَ من الأصول قَدْر ما يدفع به شبهة مَن يطعن في بعض القراءات، وأن يُحَصِّلَ جانباً من النحو والصرف، بحيث إنه يُوَجِّهُ ما يقعُ له من القراءات، وهذا أهم ما يحتاج إليه»[٢].

وليس تحقيقُ الروايةِ في القراءةِ غايةً في ذاتها، كما أن إدراك الدراية ليس مغنياً عما سَمَّوْه بالرعاية، فعلى الرغم مما قدَّمناه من أهمية الجمع بين الرواية والدراية، وعلى الرغم من ثبوت الأجر لقارىء القرآن وإن كان يُتَعْتِعُ فيه، فإنَّ

---

(١) القسطلاني: لطائف الإشارات ١/ ١٧٢-١٧٣.

(٢) منجد المقرئين ص٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

الهدف الأساسيَّ من قراءة القرآن، هو التفهم للمعاني التي تتضمنها الآيات الكريمة، والتطبيق لما تتضمنه من أحكام، وصولاً إلى الهداية التي يرشد إليها القرآن. وقد أحسن الإمام الغزالي في قوله: «تلاوةُ القرآن حقَّ تلاوته هو أن يشترك فيه اللسانُ والعقلُ والقلبُ، فحَظُّ اللسانِ تصحيحُ الحروفِ بالترتيلِ، وحظُّ العقلِ تفسيرُ المعاني، وحَظُّ القلبِ الاتعاظُ والتأثرُ بالانزجار والائتمار، فاللسانُ يُرَتِّلُ، والعقلُ يترجمُ، والقلبُ يَتَّعِظُ»[1].

أَسألُ اللهَ تعالى التوفيقَ لتحصيل الرواية، وإتقان الدراية، وتحقيق الرعاية، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) إحياء علوم الدين ١/ ٢٩٤-٢٩٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

حَفْصُ بن سليمان الأسدي
راوي قراءة عاصم
بين الجرح والتعديل

مقدمة

شهرة عاصم بن أبي النجود وتلميذه حفص بن سليمان الأسدي تملأ الآفاق اليوم فعاصم صاحب القراءة التي يقرأ بها المسلمون القرآن في معظم البلدان اليوم، وحفص هو صاحب الرواية عنه، لكن المرء يعجب مما ورد في كتب رجال الحديث من وصف حفص بن سليمان بأنه ضعيف، متروك الحديث، وصار ذلك الوصف من المسلمات لدى معظم من كتب عن حفص. وحاول بعض العلماء التخفيف من أثر ذلك الوصف بالقول: «إن العالم قد يكون إماماً في فن مقصراً في فنون». ولا عجب بناء على ذلك أن يتقن حفص القرآن ويُجَوِّدَهُ، ولا يتقن الحديث[1].

ولو أن الأمر توقف عند وصف حفص بعدم إتقان الحديث لكان مقبولاً، لكنه تجاوز ذلك إلى الطعن في عدالته، واتهامه بالكذب عند بعض العلماء، وكيف يكون المرء مؤتمناً على القرآن، متهماً في الحديث؟ إنه أمر أشبه بالجمع بين النقيضين!

وكنت أتتبع الروايات المتعلقة بهذه القضية وأقاويل العلماء فيها، في محاولة

(١) ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٥/ ٥٦٠، وميزان الاعتدال ٢/ ٣١٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

لتفسيرها على نحو يخفف من أثرها[1]، حتى لا تكون وسيلة للطعن في قراءة القرآن الكريم، وقد انكشفت لي جوانب جديدة حول هذه القضية جعلتني أعود إلى دراستها وعرض نتيجة ما توصلت إليه حولها على المهتمين بالموضوع، وهي نتيجة أحسب أنها تَسُرُّ حملة القرآن، والمهتمين بدراسة القراءات، إن شاء الله تعالى، وأرجو أن تبعث السرور في نفوس المتخصصين بدراسة الحديث أيضاً. والحقُّ أَحقُّ أن يتبع، والحكمة ضالة المؤمن، وتتلخص تلك النتيجة في أن تضعيف حفص بن سليمان القارىء في الحديث انبنى على وَهْم وقع فيه بعض كبار علماء الحديث الأوائل، وانتشر عند مَن جاء بعدهم، وأضيف إليه، حتى صار كأنه حقيقة مسلمة لا تقبل النقاش.

وسوف أعرض عناصر الموضوع الأساسية على نحو مختصر من خلال بحث الفقرات الآتية:

١- ترجمة حفص بن سليمان القارىء.

٢- أشهر أقاويل المُجَرِّحين.

٣- أقوال المُوثِّقين.

٤- مناقشة واستنتاج.

أولاً: ترجمة حفص بن سليمان القارىء:

لعل من المفيد للقارىء الاطلاع على ترجمة ملخصة لحفص بن سليمان، قبل عرض فقرات الموضوع المتعلقة بتوثيقه وتجريحه، وسوف أقتصر على إيراد نصين لترجمته يمثلان وجهتي نظر متقابلتين لكل من علماء القراءة وعلماء الحديث، الأول من كتاب «غاية النهاية في طبقات القراء» لابن الجزري الذي حاول إبراز النقاط المضيئة في شخصية حفص، والثاني من كتاب «الضعفاء والمتروكين» لابن الجوزي، الذي جمع فيه من أقوال التجريح التي يمكن أن

(١) ينظر: كتابي: محاضرات في علوم القرآن ص١٥٥ هامش ٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

تُخْرِجَ حفصاً - لو صحت - من الدين!

قال ابن الجزري: «حفص بن سليمان بن المغيرة، أبو عمر الأسدي الغاضري البزَّاز، ويعرف بحُفَيْص، أخذ القراءة عرضاً وتلقيناً عن عاصم، وكان ربيبه ابن زوجته، وُلِدَ سنة تسعين، قال الداني: وهو الذي أخذ قراءة عاصم على الناس تلاوة، ونزل بغداد فأقرأ بها، وجاور بمكة فأقرأ أيضاً بها، وقال يحيى بن معين: الرواية الصحيحة التي رويت عن عاصم رواية أبي عمر حفص بن سليمان، وقال أبو هشام الرفاعي: كان حفص أعلمهم بقراءة عاصم، وقال الذهبي: أما القراءة فثقة ثَبْتٌ ضابط لها، بخلاف حاله في الحديث، قلت: يشير إلى أنه تُكُلِّمَ فيه من جهة الحديث، قال ابن المنادي: قرأ على عاصم مراراً، وكان الأولون يعدونه في الحفظ فوق أبي بكر بن عياش، ويصفونه بضبط الحروف التي قرأ على عاصم... توفي سنة ثمانين ومئة على الصحيح، وقيل بين الثمانين والتسعين...»[1].

وقال ابن الجوزي: «حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي القارىء البزَّاز، وهو صاحب عاصم، ويقال له الغاضري، وهو حفص بن أبي داود، كوفي، حدَّث عن سماك بن حرب، وليث، وعاصم بن بهدلة، وعلقمة بن مرثد، قال: يحيى: ضعيف، وقال مرَّة: ليس بثقة، وقال مرة: كذَّاب، وقال أحمد ومسلم والنسائي: متروك الحديث، وقال البخاري: تركوه، وقال السعدي: قد فُرِغَ منه منذ دهر، وقال عبد الرحمن بن يوسف بن خراش: كذَّاب متروك يَضَعُ الحديث، وقال ابن حبان: كان يَقْلِبُ الأسانيد ويرفعُ المراسيل، وقال أبو زرعة والدارقطني: ضعيف»[2].

ثانياً: أشهر أقاويل المُجَرِّحين:

قال ابن كثير: «إنَّ أول مَن تصدَّى للكلام على الرواة شعبة بن الحجاج،

---

(١) غاية النهاية ١/ ٢٥٤-٢٥٥.

(٢) كتاب الضعفاء والمتروكين ١/ ٢٢١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وتبعه يحيى بن سعيد القطَّان، ثم تلامذته: أحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، ويحيى بن معين، وعمرو بن الفلاس، وغيرهم»[1].

ويكاد معظم الأقاويل في تجريح حفص القارىء يستند إلى ما قاله هؤلاء العلماء الأعلام الذين ذكرهم ابن كثير، وسوف أعرض ما نُقِلَ عن شعبة ويحيى بن معين خاصة، لأن اللاحقين اعتمدوا على أقوالهما، أما الإمام أحمد فإنه وَثَّقَ حفصاً في ثلاث روايات وضَعَّفَهُ في أخرى، وسوف أعرض أقواله عند الكلام على المُوَثِّقين.

١- شعبة بن الحجاج الواسطي، نزيل البصرة: (ت١٦٠هـ):

نقل محمد بن سعد البصري نزيل بغداد، كاتب الواقدي، (ت٢٣٠هـ) وأحمد بن حنبل البغدادي (ت٢٤١هـ) عن يحيى بن سعيد القطان البصري (ت١٦٨هـ) رواية عن شعبة بن الحجاج تتعلق بحفص بن سليمان المِنْقَرِيِّ البصري، لكنها نُسبت بعد ذلك إلى حفص بن سليمان الأسدي القارىء الكوفي الأصل، راوية عاصم.

ذكر ابن سعد في كتاب «الطبقات» مَن نزل البصرة من أصحاب رسول الله ﷺ ومَن كان بها بعدهم من التابعين وأهل العلم والفقه، وذكر في الطبقة الرابعة منهم: «حفص بن سليمان مولى لبني مِنْقَر، ويكنى أبا الحسن، وكان أعلمهم بقول الحسن، قال يحيى بن سعيد، قال شعبة: أخذ مني حفص بن سليمان كتاباً فلم يَرُدَّهُ عليَّ، وكان يأخذ كتبَ الناس فينسخها»[2].

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: «حدثني أبي، قال: سمعت يحيى بن سعيد يقول: عطاء بن أبي ميمون مات بعد الطاعون، وكان يرى القَدَرَ، وحفص بن سليمان قبل الطاعون بقليل، فأخبرني شعبة قال: أخذ مني حفص بن

(١) الباعث الحثيث ص١٣٧.

(٢) الطبقات الكبرى ٧/ ٢٥٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

سليمان كتاباً فلم يَرُدَّهُ وكان يأخذ كتب الناس فينسخها»[1].

ولا يخفى على القارىء أن حفص بن سليمان المذكور في قول شعبة هو المنقري، وليس حفص بن سليمان الأسدي راوي قراءة عاصم، لكن بعض العلماء نقل هذا القول في ترجمة حفص بن سليمان الأسدي بعد ذلك وصار دليلاً على ضعفه في الحديث، ولعل الإمام محمد بن إسماعيل البخاري هو أقدم من وقع في هذا الوَهْمِ. في ما اطلعت عليه من المصادر، وذلك في كتاب «الضعفاء الصغير»، حيث قال: «حفص بن سليمان الأسدي أبو عمر، عن علقمة بن مرثد، تركوه، وقال أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى، قال يحيى: أخبرني شعبة قال: أخذ مني حفص كتاباً فلم يرده، قال: وكان يأخذ كتب الناس فينسخها»[2].

واستقرت هذه الرواية في ترجمة حفص بن سليمان الأسدي القارىء بعد ذلك، ولم يتنبه المؤلفون إلى أنها رواية بصرية تخص أحد رواة الحديث من البصريين، كيف لا وقد اعتمدها شيخ المحدثين البخاري، معتمداً على روايته عن الإمام أحمد بن حنبل، عن يحيى بن سعيد القطان، عن شعبة بن الحجاج، ولا يكاد يجد المتتبع للموضوع سبباً لتضعيف حفص القارىء غير هذه الرواية[3]. وصار كثير من المؤلفين في الجرح والتعديل يذكرون تضعيف حفص القارىء من غير ذكر العلة، على نحو ما مر في النص المنقول عن ابن الجوزي، باعتبار أن تضعيفه أمر ثابت قرَّره كبار علماء الجرح والتعديل، ولم يدركوا أن ذلك التضعيف انبنى على أساس غير صحيح.

---

(١) العلل ومعرفة الرجال ٢/ ٥٠٣.

(٢) كتاب الضعفاء الصغير ص٣٢.

(٣) ينظر: العقيلي: كتاب الضعفاء ١/ ٢٧٠، وابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ١/ ١٤٠ و٣/ ٣٢٠، والمزي: تهذيب الكمال ٧/ ١٥، والذهبي: ميزان الاعتدال ٢/ ٣٢٠، وابن حجر: تهذيب التهذيب ٢/ ٣٤٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

٢- يحيى بن معين، أبو زكريا البغدادي (ت٢٣٣هـ):

يبدو أن يحيى بن معين لم يكن يعرف حفص بن سليمان الأسدي الكوفي معرفة شخصية، وليس هناك ما يؤكد أنهما التقيا في بغداد أو في غيرها من المدن، واعتمد يحيى في الحكم على حفص القارىء على قول أيوب بن المتوكل البصري القارىء (ت٢٠٠هـ) فيه، فقد نقل الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد»: «قال أبو زكريا، يعني يحيى بن معين: زعم أيوب بن المتوكل قال: أبو عمر البزاز أصح قراءة من أبي بكر بن عياش، وأبو بكر أوثق من أبي عمر، قال أبو زكريا: وكان أيوب بن المتوكل بصرياً من القراء، سمعته يقول ذلك»[١].

ونقل بعض المؤلفين في الجرح والتعديل قول أيوب بن المتوكل السابق الذي رواه عنه يحيى بن معين منسوباً إلى ابن معين نفسه مع تغيير فيه أدى إلى وصف حفص بأنه ليس ثقة، فقد نقل ابن عدي في كتابه «الكامل» عن الليث بن عبيد أنه قال: «سمعت يحيى بن معين يقول: أبو عمر البزاز صاحب القراءة ليس بثقة، هو أصح قراءة من أبي بكر بن عياش، وأبو بكر أوثق منه»[٢].

وجاء في كتاب «تاريخ ابن معين» من رواية عثمان بن سعيد الدارمي (ت٢٨٠هـ): «وسألته عن حفص بن سليمان الأسدي الكوفي: كيف حديثه؟ فقال: ليس بثقة»[٣]. وجاء في بعض الروايات عن يحيى بن معين أنه قال: ليس بشيء[٤]، وصارت العبارة في رواية أخرى: «كان حفص كذّاباً». فقد نقل ابن

---

(١) تاريخ بغداد ٨/ ١٨٦، وينظر: المزي: تهذيب الكمال ٧/ ١٣، وابن حجر: تهذيب التهذيب ٢/ ٣٤٥.

(٢) الكامل في الضعفاء ٢/ ٣٨٠.

(٣) تاريخ ابن معين ص٩٧، وينظر: ابن حبان: كتاب المجروحين ١/ ٢٥٥، وابن عدي: الكامل في الضعفاء ٢/ ٣٨٠، والخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٨/ ١٨٦، والمزي: تهذيب الكمال ٧/ ١٣، وابن حجر: تهذيب التهذيب ٢/ ٣٤٥.

(٤) ينظر: العقيلي: كتاب الضعفاء ١/ ٢٧٠، والذهبي: ميزان الاعتدال ٢/ ٣٢٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

عدي في كتابه «الكامل»، عن الساجي، عن أحمد بن محمد البغدادي، قال سمعت يحيى بن معين يقول: كان حفص بن سليمان وأبو بكر بن عياش من أعلم الناس بقراءة عاصم، وكان حفص أقرأ من أبي بكر، وكان أبو بكر صدوقاً، وكان حفص كذَّاباً»[1]. وانتهى الأمر عند ابن الجوزي إلى القول: «قال يحيى: ضعيف، وقال مرة: ليس بثقة، وقال مرة: كذاب»[2].

ويترجح لدي أن ذلك كله قراءة غير دقيقة لقول أيوب بن المتوكل في حفص القارئ، سواء كانت تلك القراءة من يحيى بن معين نفسه أو من الرواة عنه، وعَزَّزَ تلك القراءة غير الدقيقة لقول أيوب ما كان قد انتشر من القول بتضعيفه نتيجة لنسبة كلمة شعبة بن الحجاج في حفص المنقري إليه، لكن ابن الجزري نقل قول ابن معين على نحو آخر، قال: «وقال يحيى بن معين: الرواية الصحيحة التي رويت عن قراءة عاصم رواية أبي عمر حفص بن سليمان»[3].

والخلاصة هي أن علماء الجرح والتعديل نسبوا حفص بن سليمان القارىء إلى الضعف في الحديث، مستندين إلى قول شعبة: إنه كان يستعير كتب الناس فينسخها، ولا يردها. وإلى قول أيوب: أبو بكر أوثق من أبي عمر، وكلا الأمرين لا يصلح أن يكون علة لتضعيفه، أما الأول فقد بان أنه وَهْمٌ، وأما الثاني فإن قول أيوب يمكن أن يعني أن حفصاً ثقة لكن شعبة أوثق منه، وسوف أعود لمناقشة ذلك بعد عرض أقوال الموثقين لحفص.

ثالثاً: أقوال المُوَثِّقين:

لا تخلو كتب التراجم وكتب الجرح والتعديل من أقوال في توثيق حفص بن سليمان القارىء، لكنها قليلة، غطَّت عليها أقاويل المجرحين، ولعل ما ذهب

---

(١) الكامل ٢/ ٣٨٠، وينظر: المزي: تهذيب الكمال ٧/ ١٥، وابن حجر: تهذيب التهذيب ٢/ ٣٤٥.

(٢) كتاب الضعفاء والمتروكين ١/ ٢٢١.

(٣) غاية النهاية ١/ ٢٤٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

إليه العلماء من «أن تقديم الجرح على التعديل مُتَعَيِّنٌ»[1] قد حجب ما ورد من أقوال في توثيقه، وما ورد من أقوال في توثيقه على قلتها تدل على أن حفصاً كان موضع ثقة من علماء عرفوه أو أخذوا عنه، ومن العلماء الذين وثقوه:

١- وكيع بن الجراح، الكوفي (ت١٩٦هـ):

نقلت مجموعة من كتب الجرح والتعديل عن أبي عمرو الداني الأندلسي (ت٤٤٤هـ) قوله في حفص القارىء «مات قريباً من سنة تسعين ومئة، قال: وقال وكيع: كان ثقة»[2]. وللداني كتاب في طبقات القراء، لعله ذكر قول وكيع فيه.

وقول وكيع هذا مهم جداً في توثيق حفص لسببين: الأول: كونه من الكوفة، وأهل الكوفة أعرف بعلمائهم، والثاني: كونه معاصراً لحفص، وما رَاءٍ كمَنْ سَمِعَ!

٢- سعد بن محمد بن الحسن العوفي، تلميذ حفص:

انتقل حفص بن سليمان الأسدي القارىء من الكوفة إلى بغداد، ولعل ذلك حصل في منتصف القرن الثاني الهجري أو بعده بقليل، وكان له من العمر قريباً من ستين سنة، ونزل في الجانب الشرقي منها، ونقل الخطيب البغدادي عن ابن مجاهد (ت٣٢٤هـ) قوله: «حدثنا محمد بن سعد العوفي، حدثنا أبي، حدثنا حفص بن سليمان، وكان ينزل سُوَيْقَةَ نصر، لو رأيته لَقَرَّتْ عَيْنُكَ به علماً

---

(١) ينظر: ابن الجوزي: كتاب الضعفاء والمتروكين ١/٧، والسيوطي: تدريب الراوي ١/٢٠٤.

(٢) ينظر: علم الدين السخاوي، جمال القراء ٢/٤٦٦، والمزي: تهذيب الكمال ٧/١٥، والذهبي: ميزان الاعتدال ٢/٣٢١، والهيثمي: مجمع الزوائد ١٠/١٦٣، وابن حجر: تهذيب التهذيب ٢/٣٤٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وفهماً»[1].

وسعد بن محمد العوفي هذا أحد تلامذة حفص بن سليمان القارىء في بغداد، وأخذ عنه قراءة عاصم، قال ابن مجاهد في كتابه «السبعة»: «حدثني محمد بن سعد العوفي، عن أبيه، عن حفص، عن عاصم، أنه كان لا ينقص نحو (هزواً) و(كفواً)، ويقول: أكره أن تذهب مني عشر حسنات بحرف أَدَعُهُ إذا هَمَزْتُهُ»[2].

٣- الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ):

ذكر الخطيب البغدادي أربع روايات منقولة عن الإمام أحمد، في ترجمة حفص بن سليمان الأسدي المقرىء، ثلاث منها فيها توثيق، ورواية فيها تضعيف، والروايات المُوَثِّقَةُ له هي قوله:

أ - هو صالح[3].

ب - ما كان بحفص بن سليمان المقرىء بأس[4].

جـ- عن حنبل، قال سألته: يعني أباه، عن حفص بن سليمان المقرىء، فقال هو صالح[5]، وقوله: (أباه) يعني عمه أحمد بن حنبل.

---

(١) تاريخ بغداد ٨/ ١٨٦، وينظر: المزي: تهذيب الكمال ٧/ ١٢، وابن حجر: تهذيب التهذيب ٢/ ٣٤٥.

(٢) كتاب السبعة ص١٥٩، وينظر: ابن الجزري: غاية النهاية ٢/ ١٤٢.

(٣) تاريخ بغداد ٨/ ١٨٦، وينظر: المزي: تهذيب الكمال ٧/ ١٣، والذهبي: ميزان الاعتدال ٢/ ٣٢٠.

(٤) ينظر: المصادر المذكورة في الهامش السابق.

(٥) تاريخ بغداد ٨/ ١٨٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

أما الرواية التي ورد فيها تضعيف لحفص فقال فيها عنه: وأبو عمر البزاز متروك الحديث[1].

ونقل ابن أبي حاتم رواية التضعيف على هذا النحو: «أنا عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل، في ما كتب إليَّ، قال سمعت أبي يقول: حفص بن سليمان، يعني أبا عمر القارىء، متروك الحديث»[2].

ويبدو لي أن عبارة (يعني أبا عمر القارىء) مما أضافه ابن أبي حاتم إلى الرواية، حتى لا ينصرف الذهن إلى حفص آخر، ولكن من المحتمل أن يكون ابن أبي حاتم قد وَهِمَ في إضافة هذه العبارة، كما وَهِمَ في نسبة قول شعبة في استعارة حفص للكتب إلى حفص بن سليمان القارىء في الموضع نفسه[3]، فقد يكون المقصود بذلك حفص بن سليمان المنقري.

٤- عُبيد بن الصبَّاح الكوفي ثم البغدادي، تلميذ حفص:

نقل الذهبي عن أحمد بن سهل الأشناني (ت٣٠٧هـ) أنه قال: «قرأت على عبيد بن الصباح، وكان من الورعين المتقين، قال: قرأت القرآن كله على حفص بن سليمان ليس بيني وبينه أحد»[4]. ويدل قول عبيد هذا على افتخاره بأخذه القراءة عن حفص مباشرة، ولو كان حفص بالصورة التي تصورها كتب الجرح والتعديل من كونه متروك الحديث، كذاباً، لما كان لقوله معنى، لا سيما أن تلميذه أحمد بن سهل وصفه بأنه كان من الورعين المتقين.

٥- الفضل بن يحيى الأنباري، تلميذ حفص:

ذكر أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري أنه أخذ رواية أبي عمر حفص بن

---

(١) تاريخ بغداد ٨/ ١٨٦، وينظر: العقيلي: كتاب الضعفاء ١/ ٢٧٠.

(٢) الجرح والتعديل ٣/ ١٧٣، وينظر: الذهبي: ميزان الاعتدال ٢/ ٣٢٠.

(٣) ينظر: الجرح والتعديل ٣/ ١٧٣.

(٤) معرفة القراء الكبار ١/ ٢٤٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

سليمان، عن أبيه، وقال أبوه: «أقرأني عمي أحمد بن بشار بن الحسن الأنباري، عن الفضل بن يحيى الأنباري، عن أبي عمر، عن عاصم. قال أبي: قال لي عمي: كان الفضل قد أقام بمكة مجاوراً حتى أخذ القراءة عن أبي عمر»[1].

ونقل ابن الجزري عن الفضل أنه قال: «قرأت على حفص وكتب لي القراءة من أول القرآن إلى آخره بخطه»[2]، وفي قول الفضل هذا من الفخر والاعتزاز ما يدل على ثقته بشيخه أبي عمر حفص بن سليمان القارىء.

رابعاً: مناقشة واستنتاج:

إن ما تقدم من بيان لأقاويل المُجَرِّحِينَ لحفص بن سليمان الأسدي، وأقوال المُعَدِّلِينَ له، يقتضي إعادة النظر في الموضوع كله، في ضوء الحقائق التي تكشفت من خلال البحث، وعلى النحو الآتي:

١- إن تضعيف حفص بن سليمان القارىء في الحديث يحتاج إلى مراجعة، بل قد يحتاج إلى تعديل وتصحيح، وذلك بتغليب أقوال المعدِّلين له، لأن التعديل يُقبل من غير ذكر سببه، على الصحيح المشهور، ولا يُقبل الجرح إلا مُبَيَّن السبب[3].

وقد اتضح أن سبب تضعيف حفص بن سليمان القارىء الرئيس هو قول شعبة بن الحجاج، وقد بان أن شعبة كان يعني حفص بن سليمان المنقري البصري، ويؤكد ذلك أن ابن سعد نقل عن شعبة أن حفصاً المنقري كانت لديه كتب استفاد منها أخو زوجته أشعث بن عبد الملك في معرفة مسائل الحسن، لأن حفصاً هذا كان أعلمهم بقول الحسن[4].

---

(١) إيضاح الوقف والابتداء ١/ ١١٣.

(٢) غاية النهاية ٢/ ١١.

(٣) ينظر: السيوطي: تدريب الراوي ١/ ٢٠٢.

(٤) ينظر: الطبقات الكبرى ٧/ ٢٧٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

ولا يخفى أن تضعيف يحيى بن معين لحفص القارىء كان مبنياً على فهم غير دقيق لقول أيوب بن المتوكل، على نحو ما بيَّنت من قبل، وبناء على ذلك ينبغي أن يعتمد قول الإمام أحمد بن حنبل في توثيق حفص القارىء، ويحمل ما ورد من تضعيف على حفص آخر، لأن وجود عدد من الأشخاص يحملون اسم حفص بن سليمان قد أوقع بعض العلماء في الخلط بينهم، على نحو ما سنوضح بعد قليل.

أما أقوال علماء الجرح والتعديل الذين جاؤوا بعد الجيل الأول من طبقة شعبة ويحيى بن معين والإمام أحمد والبخاري، فإنهم كانوا ينقلون ما قاله هؤلاء الأعلام، على ما فيه من أوهام وخلط، وقد يتصرفون في العبارة بما يزيد من شدة النقد والتجريح لحفص بن سليمان القارىء، وغَطَّتْ أقاويل التجريح أقوال التوثيق حتى نُسيَتْ تقريباً، على نحو ما لاحظنا في النص الذي نقلناه عن ابن الجوزي من قبل.

٢- ذكرت كتب التراجم عدة أشخاص من رواة الحديث باسم حفص بن سليمان، عاشوا في القرن الثاني، ذكر البخاري منهم في كتابه «التاريخ الكبير» أربعة هم[١]:

أ - حفص بن سليمان البصري المنقري، عن الحسن.

ب - حفص بن سليمان الأزدي، روى عنه خليد بن حسان.

جـ- حفص بن سليمان، سمع معاوية بن قرة عن حذيفة، مرسل...

د- حفص بن سليمان الأسدي أبو عمر القارىء...

وقد وقع خلط بين هؤلاء الرواة للحديث، لا سيما بين حفص المنقري

---

(١) التاريخ الكبير ٢/ ٣٦٣، وينظر: ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ٣/ ١٧٣-١٧٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

البصري، وحفص الأسدي الكوفي، على نحو ما ذكرنا من نسبة قول شعبة في حفص البصري، وحمله على حفص الكوفي. ووقع مثل هذا الخلط بينهما في تاريخ وفاتهما، على نحو ما فعل ابن النديم حين ذكر حفص بن سليمان القارىء. وقال: «مات حفص قبل الطاعون، وكان الطاعون سنة إحدى وثلاثين ومئة»[١]. وقد نبَّه ابن الجزري إلى ذلك فقال في وفاة حفص القارىء: «تُوُفِّي سنة ثمانين ومئة على الصحيح، وقيل: بين الثمانين والتسعين، فأما ما ذكره أبو طاهر بن أبي هاشم «عبد الواحد بن عمر (ت٣٤٩هـ) وغيره من أنه توفي قبل الطاعون بقليل، وكان الطاعون سنة إحدى وثلاثين ومئة، فذاك حفص المنقري بصري، من أقران أيوب السختياني، قديم الوفاة، فكأنه تصحف عليهم، والله أعلم»[٢].

وقد يعثر المتتبع على أمثلة أخرى من الخلط بين هؤلاء، فقد نقل الهيثمي حديثاً قال عنه: «رواه الطبراني في الكبير، وفيه حفص بن سليمان المنقري، وهو متروك، واختلفت الرواية عن أحمد في توثيقه، والصحيح أنه ضعفه، والله أعلم. وذكره ابن حبان في الثقات»[٣].

ويثير هذا النص أكثر من إشكال، منها أن الطبراني ذكر في الإسناد «حدثنا حفص بن سليمان، عن قيس بن مسلم»[٤]، والذي يروي عن قيس بن مسلم هو حفص بن سليمان القارىء، وقد تكون كلمة (المقرىء) تصحفت إلى (المنقري)، لكن الإشارة إلى أنَّ ابن حبان ذكره في الثقات يؤكد أن المقصود هو (المنقري)[٥]، ويكاد الهيثمي ينفرد بالنص على تضعيف حفص المنقري.

ولعل في ما قاله ابن حبان عن حفص بن سليمان المقرىء ما يشير إلى ذلك

---

(١) الفهرست ص٣١.

(٢) غاية النهاية ١/ ٢٥٥.

(٣) مجمع الزوائد ١/ ٣٢٨.

(٤) المعجم الكبير ١٢/ ٢٠٩.

(٥) ابن حبان: الثقات ٦/ ١٩٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

الخلط أيضاً، ونصه: «كان يقلب الأسانيد، ويرفع المراسيل، وكان يأخذ كتب الناس فينسخها، ويرويها سماع (كذا)»[١]، فلا شك في أن الذي يأخذ كتب الناس هو المنقري، أما الذي يرفع المراسيل فقد يكون حفص بن سليمان الأزدي فقد وصفه ابن حبان بأنه: «يروي المراسيل»[٢]. ولعل كلمة (يروي) تصحفت عن كلمة (يرفع).

وكان أبو زرعة «عبيد الله بن عبد الكريم (ت٢٦٤هـ) قد تخوَّف من الخلط بينهما، فقال البرذعي: «وقال لي أبو زرعة: ليس هذا من حديث حفص، أخاف أن يكون أراد حفص بن سليمان المنقري»[٣].

وإذا كان الأمر بهذه الصورة فإن تضعيف حفص بن سليمان القارىء به حاجة إلى المراجعة، لأن كثيراً مما رُمِيَ به يرجع إلى البصريين المُسَمَّيْن باسمه، لكن تتابع الأقوال في تجريحه قد حجب الأقوال التي توثقه، لا بل إن الأمر وصل إلى حد تغيير مفهوم قول أيوب بن المتوكل الذي أثبت فيه أن حفصاً أصح قراءة من أبي بكر شعبة، فقال ابن أبي حاتم: «قلت: ما حاله في الحروف؟ قال: أبو بكر بن عياش أثبت منه»[٤]. ومما يؤكد عدم دقة هذا التعبير قول أبي هشام الرفاعي (ت٢٤٨هـ): «كان حفص أعلمهم بقراءة عاصم»[٥]. وقال ابن المنادي (ت٣٣٦هـ): «وكان الأولون يعدونه في الحفظ فوق أبي بكر بن عياش، ويصفونه بضبط الحروف التي قرأ بها على عاصم»[٦]. ولعل ابن المنادي يشير إلى قول أيوب بن المتوكل الذي نقلناه من قبل: «أبو عمر أصح قراءة من أبي بكر بن عياش».

---

(١) كتاب المجروحين ١/ ٢٥٥، وينظر: الذهبي: ميزان الاعتدال ٢/ ٣٢٠.

(٢) الثقات ٦/ ١٩٧.

(٣) سؤالات البرذعي ص٨.

(٤) الجرح والتعديل ٣/ ١٧٤.

(٥) الذهبي: معرفة القراء ١/ ١٤١، وابن الجزري: غاية النهاية ١/ ٢٥٤.

(٦) المصدران السابقان.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

٣- ذكر المزي في «تهذيب الكمال» سبعة وعشرين شيخاً روى عنهم الحديث حفص بن سليمان القارىء[١]، وقد تتبعتهم في «تقريب التهذيب» لابن حجر فوجدته يصف خمسة عشر منهم بـ(ثقة)، وعشرة منهم بـ(صدوق)، وواحد بـ(لا بأس به)، وواحد وصفه بمجهول، وهو كثير بن زاذان، الذي سأل عثمان بن سعيد الدارمي يحيى بن معين عنه، فقال: «قلت يروي (أي حفص القارىء) عن كثير بن زاذان من هو؟ قال: لا أعرفه»[٢]، لكن ابن حجر ذكره في «التهذيب» وقال: كثير بن زاذان النخعي الكوفي، وذكر جماعةً من الرواة الذي رووا عنه سوى حفص، وذكر نقلاً عن الخطيب البغدادي أنه كان مؤذن النخع[٣].

وذكر المزي خمسة وثلاثين راوياً أخذوا عن حفص بن سليمان القارىء، وقد تتبعت ما قاله فيهم ابن حجر في «تقريب التهذيب»، وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل»، فوجدت أن معظمهم موصوف بأنه (ثقة) أو (صدوق).

وإذا نظرنا إلى حال شيوخ حفص القارىء وحال معظم تلامذته من حيث وصفهم بالثقة والصدق فإن من المناسب أن يكون حفصٌ كما وصفه وكيع بأنه: ثقة، أو كما وصفه الإمام أحمد بأنه: صالح، وأن نَعُدَّ كل ما وُصِفَ به من ألفاظ التجريح من باب الوهم والخلط الذي كان سببه نسبة القول بأخذ كتب الناس ونسخها إليه، وعدم الدقة في فهم قول أيوب بن المتوكل: إن أبا بكر شعبة أوثق منه.

٤- لعل مما يُعَزِّزُ هذه النتيجة أن تُعْقَدَ دراسة لمرويات حفص بن سليمان القارىء من الأحاديث، ومروياتِ مَن يشاركه في الاسم، ويُدْرَسَ حال رجالها، وتُوَازَنَ بمرويات غيرهم من المحدثين، للتحقق مما ورد عند ابن حبان من أن حفصاً كان يقلب الأسانيد ويرفع المراسيل، أو نحو ذلك مما نسبه إليه بعض

(١) تهذيب الكمال ٧/ ١١-١٢.

(٢) ينظر: ابن عدي: الكامل في الضعفاء ٢/ ٣٨٠، والخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٨/ ١٦٨.

(٣) تهذيب التهذيب ٨/ ٣٦٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

العلماء بعد أن صنفوه في الضعفاء والمتروكين، وأرجو أن أتمكن من القيام بمثل هذه الدراسة في المستقبل، أو يقوم بها غيري ممن هو أكثر معرفة مني بعلم الحديث.

٥- والخلاصة التي يمكن أن ننتهي إليها من العرض السابق ونختم بها هي القول: إن حفص بن سليمان الأسدي كان إماماً في القراءة، ضابطاً لها، أفنى عمره في تعليمها، بدءاً ببلدته الكوفة التي نشأ فيها، ومروراً ببغداد التي صارت عاصمة الخلافة، وانتهاء بمكة المكرمة مجاوراً بيت الله الحرام فيها، وهو في أثناء ذلك أبدى اهتماماً برواية الحديث النبوي الشريف، لكنه لم يتفرغ له تفرغه للقراءة، ومن غير أن يتخصص فيه، لكن ذلك لا يقلل من شأنه أو يكون سبباً للطعن في عدالته[١]، بعد أن اتضح أن تضعيفه في الحديث كان نتيجة البناء على وَهْم وقع فيه بعض العلماء المتقدمين، ويكفيه فخراً أن القرآن الكريم يُتْلى اليوم بالقراءة التي رواها عن شيخه عاصم بن أبي النجود في معظم بلدان المسلمين، ونرجو أن ينال من الثواب ما هو أهل له، وما هو جدير به، شهدنا بما علمنا، ولا نزكي على الله أحداً.

---

(١) نقل الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٨/١٨٦) أن عبد الرحمن بن يوسف من خراش (ت٢٨٣هـ) قال: «حفص بن سليمان كذّاب، متروك، يضع الحديث». ولا يخفى على القارىء أن ابن خراش قد أتى بألفاظ في تجريح حفص لم يأت بها أحد من قبله، وهي تطعن في عدالته وتنسبه إلى الكذب ووضع الحديث، وهذا أمر لا يوجد ما يشير إليه في أقوال المعاصرين لحفص أو يدل عليه. ولعل من المناسب أن نذكر هنا أن ابن خراش هذا كان رافضياً يطعن على الشيخين، فما بالك بمن هو دونهما (ينظر: السيوطي: طبقات الحفاظ ص٢٩٧).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

الفصل الثاني
أبحاث في رسم المصحف الشريف
ورسمه وطباعته

(١)
كتاب الرد على مَنْ خالف مصحف عثمان
تعريف موجز[١]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ، والصلاةُ والسلامُ على رسول الله، وبعدُ:

فقد كان نزول القرآن الكريم حدثاً كبيراً، أثَّرَ في حياة العرب والبشرية كلها، وحظي تدوينه وصيانة نصه بعناية كبيرة من لدن رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين من بعده، ومن أجيال علماء الأمة الإسلامية في عصورهم المتعاقبة. وأدرك أعداء الأمة موقع القرآن في حياتها وأثره في قوتها وحيويتها، فوجهوا نحوه سهامهم الخبيثة، وأتخذ هجومهم في قديم الزمان وحديثه اتجاهين: الأوَّل تأويل معانيه تأويلاً منحرفاً يعطِّل الأحكام ويقلب المعاني، والثاني: التشكيك في سلامة نصه. وقد تصدى علماء الأمة لدفع تلك الشبهات الباطلة وإظهار زيفها، وإحقاق

(١) منشور في مجلة الحكمة، العدد التاسع صفر ١٤١٧هـ، ص٢٢٣-٢٤٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

الحق بشأنها.

وكان أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري المتوفى سنة ٣٢٨هـ أحد أولئك العلماء الذي أَوْلَوْا موضوع صيانة النص القرآني عناية خاصة، وكتب فيه عدة مؤلفات يتصدرها كتابه «الرد على من خالف مصحف عثمان». وهو أحد كتب أبي بكر الأنباري المفقودة، فلم يحظ بعناية الباحثين، ولكن النصوص الباقية منه في عدد من المصادر القديمة يمكن من خلالها الحديث عن مضمونه ومنهج المؤلف في معالجة موضوعه.

وقد اخترت في هذا البحث الحديث عن هذا الكتاب بسبب أهمية موضوعه، فيما أعتقد، لأنه يعالج قضايا تتصل بصيانة النص القرآني، التي لم تخل منها كتب علوم القرآن القديمة والحديثة، وانبعثت على أيدي المستشرقين في عصرنا الشبهات التي أثارها أسلافهم حولها، وألبسوها ثوباً من العلمية الزائفة، والكتاب فيما بقي من نصوصه يقدِّم مادة قيمة جديرة بأن تسهم في محو أثر الباطل، وهي تبيِّنُ الجهد العظيم الصادق الذي تحقق به وعد الله الحق في قوله سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر].

وقد عالجت الموضوع من خلالها المباحث الأربعة الآتية:

المبحث الأول: المقصود بمصحف عثمان.

المبحث الثاني: قصة مخالفة مصحف عثمان.

المبحث الثالث: جهود ابن الأنباري في علوم القرآن، مع اعتناء خاص بكتاب «الرد على من خالف مصحف عثمان».

المبحث الرابع: نصوص من كتاب «الرد على من خالف مصحف عثمان» عرض وتحليل.

وأسأل الله تعالى أن يلهمنا رشدنا، هو حسبنا ونعم الوكيل.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المبحث الأول

المقصود بمصحف عثمان

إن نسبة المصحف إلى سيدنا عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ترجع إلى ذلك العمل العظيم الذي تحقق في خلافته، والمتمثل في أمره عدداً من الصحابة في المدينة المنورة بنسخ المصاحف التي أُرسلت إلى الأمصار الإسلامية، وأمره المسلمين بإحراق ما سِواها مما كان بأيديهم من القرآن، فتوحَّدَت بذلك المصاحف التي يقرأ فيها المسلمون القرآن في ترتيبها وطريقة رسم الكلمات فيها إلى يومنا هذا.

وكانت المصاحف التي كُتِبَتْ في خلافة عثمان تعتمد في نصها على ما كُتِبَ من القرآن في حياة رسول الله ﷺ فهو الذي سَنَّ كتابة القرآن وأمر بها في حياته، فكان كلما نزل عليه من القرآن شيء دعا بعض من يكتب له، فيأمر بكتابته، ويقول: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يُعيِّنها لهم[1]. وكان أشهر كتبة الوحي زيد بن ثابت الأنصاري[2]، الذي قال: «كنت أكتب الوحي عند رسول الله ﷺ وهو يملي عليَّ، فإذا فرغت قال: أقرأه، فأقرأه فإن كان فيه سَقَطٌ أقامه، ثم أخرج به إلى الناس»[3]. وكان القرآن كله قد كتب في عهد النبي ﷺ ولم يكن قد جمع في شيء، وإنما كان مفرّقاً في الصحف والألواح والعسب[4].

---

(١) ابن أبي داود: المصاحف ص٣١، وأبو شامة: المرشد الوجيز ص٣٣.

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب ١/ ٦٨.

(٣) البسوي: المعرفة والتاريخ ١/ ٣٧٧.

(٤) ابن حجر: فتح الباري ٩/ ١٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وقد تم جمع القرآن الكريم في صحف منظمة يضمها لوحان أو دفتان، على شكل كتاب، بعد مدة يسيرة من وفاة النبي ﷺ لا تتجاوز السنة، فبعد أن ولي الخلافة أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - حدثت حروب الردة التي انتهت بدخول أهل الجزيرة العربية كلها في الإسلام، والتي استشهد فيها عدد كبير من الصحابة، كان من بينهم نحو من خمسين من حملة القرآن[١]. وكان هذا الأمر سبباً حملَ عمرَ بن الخطاب على أن يطلب من الخليفة أن يأمر بجمع القرآن، خشية أن يذهب منه شيء بذهاب حَفَظَتِه، وكان زيد بن ثابت، كاتب الوحي، هو الذي تحمل العبء الأكبر لجمع القرآن، كما تَحدثتُ عن ذلك أصح كتب الحديث والتاريخ، فجمعه في صحف، «وكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر»[٢].

وبعد ما يقرب من خمسة عشر عاماً من تاريخ جمع القرآن في الصحف، قام عدد من الصحابة بنقل عدة نسخ من الصحف، أُرسلت إلى الأمصار الإسلامية خارج المدينة المنورة، ليعتمد عليها المسلمون في نقل مصاحفهم، ففي خلافة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - وبعد اتساع بلاد المسلمين وازدياد عددهم، ظهرت بوادر الاختلاف في قراءة القرآن الكريم على نحو أقلق علماء الصحابة وأولي الأمر منهم، فما كان من الخليفة إلا أن يأمر زيد بن ثابت وعدداً آخر من الصحابة بنسخ المصاحف من الصحف ونشرها في البلدان، لتكون المصاحف التي بأيدي المسلمين واحدة في الترتيب والرسم، وأمر بإحراق ما عدا هذه المصاحف، لتختفي أسباب الاختلاف في النص القرآني إلى الأبد[٣].

---

(١) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة ١/ ٩٠.

(٢) البخاري: الجامع الصحيح ٦/ ٢٢٥، وابن النديم: الفهرست ص٢٧، والزركشي: البرهان ١/ ٢٣٣.

(٣) البخاري: الجامع الصحيح ٦/ ٢٢٦، وابن أبي داود: المصاحف ص١٨، والسيوطي: الإتقان ١/ ١٦٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وصارت نسبة المصحف إلى عثمان بن عفان من التقاليد الثابتة في المصادر الإسلامية، فيقال: مصحف عثمان، أو المصحف العثماني، لأنه هو الذي أمر بذلك العمل العظيم، ولم يكن مصحف عثمان ليختلف في شيء عن القرآن الذي أمر رسول الله ﷺ بكتابته، بل هو عينه، وقد قال أبو شامة: واعلم أن حاصل ما شهدت به الأخبار المتقدمة وما صرحت به أقوال الأئمة أن تأليف القرآن على ما هو عليه الآن كان في زمن النبي ﷺ وبإذنه وأمره، وأن جمعه في الصحف خشيَة دُثورِهِ بقتلِ قرائه كان في زمن أبي بكر - رضي الله عنه - وأن نسخه في مصاحف حملاً للناس على اللفظ المكتوب حين نزوله بإملاء المنزل إليه ﷺ ومنعاً من قراءة كل لفظ يخالفه كان في زمن عثمان بن عفان - رضي الله عنه»[1].

(١) المرشد الوجيز ص٧٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المبحث الثاني

قصة مخالفة مصحف عثمان

إن الله تعالى بعث نبيَّهُ ﷺ والعرب متناؤون في المحالِّ والمقامات متباينون في كثير من الألفاظ واللغات، وكان لكل حيٍّ منهم أو قبيلة لغة جرت بها ألسنتهم، ولو أن كل فريق من هؤلاء أُمِرَ أن يزول عن لغته، وما جرى عليه اعتياده طفلاً وناشئاً وكهلاً لاشتدَّ ذلك عليه، وعَظُمَتِ المحنةُ فيه، فكان من تيسير الله أن أمر رسوله ﷺ بأن يُقْرِئَ كلَّ قوم بلغتهم وما جرت عليه عادتهم، كما جاء في الحديث الصحيح المتواتر: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه»[1].

وجاء في عدد من الروايات أن الصحابة - رضي الله عنهم - قد وقع في قراءتهم للقرآن تَبايُنٌ في النطق نظراً لتباين لهجاتهم وعاداتهم النطقية، ورُوِيَ عن أبي العالية الرياحي أنه «قرأ على رسول الله ﷺ من كل خمس رجلٌ، فاختلفوا في اللغة، فرضي قراءتهم كلهم»[2]. وبعد اتساع الفتوح وكثرة الداخلين في الدين ظهر الاختلاف في قراءة القرآن في الأمصار، فكان ذلك أهم الأسباب التي جعلت الخليفة الثالث - عثمان - رضي الله عنه - يأمر بانتساخ المصاحف وتوزيعها على الأمصار فأجمع المسلمون على هذه المصاحف، «وسقط العمل بالقراءات التي تخالف خطَّ المصحف، فكأنها منسوخة بالإجماع على خط

---

(١) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن ص٣٩، وأبو شامة: المرشد الوجيز ص١٢٨. ولهذا الموضوع تفصيلات يمكن الرجوع إليها في كتب علوم القرآن.

(٢) الطبري: جامع البيان ١/ ١٩، وأبو شامة: المرشد الوجيز ص١٣٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المصحف»[1].

وفي القراءات القرآنية تفاصيل لا نحتاج إلى إيرادها، ويكفي هنا أن نوضح أن المصحف الكريم أخذ شكله الثابت في خلافة عثمان، وأن ما كانت من قراءات مخالفة لخَطِّهِ قد تُرِكَ لأنه خلاف اللفظ المنزل المسموع عن رسول الله ﷺ وقد قال ابن الجزري في هذا الصدد: «فنحن نقطع بأن كثيراً من الصحابة - رضوان الله عليهم - كانوا يقرؤون بما خالف رسم المصحف العثماني، قبل الإجماع عليه، من زيادة كلمة وأكثر، وإبدال أخرى بأخرى. ونقص بعض الكلمات كما ثبت في الصحيحين وغيرهما، ونحن اليوم نمنع من يقرأ بها في الصلاة وغيرها منعَ تحريمٍ لا منع كراهة، ولا إشكال في ذلك. ومَنْ نظرَ أقوال الأولين علم حقيقة الأمر»[2].

وقد رُوِيَ كثيرٌ من القراءات المخالفة لخط المصحف في كتب الحديث والقراءات القديمة، مما ينسب إلى عدد من الصحابة، لكن علماء القراءة يعدونها من روايات الآحاد التي لا يمكن أن يثبت بها نص القرآن، مع مخالفتها للإجماع، وقد قال إسماعيل القاضي (ت٢٨٢هـ) في كتابه في القراءات: «فإذا اختار الإنسان أن يقرأ ببعض القراءات التي رُوِيَتْ مما يخالف خط المصحف صار إلى أن يأخذ القراءة برواية واحد عن واحد، وترك ما تَلَقَّته الجماعة عن الجماعة، والذين هم حجة على الناس كلهم، قال: وكذلك ما روي من قراءة ابن مسعود وغيره، ليس لأحد أن يقرأ اليوم به - يعني مما يخالف خط المصحف من ذلك»[3].

ومضى إجماع الأمة على ذلك حتى مطلع القرن الرابع الهجري، حين ظهر ببغداد محمد بن أحمد بن أيوب، المعروف بابن شَنبوذ (ت٣٢٨هـ)، وهو أحد

---

(١) مكي: الإبانة ص١٠.

(٢) منجد المقرئين ص٢١.

(٣) نقلاً عن مكي: الإبانة ص٢١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

علماء القراءة فيها[1]، وأظهر القراءة بما يروى من قراءات قديمة مخالفة لخط المصحف. ونقل قصته الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، فقال: «واشتهر ببغداد أمرَ رجلٍ يعرف بابن شنبوذ، يقرىء الناس ويقرأ في المحراب بحروف يخالف فيها المصحف، مما يروى عن عبد الله بن مسعود، وأُبي بن كعب وغيرهما مما كان يقرأ به قبل جمع المصحف الذي جمعه عثمان بن عفان، ويتبع الشواذ فيقرأ بها ويجادل حتى عظم أمره وفحش، وأنكره الناس. فوجَّهَ السلطان[2] فقبض عليه يوم السبت لست خلون من ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وثلاث مئة، وحُمِلَ إلى دار الوزير محمد بن علي - يعني ابن مقلة - وأحضر القضاة والفقهاء والقراء، وناظره - يعني الوزير - بحضرتهم، فأقام على ما ذكر عنه ونصره، واستنزله الوزير على ذلك فأبى أن ينزل عنه أو يرجع عما يقرأ به مَنْ هذه الشواذ المنكرة التي تزيد على المصحف وتخالفه، فأنكر ذلك جميع مَنْ حضر المجلس، وأشاروا بعقوبته ومعاملته بما يضطره إلى الرجوع، فأمر بتجريده وإقامته بين الهنبازين وضربه بالدرة على قفاه، فضُرِبَ نحو العشرة ضرباً شديداً فلم يصبر واستغاث وأذعن بالرجوع والتوبة فخُلِّيَ عنه. وأعيدت عليه ثيابه واستتيب، وكُتِبَ عليه كتاب بتوبته وأُخِذَ فيه خطه بالتوبة»[3].

وكان ابن النديم قد ذكر قصته وأورد عدداً من القراءات التي خالف بها المصحف، ونقل نصَّ كتابِ توبته، وفيه «يقول: محمد بن أحمد بن أيوب: قد كنت أقرأ حروفاً تخالف مصحف عثمان بن عفان المجمع عليه الذي اتفق أصحاب رسول الله ﷺ على قراءته، ثم بان لي أن ذلك خطأٌ، وأنا منه تائبٌ وعنه مقلعٌ، وإلى الله جل اسمه منه بريءٌ، إذ كان مصحف عثمان هو الحق

---

(١) ترجم له ابن الجزري في «غاية النهاية في طبقات القراء» ٢/ ٥٢-٥٦.

(٢) هو الخليفة العباسي الراضي بالله أبو العباس محمد بن المقتدر، ولي الخلافة سنة ٣٢٢هـ، وتوفي سنة ٣٢٩هـ (ينظر: السيوطي: تاريخ الخلفاء ص٣٩٠-٣٩٣).

(٣) تاريخ بغداد ١/ ٢٨٠-٢٨١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

الذي لا يجوز خلافه ولا يقرأ غيره»[1].

ومن القراءات الشاذة التي ذكر ابن النديم أن ابن شنبوذ قرأ بها: ﴿إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فامضوا إلى ذكر الله﴾ بدلاً من قوله: ﴿فاسعوا﴾ [الجمعة: ٩]، و﴿وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً﴾ بدلاً من قوله: ﴿وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً﴾ [الكهف: ٧٩]، و﴿كالصوف المنفوش﴾ بدلاً من ﴿كالعهن المنفوش﴾ وغيرها.

وكان موقف ابن شنبوذ قد دفع علماء عصره لبحث قضية مخالفة المصحف، وكان أبو بكر الأنباري في طليعتهم، وقد قال الأزهري في «تهذيب اللغة» وهو يتحدث عن (الأحرف السبعة): «ومن قرأ بحرف شاذ يخالف المصحف وخالف بذلك جمهور القَرَأَة المعروفين فهو غير مصيب، وهذا مذهب أهل العلم الذين هم القدوة، ومذهب الراسخين في علم القرآن قديماً وحديثاً، وإلى هذا أومى أبو العباس النحوي. وأبو بكر الأنباري في كتابٍ له ألّفه في اتباع ما في المصحف الإمام»[2]. وقال الخطيب البغدادي في ترجمة ابن شنبوذ: «وكان قد تخيّرَ لنفسه حروفاً من شواذ القراءات تخالف الإجماع، فقرأ بها، فصنف أبو بكر بن الأنباري وغيره كتباً في الرد عليه»[3].

---

(١) الفهرست ص٣٥، وينظر: أبو شامة: المرشد الوجيز ص١٨٩، معرفة القراء ١/ ٢٢٣.

(٢) تهذيب اللغة ٥/ ١٣.

(٣) تاريخ بغداد ١/ ٢٨٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المبحث الثالث

جهود أبي بكر الأنباري في علوم القرآن

مع اعتناء خاص بكتاب (الرد على من خالف مصحف عثمان)

أجمع الذين ترجموا لأبي بكر الأنباري على وصفه بالحفظ والعلم والتواضع والتقوى، ولسنا نهدف هنا إلى كتابة ترجمة له ولا إلى سرد قائمة بمؤلفاته، وإنما نريد توضيح مقدار عناية ابن الأنباري بعلوم القرآن وتفسيره، ثم الكلام بشكل خاص على كتابه في «الرد على من خالف مصحف عثمان»، ممهدين لذلك ببضعة نصوص تكشف عن جوانب من شخصيته العلمية معتمدين في ذلك على أقوال تلامذته ومعاصريه أو من نقل عنهم.

يقول أبو منصور الأزهري (ت٣٧٠هـ) وهو يتحدث في مقدمة كتابه الكبير «تهذيب اللغة» عن العلماء الذين اعتمد عليهم ونقل عنهم في كتابه: «ومنهم أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري النحوي، وكان واحد عصره، وأعلم من شاهدت بكتاب الله ومعانيه وإعرابه، ومعرفته اختلاف أهل العلم في مشكله، وله مؤلفات حِسَانٌ في علم القرآن، وكان صائناً لنفسه، مقدَّماً في صناعته، معروفاً بالصدق حافظاً، حسنَ البيان عَذْبَ الألفاظ، لم يُذكر لنا إلى هذه الغاية من الناشئين بالعراق وغيرها أحدٌ يخلفه أو يسدُّ مسده»[1].

وقال تلميذه أبو علي القالي (ت٣٥٦هـ): «وكان أبو بكر بن الأنباري يحفظ ثلاث مئة ألف بيت شاهداً في القرآن، وكان يحفظ مئة وعشرين تفسيراً

(١) تهذيب اللغة ١/٢٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

بأسانيدها»[1]. وقال محمد بن جعفر التميمي النحوي (ت٤٠٢هـ): «فأما أبو بكر محمد بن القاسم بن الأنباري فما رأينا أحفظ منه ولا أغزر بحراً منه... وكان أحفظَ الناس للغةٍ ونحو وشعر وتفسير قرآن»[2].

أولاً: جهوده في علوم القرآن:

تدور مؤلفات ابن الأنباري حول محورين: الأول اللغة والنحو والأدب، والثاني علوم القرآن والحديث، وأكتفي هنا بالإشارة إلى مؤلفاته في علوم القرآن تمهيداً للحديث عن كتابه في «الرد على من خالف مصحف عثمان». ونشير هنا إلى قضية أثرت على وجود كتبه ذكرها بعض معاصريه، وهي أن ابن الأنباري كان يُملي كتبه المصنفة ومجالسه المشتملة على الحديث والأخبار والتفاسير والأشعار، كل ذلك من حفظه[3]، وعلل محمد بن جعفر التميمي قلة كتبه الباقية بأيدي الناس بذلك حيث قال: «ومات ابن الأنباري فلم نجد من تصنيفه إلا شيئاً يسيراً، وذاك أنه إنما كان يملي من حفظه»[4].

وقد قال الخطيب البغدادي عن ابن الأنباري أنه «صنَّف كتباً كثيرة في علوم القرآن، وغريب الحديث، والمشكل، والوقف والابتداء، والرد على من خالف مصحف العامة»[5]. ولدينا قوائم بمؤلفات ابن الأنباري ذكرتها كتبُ التراجم من ابن النديم حتى عصرنا[6]، وسأذكر هنا كتب علوم القرآن خاصة، مع تعريف

---

(١) الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين ص١٥٣، وياقوت: معجم الأدباء ١٨/ ٣٠٧.

(٢) تاريخ بغداد ٣/ ١٨٣، وينظر: ابن الجوزي: المنتظم ٦/ ٣١٢.

(٣) الخطيب: تاريخ بغداد ٣/ ١٨٢.

(٤) المصدر نفسه ٣/ ١٨٤، والفراء: طبقات الحنابلة ٢/ ٧١.

(٥) تاريخ بغداد ٣/ ١٨٢.

(٦) من أراد الاطلاع على قائمة مفصلة بمؤلفاته فيمكنه الرجوع إلى ما كتبه الدكتور طارق عبد عون في تقديمه لكتاب (المذكر والمؤنث) لابن الأنباري (ص١٩-٢٦). وما كتبه الدكتور حاتم صالح الضامن في تقديمه لكتاب «الزاهر» له أيضاً (١/ ٢١-٢٥).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

موجز بها، مرتبة على حروف المعجم[1]:

١- «كتاب إيضاح الوقف والابتداء»[2]. وهو مطبوع[3]. وهو أقدم كتب الوقف المطبوعة وأكبرها، وكتب له ابن الأنباري مقدمة طويلة في أصول هذا العلم وشرح مصطلحاته، وقضايا كثيرة تتصل بعلم القراءة ورسم المصحف.

٢- «تفسير الصحابة»[4].

٣- «كتاب الرد على الملحدين في القرآن»، ذكره ابن الأنباري في كتابه «الأضداد»[5]، ثم ذكره في موضعين آخرين باسم «الرد على أهل الإلحاد في القرآن»[6]، ويترجح لدَيَّ أنهما كتاب واحد، ويفهم من المواضع التي ذُكِرَ فيها في كتاب الأضداد أنه يتعلق بتأويل الآيات المتشابهة في القرآن، ويكون بذلك على نحو كتاب قطرب «الرد على الملحدين في متشابه القرآن»[7]، لكن هذا لا

---

(١) هناك مخطوطة في مكتبة البلدية في الاسكندرية عنوانها (عجائب علوم القرآن)، ومنها نسخة على الميكروفلم في مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب بجامعة بغداد رقمها (٢٠٠٤) منسوبة إلى ابن الأنباري وقد تشكك في صحة هذه النسبة محققو عددٍ من كتب ابن الأنباري مثل كتاب المذكر والمؤنث (ص٢٨) وكتاب الزاهر (١/ ٢٦)، وهم محقون في ذلك، وأضيفُ أنَّ المخطوطة المذكورة هي نسخة من كتاب «فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن» لابن الجوزي فقد جاء في مقدمة المخطوطة «لما ألفتُ كتابي التلقيح في غرائب علوم الحديث رأيت أن تأليف كتاب في عجائب علوم القرآن أدعى...» وهذا النص بعينه في صفحة (٥٠) من (فنون الأفنان) من الطبعة التي حققها د. رشيد عبد الرحمن العبيدي.

(٢) ابن النديم: الفهرست ص٨٢، والقفطي: إنباه الرواة ٣/ ٢٠٨، والبغدادي: هدية العارفين ٢/ ٣٥.

(٣) صدرت طبعته الأولى بدمشق سنة ١٣٩٠هـ= ١٩٧١م.

(٤) البغدادي: هدية العارفين ٢/ ٣٥.

(٥) الأضداد ص٢٨٢.

(٦) الأضداد ص٣٦٨ و٤٢٨.

(٧) حاجي خليفة: كشف الظنون ١/ ٨٣٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

يمنع من احتمال أن يكون لهذا الكتاب علاقة بالكتاب الآتي ذكره.

٤- «كتاب الرد على من خالف مصحف عثمان»، سنتحدث عنه على نحو مفصل في الفقرة الثانية من هذا المبحث، إن شاء الله تعالى.

٥- الضمائر الواقعة في القرآن، قال عنه الزركشي: «وقد صنف ابن الأنباري كتاباً في تعيين الضمائر الواقعة في القرآن، في مجلدين»[١]. وقد سمَّاه كل من حاجي خليفة والبغدادي «ضمائر القرآن»[٢].

٦- «رسالة في المشكل»، رداً على ابن قتيبة وأبي حاتم، ونقضاً لقولهما[٣]. ولم أقف على موضوع الرسالة.

٧- «كتاب المشكل في معاني القرآن»، وهو غير الرسالة السابقة، قال عنه الخطيب البغدادي: «أملاه، وبلغ إلى (طه) وما أَتَمَّهُ، وقد أملاه سنين كثيرة»[٤].

٨- «كتاب المصاحف»، نقل عنه ابن هشام في المغني نصاً[٥]، وذكره حاجي خليفة في كشف الظنون[٦].

٩- كتاب في الناسخ والمنسوخ، ذكره الزركشي ونسبه إلى ابن الأنباري وكذا فعل السيوطي[٧].

١٠- كتاب نقض مسائل ابن شنبوذ[٨]، وهذا الكتاب قريب الصلة بكتاب «الرد

---

(١) البرهان ٢/ ٢١٢، وينظر أيضاً ٤/ ٢٤.

(٢) كشف الظنون ٢/ ١٠٨٧، وهدية العارفين ٢/ ٣٥.

(٣) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٣/ ١٨٤، وابن خلكان: وفيات الأعيان ٤/ ٣٤٢.

(٤) تاريخ بغداد ٣/ ١٨٤، وينظر: ابن النديم: الفهرست ص٣٧ و٨٢.

(٥) المغني ٢/ ٣١٩.

(٦) كشف الظنون ٢/ ١٧٠٣.

(٧) البرهان ٢/ ٢٨، والإتقان ٣/ ٥٩.

(٨) ابن النديم: الفهرست ص٨٢، وياقوت: معجم الأدباء ١٨/ ٣١٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

على من خالف مصحف عثمان»، ولعله نفسه.

١١- كتاب الهاءات في كتاب الله عز وجل[١]. قال عنه الخطيب البغدادي نحو ألف ورقة[٢]. ونقل منه الزركشي في «البرهان»[٣]، ويظهر أن موضوع هذا الكتاب قريب الصلة بموضوع كتاب «الضمائر الواقعة في القرآن».

وهناك رسالة مخطوطة باسم (المواضع التي يكتب فيها التاء بدل الهاء من القرآن) لابن الأنباري، رجح بروكلمان أنها من كتاب «الهاءات»[٤]. وقد طبعت باسم (جزء مستخرج من كتاب الهاءات)[٥]، وفي ذلك نظر، لأن ما ورد في هذه الرسالة يتعلق بأمرين: الأول: ما رُسمت فيه الهاء تاء، والثاني: المقطوع والموصول في الرسم.

ثانياً: كتاب «الرد على من خالف مصحف عثمان»:

كان هذا الكتاب أحدَ كُتُب أبي بكر الأنباري المشهورة لدى العلماء السابقين. ويبدو أن ما شاع من مذهب ابن شنبوذ من قراءته حروفاً تخالف المصحف هو الذي جعل ابن الأنباري يؤلف هذا الكتاب، فقد ذكر الخطيب البغدادي أن ابن شنبوذ «كان قد تخيَّر لنفسه حروفاً من شواذ القراءات تخالف الإجماع، فقرأ بها، فصنف أبو بكر بن الأنباري وغيره كتباً في الرد عليه»[٦]. وقال الأزهري وهو يتحدث عن معنى قوله ﷺ: «نزل القرآن على سبعة أحرف»: «فمن قرأ بحرف لا يخالف المصحف بزيادة أو نقصان أو تقديمِ مُؤخَّر أو تأخيرِ مُقدَّم، وقد قرأ به

---

(١) ابن النديم: الفهرست ص٨٢، والقفطي: إنباه الرواة ٣/ ٢٠٨.

(٢) تاريخ بغداد ٣/ ١٨٤.

(٣) البرهان ٣/ ١٢٧.

(٤) تاريخ الأدب العربي ٢/ ٢١٦.

(٥) بتحقيق نوار محمد حسن آل ياسين، بمجلة البلاغ، العدد الرابع، السنة السادسة، وهو يقع في (١٩ صفحة) بضمنها مقدمة التحقيق.

(٦) تاريخ بغداد ١/ ٢٨٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

إمام من أئمة القراء المشتهرين في الأمصار فقد قرأ بحرف من الحروف السبعة التي نزل القرآن بها، ومن قرأ بحرف شاذ يخالف المصحف وخالف بذلك جمهور القرأة المعروفين فهو غير مصيب، وهذا مذهب أهل العلم الذين هم القدوة، ومذهب الراسخين في علم القرآن قديماً وحديثاً، وإلى هذا أومى أبو العباس النحوي وأبو بكر الأنباري في كتاب له ألفه في اتباع ما في المصحف الإمام»[1].

والاسم المشهور للكتاب هو «الرد على مَنْ خالف مصحف عثمان»[2]، أما قول الخطيب البغدادي: «وصنف كتباً كثيرة في علوم القرآن، وغريب الحديث، والمشكل، والوقف والابتداء، والرد على من خالف مصحف العامة»[3]. فإنه يشير إلى موضوع الكتاب، فقد يسمى مصحف عثمان بمصحف العامة، أي الجماعة، على نحو ما قال الأزهري في النص السابق (اتباع ما في المصحف الإمام) يريد مصحف عثمان.

وكادت أخبار هذا الكتاب تنقطع وآثاره تختفي، فلم نسمع أو نقرأ عن وجود نسخة خطية باقية منه، لولا النصوص التي نقلها أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت٦٧١هـ) في تفسيره المشهور «الجامع لأحكام القرآن» الذي كان من منهجه النص على المصادر التي ينقل عنها، فقد قال في المقدمة: «وشرطي في هذا الكتاب إضافة الأقوال إلى قائليها، والأحاديث إلى مصنفيها، فإنه يقال: من بركة العلم أن يُضافَ القولُ إلى قائله»[4]. وقد صرّح القرطبي بالنقل عن كتاب «الرد على من خالف مصحف عثمان» في اثني عشر موضعاً، وهناك مواضع

---

(١) تهذيب اللغة ١/ ١٣.

(٢) ابن النديم: الفهرست ص٨٢، وياقوت: معجم الأدباء ١٨/ ٣١٣، والداودي: طبقات المفسرين ٢/ ٢٢٩، والبغدادي: هدية العارفين ٢/ ٣٥.

(٣) تاريخ بغداد ٣/ ١٨٢، ونقل ذلك السمعاني: الأنساب ١/ ٢١٢، وابن خلكان: وفيات الأعيان ٤/ ٣٤١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

أُخرى - من بين المواضع التسعين التي صرّح فيها بآسم أبي بكر الأنباري[1] - يترجَّح لديّ أنها من الكتاب نفسه، لكون موضوعها يتناسب مع موضوع الكتاب.

ولم أجد مَنْ نَقَلَ عن الكتاب بعد القرطبي غير السيوطي، الذي صرح بالنقل عنه في موضعين من كتابه الكبير «الإتقان في علوم القرآن»[2]، على الرغم من أنه ذكر الكتاب في قائمة الكتب التي ذكر في المقدمة أنه اعتمد عليها في تأليف كتابه[3].

أما القرطبي فإنه صرح باسم الكتاب كاملاً في أول موضع نقل منه، حيث قال: «وأسند أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن محمد[4] الأنباري النحوي في كتاب الرد على من خالف مصحف عثمان...»[5]. ثم اختصر العنوان في المواضع الأخرى واكتفى بقوله: قال في كتاب الرد، أو ذكر أو نحو ذلك[6].

---

(١) اعتمدت في هذه الإحصائية على فهرس الأعلام الملحق بطبعة الكتاب التي أصدرتها دار الفكر.

(٢) الإتقان ٢/ ٩٠ و٢٧١.

(٣) الإتقان ١/ ١٨.

(٤) المشهور أنه (محمد بن القاسم بن محمد بن بشار).

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١/ ١٥.

(٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١/ ٣٢ و٣٥ و٥٤ و٦٠ و١٠٩، ٩/ ٣٢٠، ١١/ ١٨٢، ١٢/ ٨، ١٤/ ٢٥٢، ١٥/ ٣٣٩، ٢٠/ ٢٢٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المبحث الرابع

نصوص من كتاب «الرد على من خالف مصحف عثمان»

عرض وتحليل:

ليس القصد هنا جمع النصوص الباقية من الكتاب، لأنّ ذلك أمر يطول به البحث، وأكتفي الآن بالإشارة إلى عدد من تلك النصوص وإيراد بعضها لغرضين: الأول التعرف على موضوعات الكتاب، والثاني توضيح موقف أبي بكر الأنباري من القراءة بالشواذ المخالفة لخط المصحف، مما قرأ به ابن شنبوذ، على نحو ما ذكرنا في المبحث الثاني.

أولاً: موضوعات الكتاب:

موضوع الكتاب الأساسي هو بيان بطلان مذهب ابن شنبوذ في قراءته بحروف مخالفة لخط المصحف، مما زعم أن بعض الصحابة قرأ به، وفي تفسير «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي نص طويل يستغرق خمس صفحات من كلام أبي بكر الأنباري في الموضوع غير معزو إلى كتاب الرد، وأحسب أنه يشكل مقدمة ذلك الكتاب، ومن المناسب أن أقتطف هنا سطوراً من ذلك النص[1].

«قال الإمام أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن محمد الأنباري: ولم يزل أهل الفضل والعقل يعرفون من شرف القرآن وعلوّ منزلته ما يوجبه الحق والإنصاف والديانة، ويتفوق عنه قول المبطلين وتمويه الملحدين وتحريف

(١) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٨١-٨٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

الزائغين، حتى نبغ في زماننا هذا زائغ زاغ عن الملة[1]، وهجم على الأمة بما يحاول به إبطال الشريعة التي لا يزال الله يؤيدها، ويثبت أُسَّها، وينمي فرعها، ويحرسها من معايب أُولي الجَنَفِ والجَوْرِ، ومكايد أهل العداوة والكفر.

«فزعم أن المصحف الذي جمعه عثمان - رضي الله عنه - باتفاق أصحاب رسول الله ﷺ على تصويبه فيما فعل لا يشتمل على جميع القرآن...

«وادَّعى أن عثمان والصحابة - رضي الله عنهم - زادوا في القرآن ما ليس فيه، فقرأ في صلاة الفرض والناس يسمعون: «الله الواحد الصمد» فأسقط (قل هو) وغيَّر لفظ (أحد) وادَّعى أن هذا هو الصواب والذي عليه الناس هو الباطل والمحال...

«وادَّعى أن عثمان - رضي الله عنه - لما أسند جمع القرآن إلى زيد بن ثابت لم يصب، لأن عبد الله بن مسعود وأُبي بن كعب كانا أولى بذلك من زيد...».

والنصوص التي نقلها القرطبي والسيوطي من كتاب الرد تشير إلى أن الكتاب يتضمن موضوعات أُخرى لها صلة بموضوعه الأساسي الذي أشرنا إليه، منها:

١- فضائل القرآن[2].

٢- نزول القرآن، ومواضع نزوله، وآخر آية نزلت[3].

٣- كتابة القرآن، وما يتعلق بها[4].

---

(١) يقصد ابن شنبوذ، كما تدل على ذلك مقارنة ما ورد في هذا النص وغيره من نصوص كتاب الرد بما جاء في المصادر الأخرى، على أن أبا بكر الأنباري لم يصرح باسم ابن شنبوذ في أي نص من نصوص كتاب الرد التي بأيدينا.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٥.

(٣) المصدر نفسه ١/ ٦٠ و٣/ ٣٧٥ و١٧/ ٢٢٤.

(٤) المصدر نفسه ١/ ٤٩، والسيوطي: الإتقان ١/ ٢٧٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

٤- تفسير القرآن[١].

وبعد هذا كله هناك أُمور أُخرى لا تزال بها حاجة إلى البيان منها حجم الكتاب، وطريقة تبويبه، وعلاقته بكتاب «نقض مسائل ابن شنبوذ»، وكتاب «الرد على أهل الإلحاد في القرآن»، ويمكن أن يسهم في توضيح هذه الأمور اكتشاف نصوص جديدة من هذه الكتب، ويمكن أن يُجلِّيها تماماً العثور على نسخ مخطوطة لهذه الكتب، أو لواحد منها على الأقل، وما ذلك بالأمر المستحيل، إن شاء الله.

ثانياً: موقف ابن الأنباري من القراءة بالشواذ المخالفة لخط المصحف:

من الأمور التي أجمع عليها العلماء أن القراءة بما خالف خط المصحف لا تجوز في الصلاة أو في خارجها. وقد بينا ذلك في المبحث الثاني، ونوضح هنا موقف أبي بكر الأنباري خاصة من هذه القضية، وهو يؤكد إجماع العلماء على ذلك، حيث قال في كتابه: «إيضاح الوقف والابتداء»: «فلما اجتمع القراء على ترك كل قراءة تخالف المصحف، كان كل مَن تعمد خلاف المصحف في وصل أو وقف مخطئاً»[٢]. ثم زاد هذا الأمر بياناً في كتابه «الرد على من خالف مصحف عثمان» الذي يعد من مؤلفاته التي كتبها في سنيِّ حياته الأخيرة، فقد عُقِدَ مجلس مناقشة ابن شنبوذ يوم السبت لست خلون من ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وثلاث مئة[٣]، وألّف أبو بكر الأنباري كتابه بعد هذا التاريخ، وقبل وفاته سنة ٣٢٨هـ.

ويتلخص رأيه في القراءات الشاذة المخالفة لخط المصحف التي يذكر بعضهم أن من الصحابة من قرأ بها قبل الإجماع على مصحف عثمان، أنها لا تعدو أحد أمرين:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٣٢ و٤/ ١٤.

(٢) إيضاح الوقف والابتداء ١/ ٢٨٢.

(٣) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١/ ٢٨٠، والذهبي: معرفة القراء ١/ ٢٢٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

الأول: أن تكون تفسيراً أدرجه بعض السامعين في القراءة توهماً.

الثاني: أن يكون النقل لها غير ثابت ولا صحيح.

قال أبو بكر الأنباري: «وما يؤثر عن الصحابة والتابعين أنهم قرؤوا بكذا وكذا إنما ذلك على جهة البيان والتفسير، لا أنَّ ذلك قرآن يُتلى»[1]. وروي أن ابن الزبير قرأ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران] ويستعينون الله على ما أصابهم، قال أبو بكر الأنباري: وهذه الزيادة من تفسير ابن الزبير... كلام من كلامه، غَلِطَ فيه بعض الناقلين فألحقه بألفاظ القرآن»[2].

وروي عن ابن مسعود أنه كان يقرأ ﴿والنهار إذا تجلى، والذكر والأنثى﴾ ويسقط (وما خلق) [الليل: ٢-٣]، وروي عن أبي الدرداء مثله، قال أبو بكر الأنباري: «كل من هذين الحديثين مردود، بخلاف الإجماع له، وأن حمزة وعاصماً يرويان عن عبد الله بن مسعود ما عليه جماعة المسلمين، والبناء على سندين يوافقان الإجماع أَوْلى من الأخذ بواحد يخالفه الإجماع والأمة، وما يُبنى على رواية واحد إذا حاذاه رواية جماعة تخالفه، أُخِذَ برواية الجماعة، وأُبطل نقل الواحد، لما يجوز عليه من النسيان والإغفال. ولو صحَّ الحديث عن أبي الدرداء وكان إسناده مقبولاً معروفاً، ثم كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة - رضي الله عنهم - يخالفونه، لكان الحكم العمل بما روته الجماعة، ورفض ما يحكيه الواحد المنفرد، الذي يسرع إليه من النسيان ما لا يسرع إلى الجماعة وجميع أهل الملة»[3].

ويمضي ابن الأنباري على ذلك النحو من المناقشة في نفي الشبهات حول سلامة النص القرآني من الزيادة أو التبديل، ويقرر أن مصحف عثمان هو

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٨٦.

(٢) المصدر نفسه ٤/ ١٦٥.

(٣) المصدر نفسه ٢٠/ ٨١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المصحف الذي تلقته الأمة عن النبي ﷺ وهو الذي أجمع عليه الصحابة - رضي الله عنهم - وما نقل في بعض روايات الآحاد أو المجهولة الإسناد من زيادة كلمة أو تبديل كلمة بأخرى فمحمول على التفسير أو أنه لا أصل له على الإطلاق، وأن في ما أقدم عليه ابن شنبوذ «توطئة الطريق لأهل الإلحاد، لِيُدخِلوا في القرآن ما يحلُّون به عُرى الإسلام، وينسبونه إلى قوم كهؤلاء القوم الذين أحالوا هذا بالأباطيل عليهم. وفيه إبطال الإجماع الذي يحرس الإسلام، وبثباتهِ تُقام الصلوات وتؤدَّى الزكوات وتُتحرَّى المتعبدات»[1].

وجهود أبي بكر الأنباري في علوم القرآن، وكتابه الرد على من خالف مصحف عثمان تحتمل من الكلام أكثر مما ورد في هذا البحث، الذي أرجو أن يكون قد أعطى صورة واضحة عما كان لهذا العالم من جهد متميز في الدراسات القرآنية المباركة، ولفت الأنظار إلى كتابٍ مَنْسِيٍّ له مكانته وأهميته في تاريخ القرآن، والحمد لله رب العالمين.

(١) المصدر نفسه ١/ ٨٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

(٢)

تَحْزِيبُ القرآنِ
في المصادرِ والمصاحفِ[١]

مقدمة

الحمدُ للهِ، وسلامٌ على عبادِه الذين ٱصْطَفَى، أَما بَعْدُ:

فإنَّ قارىءَ القرآنِ يَجِدُ في المصحفِ منازلَ يُمْكِنُهُ أن يتوقفَ عندها في وِرْدِه اليومي، فإن أراد أن يختم في شهرٍ قرَأَ كلَّ يوم جزءاً من أجزاء ثلاثين، وإن أراد أن يزيد أو ينقص أمكنه ذلك ووَجَدَ في المصحف ما يَدُلُّه على ذلك. وإن أراد حِفْظَ القرآنِ في سَنَةٍ وَجَدَ ما يُعِينُهُ على ذلك، سواءٌ في المصادر أو المصاحف.

وقد يتساءلُ قارىءُ القرآنِ عن أصلِ التجزئة الموجودة في المصاحف، ومتى ظهرت، وما الأساس الذي تستند إليه؟ ويكون التساؤلُ أكثرَ إلحاحاً حين يجدُ القارىء تفاوتاً في حجم أرباع الأحزاب، فيجدُ رُبْعاً يأخذ خمسين سطراً، ويجدُ رُبْعاً آخر لا يأخذ إلا نصف هذه المساحة أو أقل.

وكان ذلك التساؤلُ يتجدَّدُ في نفسي، وبدأتُ أتتبع المصادر التي تُعنى بالموضوع، وأنظرُ في المصاحف التي تتيسر لي، وانكشف لي من خلال ذلك كثير من جوانب الموضوع، وأردتُ أن أنقلَ ما وقفتُ عليه، وأكشفَ ما توصلتُ

---

(١) منشور في مجلة الأحمدية في دبي سنة ١٤٢٤هـ.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

إليه إلى المهتمين بأمر المصاحف، في المعاهد والجامعات، وفي المؤسسات ودور النشر، حتى يأخذوا بالحسبان الحقائق التي جمعتها في هذا البحث، وهي موجودة في المصادر لكنها لم تكن في متناول يد جمهور القراء، كما أنها لم تؤخذ بالحسبان من الذين تولوا كتابة المصاحف والإشراف على نشرها في الوقت الحاضر.

وسوف أتناول في هذا البحث أوليات تحزيب القرآن، قبل عصر تدوين العلوم، ثم ما صار إليه التحزيب بعد عصر التأليف وتدوين العلوم، وأعرض مذاهب العلماء في أُسس التحزيب وجهودهم في ذلك، ثم أنظر في أشهر المصاحف المطبوعة المتداولة في زماننا للوقوف على طريقة التحزيب المتبعة فيها. وسوف أناقش هذه الموضوعات من خلال المباحث الأربعة الآتية:

المبحث الأول: تمهيد في تعريف المصطلح وأوليته.

المبحث الثاني: تحزيب القرآن في المصادر.

المبحث الثالث: تحزيب القرآن في المصاحف.

المبحث الرابع: تحزيب القرآن بين المصادر والمصاحف.

وأدعو الله تعالى أن يوفقني في هذا البحث، وفي غيره من أموري، إلى بلوغ الحقيقة، وإلى صدق التعبير عنها، وأن يجنبني الخطأ والزلل، وأن يغفر ما وقع مني وما سيقع، إنه وليُّ التوفيق.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المبحث الأول

تمهيد في تعريف المصطلح وأَوَّليته

التَّحْزِيبُ مشتقٌّ من الحِزْبِ، وهو مصدرُ الفعلِ حَزَّبَ، والحزبُ: جماعة الناس، والجمع أحزاب، والحِزْب الوِرْدُ، وهو ما يجعله الرجل على نفسه من قراءة القرآن[1].

ومصطلح (تحزيب القرآن) معروف منذ عصر الصحابة، بل جاءت كلمة (حزب) في حديث رسول الله ﷺ بمعنى الجزء من القرآن، واستخدم عدد من علماء الحديث مصطلح (تحزيب القرآن) في عناوين بعض الأبواب[2].

وكَرِه بعضُ السلف استخدام مصطلح (تحزيب القرآن)، لكن العلماء بَيَّنُوا جواز ذلك، فقد أخرج أبو داود عن ابن الهاد (عبد الله بن شداد)، قال: سألني نافع بن جُبير بن مُطعم فقال لي: في كم تقرأُ القرآن؟ فقلتُ: ما أُحزِّبُهُ. فقال لي نافع: لا تقل: ما أُحزِّبُه، فإن رسول الله ﷺ قال: قرأتُ جزءاً من القرآن»[3].

ولم تَشِعْ كلمة (الجزء) في العصور المتقدمة، وإن كان معناها اللغوي مقارباً لمعنى كلمة (الحزب)، وغلب استخدام كلمة (الجزء) في العصور المتأخرة، والوقت الحاضر، وتخصصت كلمة (الجزء) بأجزاء ثلاثين، وكلمة الحزب

---

(١) ينظر: ابن منظور: لسان العرب ١/ ٢٩٩ (حزب)، وابن الأثير: النهاية ١/ ٣٧٦.

(٢) ينظر: موطأ مالك ص١٤٢، وسنن أبي داود ٢/ ٥٥.

(٣) سنن أبي داود ٢/ ٥٥ (رقم الحديث ١٣٩٢)، وينظر: ابن أبي داود: المصاحف ١١٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

بأنصافها.

ويُعَبِّرُ عن تقارب معنى الكلمتين قول علم الدين السخاوي: «يقال: أجزاء القرآن، والأحزاب، والأوراد، بمعنى واحد»[1]. ووَضَعَ ابن كثير الكلمتين في العنوان، فقال: «التحزيب والتجزئة، وأما التحزيب والتجزئة فقد اشتهرت الأجزاء من ثلاثين»[2].

وأشهر حديث في تحزيب القرآن في زمن النبي ﷺ هو حديث أوس بن حذيفة الثقفي، الذي كان في وفد ثقيف الذين حضروا إلى المدينة، وكان رسول الله ﷺ يأتيهم كل ليلة بعد العِشَاء يحدِّثُهم، فلما كانت ليلةٌ أبطأ عن الوقت الذي كان يأتيهم فيه، فقالوا: لقد أبطأت علينا الليلة، قال: إنه طرأ عليَّ حزبي من القرآن، فكرهت أن أجيءَ حتى أُتِمَّهُ، وقال أوس: سألتُ أصحاب رسول الله ﷺ: كيف تحزِّبون القرآن؟ قالوا: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصل من ق حتى نختم[3].

فثلاثُ سورٍ: البقرة وآل عمران والنساء.

وخمسُ سور: المائدة والأنعام والأعراف والأنفال والتوبة.

وسبعُ سور: يونس وهود ويوسف والرعد وإبراهيم والحجر والنحل.

وتسعُ سور: الإسراء والكهف ومريم وطه والأنبياء والحج والمؤمنون والنور والفرقان.

وإحدى عشرةُ: الشعراء والنمل والقصص والعنكبوت والروم ولقمان والسجدة

---

(١) جمال القراء ١/ ١٢٤.

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٨.

(٣) سنن أبي داود ٢/ ٥٥ (رقم الحديث ١٣٩٣)، ومسند الإمام أحمد ٤/ ٣٤٣، والداني: البيان ص٣٠٠، وعلم الدين السخاوي: جمال القراء ١/ ١٢٤، والزركشي: البرهان ١/ ٢٤٧، وابن حجر: فتح الباري ٩/ ٤٢، والسيوطي: الإتقان ١/ ١٧٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

والأحزاب وسبأ وفاطر ويس.

وثلاث عشر: الصافات وص والزمر وغافر وفصِّلت والشورى والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف ومحمد والفتح والحجرات.

وحزب المفصل: من سورة ق حتى خاتمة القرآن، وهو خمس وستون سورة.

ومجموع السور في هذه الأحزاب مئة وثلاثَ عشرةَ سورة، ولم تدخل الفاتحة في التحزيب، لأنها فاتحة الكتاب، وتتلى كل يوم مرات كثيرة، وهذا التحزيب مطابق لترتيب السور في المصحف، ومن ثم قال ابن حجر: «فهذا يدل على أن ترتيب السور على ما هو في المصحف الآن كان على عهد النبي ﷺ»[1].

ومن الأحاديث الأخرى التي لها علاقة بتحزيب القرآن حديث عبد الله بن عمرو - رضي الله عنه - وجاء فيه أن النبيَّ ﷺ قال: أَقْرَأ القرآنَ في شهر، قال عبد الله: إني أُطيق أكثر من ذلك، فقال له رسول الله: اقرَأْهُ في كل سبع ليالٍ مرة[2]. قال البخاري: وقال بعضهم: في ثلاث أو في سبع، وأكثرهم على سبع[3].

ويبدو أن قراءة القرآن الكريم في عصر الصحابة - رضوان الله عليهم - كانت تستند إلى تحزيب القرآن، حتى إذا شُغِلَ أحدهم عن قراءة حزبه قَضَاهُ في غير وقته، فقد أخرج مسلم عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ نامَ عن حِزْبِهِ أو عن شيءٍ منه، فقرأَهُ فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كُتب له كأنه قرأه من الليل»[4].

---

(١) فتح الباري ٩/ ٤٣.

(٢) رواه البخاري (فتح الباري ٩/ ٩٤).

(٣) المصدر نفسه ٩/ ٩٥.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ٦/ ٢٩، وينظر: موطأ مالك ص١٤٢، ورواه أصحاب السنن أيضاً.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وبذل علماء التابعين جهداً عظيماً من أجل تحزيب القرآن، لأن كثيراً من الناس لا تتاح لهم قراءتُه في سبع ليال، ومن ثم احتاجوا إلى الوقوف على مواضع الأحزاب لمن قرأه في شهر أو أقل من ذلك أو أكثر.

ولعلماء التابعين من أهل العراق دورٌ مهم في تحزيب القرآن، فقد كان الحجَّاج قد دعاهم إلى عدِّ حروف القرآن، وتعيين مواضع الأجزاء في المصحف، ونُقِلَتْ هذه الرواية من عدة طرق، أشهرها طريق ابن مهران، وطريق ابن أبي داود.

أما رواية ابن مهران فقد ذكرها الزركشي بقوله: «قال الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران المقرىء: عدد سور القرآن مئة وأربع عشر سورة، وقال: بعثَ الحجاجُ بن يوسفَ إلى قراءِ البصرة، فجمعهم واختار منهم الحسنَ البصريَّ، وأبا العالية، ونصرَ بن عاصم، وعاصماً الجحدري، ومالكَ بن دينار، رحمة الله عليهم، وقال: عُدُّوا حروفَ القرآن، فَبَقُوا أربعة أشهر يَعُدُّون بالشعير، فأجمعوا على أن كلماته سبعٌ وسبعون ألف كلمة وأربعُ مئةٍ وتسعٌ وثلاثون كلمة، وأجمعوا على أن عدد حروفه ثلاثُ مئةِ ألف، وثلاثة وعشرون ألفاً، وخمسة عشر حرفاً، انتهى»[1].

أما رواية ابن أبي داود فقد ذكرها في كتابه «المصاحف» عن سلام أبي محمد الحماني[2]، قال: «جمع الحجَّاج بن يوسف الحفاظ والقراء، قال: فكنتُ فيهم، فقال: أخْبِرُوني عن القرآن كلِّه كم هو مِن حرفٍ؟ قال: فجعلنا نَحْسُبُ حتى أجمعوا أن القرآنَ كُلَّهُ ثلاثُ مئةِ ألفِ حرفٍ، وأربعين ألف، وسبع مئة ونيف وأربعين حرفاً[3]. قال: فأَخْبِرُوني إلى أي حرف ينتهي نصف القرآن؟ فَحَسَبُوا

(١) البرهان ١/ ٢٤٩.

(٢) جاء في بعض الروايات أنه راشدٌ أبو محمد الحماني، وكلاهما له ترجمة في الجرح والتعديل، لكن الذي ذُكِرَتْ في ترجمته رواية عدد الحروف هو سلام (ينظر: الجرح والتعديل ٤/ ٢٦٢ و٣/ ٤٨٤).

(٣) في النص خلل من الناحية النحوية، والصواب ما ذكره الداني في كتابه «البيان ص٧٤ =

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

فأجمعوا أنه ينتهي في الكهف ﴿ولْيَتَلَطَّفْ﴾ [١٩] في الفاء...» وذكر الأثلاث والأرباع والأسباع، وقال أبو محمد الحماني: «عَمِلْنَاهُ في أربعة أشهر»[١].

والروايتان تتحدثان عن عمل واحد، لكن بينهما بعض الاختلاف، خاصة في تحديد عدد الحروف. ففي رواية ابن مهران (٣٢٣٠١٥) وفي رواية ابن أبي داود (٣٤٠٧٤٠).

وهناك روايات عن أعمال أُخرى في عَدِّ حروف القرآن، أشهرها ما قام به علماء التابعين في مكة، فنقل الداني عن ابن جريج، قال: «حَسَبُوا القرآن، وفيهم حُمَيْدُ بنُ قيس، فعرضوه على مجاهد وسعيد بن جبير، فلم يُخَطِّئُوهم، فبلغَ ما عدُّوه ثلاثَ مئةِ ألفِ حرف، وثلاثةً وعشرين ألفَ حرفٍ، وستَ مئةِ حرفٍ، وأحداً وسبعين حرفاً»[٢].

وجاءت روايات أخرى في عدد حروف القرآن، عن علماء آخرين من الأمصار الإسلامية الأُخرى، سوف أذكرها في المبحث الآتي، إن شاء الله، عند الحديث عن التحزيب في المصادر.

= و٣٠٠»، وهو: «وأربعون ألفَ حرفٍ، وسبعُ مئة حرف، ونيفٌ وأربعون حرفاً».

(١) المصاحف ص١١٩-١٢٠، وينظر: الداني: البيان ص٣٠٠، والسخاوي: جمال القراء ١/١٢٦، والزركشي: البرهان ١/٢٤٩-٢٥٠.

(٢) البيان ص٧٣، وينظر: الأندرابي: الإيضاح ص٢١٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المبحث الثاني

تحزيب القرآن في المصادر

المقصود بالمصادر هنا المؤلَّفات التي نقلت جهود العلماء في عَدِّ حروف القرآن وفي تحزيبه، وهي تختلط بالمؤلفات الخاصة بعَدِّ الآي، والدارس لا يكاد يجد كتاباً يحمل عنوان تحزيب القرآن، بينما لا يكاد يخلو كتاب من كتب عَدِّ الآي من إشارة إلى أجزاء القرآن[1].

وأهم مصادر تحزيب القرآن، التي اطلعت عليها، ما يأتي:

١- كتاب المصاحف، لابن أبي داود (ت٣١٦هـ).

٢- كتاب البيان في عَدِّ آي القرآن، للداني (ت٤٤٤هـ).

٣- كتاب الإيضاح في القراءات، للأندرابي (ت بعد ٥٠٠هـ).

٤- كتاب فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن، لابن الجوزي (ت٥٩٧هـ).

٥- كتاب جمال القراء وكمال الإقراء، لعلم الدين السخاوي (ت٦٤٣هـ).

وتتضمن هذه المصادر روايات عَدِّ حروف القرآن، ومذاهب العلماء في تحزيبه، بالاستناد إلى جهود العلماء في القرون الأولى. ويمكن أن نشير إلى أشهر العلماء الذين نَقَلَتْ عنهم مصادر التحزيب مادَّتها، وكذلك كان هؤلاء العلماء من أشهر من نُقِلَ عنهم عدد الآي[2]:

(١) تنظر مؤلفات عد الآي: مقدمة تحقيق كتاب البيان للداني ص٤-٧.

(٢) ينظر: الداني: البيان ص٧٣-٧٤، والأندرابي: الإيضاح ص٢١٧-٢١٨، والسخاوي: =

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

١- عطاء بن يسار المدني (ت١٠٣هـ).

٢- عاصم الجحدري البصري (ت١٢٨هـ).

٣- حُميد بن قيس الأعرج المكي (ت١٣٠هـ).

٤- يحيى بن الحارث الذماري الدمشقي (ت١٢٥هـ).

٥- حمزة بن حبيب الزيات الكوفي (ت١٥٦هـ).

وجاءتنا روايات في تحديد عدد حروف القرآن، كما جاءت روايات عن الأحزاب والأجزاء، ونذكر أولاً الروايات الخاصة بعدد الحروف، ثم نذكر روايات الأحزاب والأجزاء.

عدد حروف القرآن:

أبو محمد الحمانيُّ (عن علماء البصرة من جماعة الحجاج): ٣٤٠٧٤٠ حرفاً[١].

عطاءُ بن يسار المدنيُّ: ٣٢٣٠١٥ حرفاً[٢].

حُمَيدُ بنُ قيس المكيُّ: ٣٢٣٦٧١ حرفاً[٣].

حمزةُ بن حبيب الزيات الكوفيُّ: ٣٢١٢٥٠ حرفاً[٤].

يحيى بن الحارث الذِّمَارِيُّ الدمشقيُّ: ٣٢١٥٣٣ حرفاً[٥].

= جمال القراء ١/١٢٧-١٢٩.

(١) ابن أبي داود: المصاحف ص١١٩، والداني: البيان ص٧٤، علماً أنَّ ما جاء في هذين المصدرين هو (ونيف وأربعون) فقرَّبتُ العدد إلى أربعين.

(٢) الداني: البيان ص٧٣، والأندرابي: الإيضاح ص٢١٧.

(٣) المصدران السابقان.

(٤) الداني: البيان ص٧٣، والسخاوي: جمال القراء ١/١٢٨.

(٥) الداني: البيان ص٧٣، والأندرابي: الإيضاح ص٢١٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

ولا نجد تطابقاً بين هذه القراءات، وإن كان التفاوت بين عدد منها أقل من غيره، وللعلماء تعليل معقول لهذا التفاوت في عدد حروف القرآن، يتلخص في اختلاف العلماء في القاعدة التي ينبغي عليها العدُّ، فمنهم مَن يتخذ النطق أساساً، وأكثرهم يجعل الرسم هو الأساس في العد، ومنهم مَن يَعُدُّ الحرف المشدد حرفين، ومنهم مَن يعده حرفاً واحداً.

قال الداني: «وقد تناول بعض علمائنا من المتأخرين عَدَّ حروفِ القرآن مُجْمَلاً ومُفَصَّلاً، إذ رأى الآثار تضطرب في جملة عددها وعدد ما في السور منها، ولم يَدْرِ السببَ الموجب لذلك، وبنى على حال استقرارها في التلاوة، دون حال صورتها في الكتابة... فأتعب نفسه فيما تناوله، وأجهد خاطره فيما قصده، إذ كان ذلك خلافاً لما ذهب إليه السلف...»[1].

وقال الأندرابي: «ولقد عُنِيَ صدر هذه الأمة بالقرآن عناية أكيدة، حتى عَدُّوا آيَهُ وكلماتِه وحروفَه، وقد وقع لهم في ذلك اختلاف ليس باختلاف على الحقيقة، وإن كان اختلافاً في اللفظ... وكذلك في الكلمات والحروف، فإن بعضهم عدَّ ﴿في خلقٍ﴾ و﴿في السماء﴾ و﴿في الأرض﴾ وما أشبه ذلك كلمتين، وبعضهم عدَّها كلمة واحدة، فصار عدد من جعلها كلمتين أكثر، وبعضهم عدَّ كل حرف مشدد حرفين، وبعضهم عدَّه حرفاً واحداً، فصار عدد مَن عدَّه حرفين أكثر، فإلى مثل هذا ينصرف اختلافهم في ذلك»[2].

ولخَّص السيوطي سبب الاختلاف في عدِّ الكلمات، وهو ينطبق على الاختلاف في عدِّ الحروف، بقوله: «وسبب الاختلاف في عدِّ الكلمات أن الكلمة لها حقيقة ومجاز، ولفظٌ ورسمٌ، واعتبارُ كلٍّ منها جائزٌ، وكلٌّ من العلماء اعتبر أحدَ الجوائز»[3].

---

(١) البيان ص٧٥.

(٢) الإيضاح ص٢١٤.

(٣) الإتقان ١/ ١٩٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وينبني على الاختلاف في عدد حروف القران الاختلاف في مواضع الأجزاء، لأن الأجزاء مبنية على عدد الحروف، على نحو ما سنبين بعد قليل، وليس متيسراً لي الآن التحقق من صحة تلك الأعداد، وحسبي أني لفتُّ أنظار الدارسين إلى هذه المسألة، وأرجو أن يكون ذلك سبباً لتضافر الجهود من أجل تحقيق ذلك الهدف، وهو التحقق من عدد حروف القرآن.

أما تجزئه القرآن وتحزيبه فقد جاءت فيه روايات مسندة وروايات غير مسندة، ويتفاوت عدد الأجزاء أو الأحزاب من جزأين إلى ثلاث مئة وستين جزءاً، كما تتفاوت مواضع الأجزاء أيضاً.

ونُقِلَ عن ابن المنادي[1] بيانٌ للأساس الذي تقوم عليه قسمة المصحف على الأجزاء، فذكر السخاوي في «جمال القراء»: «قال أبو الحسين بن المنادي رحمه الله: وكان الأصلُ وِرْدَ الثلاثين، لأنه مقسوم على الحروف، ثم فرَّعَ الناسُ وِردَ الستين على الكلمات، وكذلك ما فرَّعوه [في وِرْدِ] الستين. والوِرْدُ إذا قُسِّمَ على الكلام تباينت قسمته، لأن الكلمات متباينة، ألا ترى أن منها ما هو عشرة أحرف، وذلك ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا ﴿٢٨﴾﴾ [هود]، ومنها ما هو حرفان، نحو (إن) و(عن)...»[2]. وأشار السخاوي إلى هذه القاعدة في موضع آخر من كتابه[3].

ونقل الداني عن أبي بكر محمد بن عبد الله الأصبهاني[4] أنه قال: «وهذه أجزاء عشرين ومئة على ذلك، وكل جزء منها على الحقيقة ألفانِ وثماني مئةٍ وسبعونَ حرفاً، لأن عدد جميع القرآن ثلاثُ مئة ألف حرفٍ، وأربعة وأربعون ألف حرف، وأربع مئة»[5]. وهذه الأعداد التي ذكرها لكل جزء صحيحة بناء على

---

(١) أبو الحسين أحمد بن جعفر، المشهور بابن المنادي، البغدادي المتوفى سنة ٣٣٦هـ (ينظر: ابن الجزري: غاية النهاية ١/ ٤٤).

(٢) جمال القراء ١/ ١٦٢.

(٣) المصدر نفسه ١/ ١٤٩.

(٤) المشهور بابن أشته، المتوفى سنة ٣٦٠هـ (ينظر: غاية النهاية ٢/ ١٨٤).

(٥) البيان ص٣١٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

مجموع حروف القرآن الذي ذكره.

ونقل الداني عن مجاهد بن جبر المكي أنه قال: «هذا ما أحصينا من القرآن، وهو ثلاثُ مئةِ ألفِ حرفٍ، وأحدٌ وعشرونَ ألفَ حرفٍ، ومئةٌ وثمانيةٌ وثمانون حرفاً.

النصفُ من ذلك: مئةُ ألفِ حرفٍ، وستونَ ألفاً، وخمسُ مئة وأربعةٌ وتسعون حرفاً.

وثُلُثُهُ: مئة ألف حرف، وسبعة آلاف، وثمانية وستون حرفاً.

ورُبُعُهُ: ثمانون ألفاً، ومئتان وسبعة وتسعون حرفاً.

وخُمُسُهُ: أربعةٌ وستونَ ألفاً، ومئتانِ وسبعةٌ وثلاثون حرفاً.

وسُدُسُهُ: ثلاثةٌ وخمسونَ ألفاً، وخمسُ مئةٍ وأحدٌ وثلاثون حرفاً.

وسُبُعُهُ: خمسةٌ وأربعونَ ألفاً، وثماني مئةٍ وأربعةٌ وثمانون حرفاً.

وثُمُنُهُ: أربعونَ ألفاً، ومئةٌ وتسعةٌ وأربعون حرفاً.

وتُسُعُهُ: خمسةٌ وثلاثون ألفاً، وستُ مئةٍ وثمانيةٌ وثمانون حرفاً.

وعُشُرُهُ: آثنانِ وثلاثونَ ألفاً، ومئةٌ وتسعةَ عشرَ حرفاً»[1].

وهذه الأعداد صحيحة في مجملها إلا ما كان فيه كسر فإنه يُجْبَرُ بالزيادة أو النقص، وهي لا تتفق مع ما جاء في رواية محمد بن عبد الله الأصبهاني، لأن مجموع الحروف مختلف في الروايتين.

ولا يخفى على القارىء أن تحزيب الصحابة - رضي الله عنهم - للقرآن كان على أساس السور، أما تحزيب التابعين فإنه ينبني على أساس عدد الكلمات والحروف. وقد عدَّ ابن تيمية - رحمه الله - هذا النوع من التحزيب مُحْدَثاً،

(١) البيان ص٧٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

ودعا إلى التمسك بتحزيب الصحابة، يقول: «وإذا كانت التجزئة بالحروف محدثة من عهد الحجاج بالعراق، فمعلوم أن الصحابة قبل ذلك على عهد النبي وبعده كان لهم تحزيب آخر، فإنهم كانوا يقدِّرون تارة بالآيات فيقولون: خمسون آية، ستون آية، وتارة بالسور، لكن تسبيعه بالآيات لم يروه أحد، فتعيَّن التحزيب بالسور»[1].

وذكر ابن تيمية عدداً من الأمور التي يرى أنها ترجح الأخذ بالتحزيب على أساس السور، فقال: وهذا الذي كان عليه الصحابة هو الأحسن لوجوه:

أحدها: أن هذه التحزيبات المحدثة تتضمن دائماً الوقوف على بعض الكلام المتصل بما بعده، حتى يتضمن الوقف على المعطوف دون المعطوف عليه.

الثاني: أن النبي ﷺ كانت عادته الغالبة وعادة أصحابه أن يقرأ في الصلاة بسورة كاملة، وإذا كان كذلك فمعلوم أن هذا التحزيب والتجزئة فيه مخالفةُ السُّنَّةِ أعظم مما في قراءة آخر السورة ووسطها في الصلاة، وبكل حال فلا ريب أن التجزئة والتحزيب الموافق لما كان هو الغالب على تلاوتهم أحسن، والمقصود أن التحزيب بالسورة التامة أولى من التحزيب بالتجزئة.

الثالث: أن التجزئة المحدثة لا سبيل فيها إلى التسوية بين حروف الأجزاء، وذلك لأن الحروف في النطق تخالف الحروف في الخط في الزيادة والنقصان، يزيد كل منهما على الآخر من وجه دون وجه، وبيان ذلك بأمور:

١- أن ألفات الوصل ثابتة في الخط، وهي في اللفظ تثبت في القطع وتحذف في الوصل، فالعادُّ إن حَسَبَها انْتُقِضَ عليه بحال القارىء إذا وصل، وهو الغالب فيها، وإن أسقطها انْتُقِضَ عليه بحال القارىء القاطع، وبالخط.

٢- أن الحرف المشدد حرفان في اللفظ أولهما ساكن، وهذا معروف بالحِسِّ واتفاق الناس، وهما متماثلان في اللفظ، وأما في الخط فقد يكون حرفاً واحداً،

---

(١) مجموع الفتاوى ١٣/ ٤٠٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وقد يكونان حرفين مختلفين، فالعادُّ إن حَسَبَ اللفظ فالإدغام إنما يكون في حال الوصل دون حال القطع، وإن حَسَبَ الخط كان الأمر أعظم اضطراباً.

٣- أن تقطيع حروف النطق من جنس تقطيع العروضيين، وأما حروف الخط فيخالف هذا من وجوه كثيرة، والناس في العادة إنما يَتَهَجَّوْنَ الحروف مكتوبة لا منطوقة، وبينهما فرق عظيم.

٤- أن النطق بالحروف ينقسم إلى ترتيل وغير ترتيل، ومقادير المدات والأصوات من القراء غير منضبطة، وقد يكون في أحد الحزبين من حروف المد أكثر مما في الآخر، فلا يمكن مراعاة التسوية في النطق، ومراعاة مجرد الخط لا فائدة فيه، فإن ذلك لا يوجب تسوية زمان القراءة[١].

ثم قال ابن تيمية: «وإذا كان تحزيبه بالحروف إنما هو تقريب لا تحديد، كان ذلك من جنس تجزئته بالسور، هو أيضاً تقريب، فإن بعض الأسباع قد يكون أكثر من بعض في الحروف، وفي ذلك من المصلحة العظيمة بقراءة الكلام المتصل بعضه ببعض، والافتتاحُ بما فتحَ اللهُ به السورةَ، والاختتامُ بما ختم به، وتكميلُ المقصود من كل سورة، ما ليس في ذلك التحزيب، وفيه أيضاً من زوال المفاسد الذي في التحزيب ما تقدم التنبيه على بعضها، فصار راجحاً بهذا الاعتبار»[٢].

وما جاء في كلام ابن تيمية صحيح، لكن العمل جرى قديماً وحديثاً على اعتماد التحزيب بالتجزئة، واشتهرت الأجزاء الثلاثون المبنية على عدِّ الحروف. وما ذكر ابن تيمية من أن القصد من التحزيب التسوية في زمان النطق لا مساحة الخط قد لا يكون هو المراد دائماً، فقد يكون المراد من التجزئة هو التسوية بين الأجزاء في الخط، وهو ما نجده في مصحف المدينة، إذ يأخذ كل جزء عشرين صفحة في الغالب، وهو أمر حسن، ولا يتفاوت زمان النطق بالجزء عن الجزء

---

(١) المصدر نفسه، بتصرف يسير ١٣/ ٤١٠-٤١٣.

(٢) المصدر نفسه ١٣/ ٤١٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

الآخر كثيراً.

أما ما ذكره من الوقف على المعطوف عليه دون المعطوف أو ما له تَعلقٌ بما قبله، فهذا لا يوجد دائماً في رؤوس الأجزاء، كما أن بإمكان القارىء قراءة آية بعد نهاية الجزء، أو قراءة آية قبل البدء بالجزء، على نحو مَن يضطر للوقف على موضع لا يحسن الوقف عليه.

وينقلنا اعتراض ابن تيمية على استناد التحزيب على عَدِّ الحروف، وترجيحه التحزيب على أساس السور، إلى السؤال عن فائدة عدِّ الحروف وما يتعلق بذلك من التحزيب، فقد ذكر السيوطي أن هذا الموضوع لا فائدة منه، ونقل في ذلك نصّاً عن السخاوي، فقال: «والاشتغال باستيعاب ذلك مما لا طائل تحته، وقد استوعبه ابن الجوزي في «فنون الأفنان»، وعَدَّ الأنصاف والأثلاث إلى الأعشار، وأوسع القول في ذلك، فرَاجِعْهُ منه، فإن كتابنا موضوع للمهمات، لا لمثل هذه البطالات! وقد قال السخاويُّ: لا أعلم لعدد الكلمات والحروف من فائدة، لأن ذلك إن أفاد فإنما يفيد في كتاب يمكن فيه الزيادة والنقصان، والقرآن لا يمكن فيه ذلك»[1].

ولم أقف على كلام السخاوي في كتابه «جمال القراء»، ووجدت فيه ما يشير إلى أنه لا ينفي الفائدة من تحزيب القرآن، فقال بعد أن نقل نصّاً عن ابن المنادي عن تقسيم القرآن على مئة وخمسين جزءاً: «وذَكَرَ هذه الأجزاء جزءاً جزءاً، ولم أرني أُطوِّل الكتاب بذكره، لأن جزء المئة والعشرين يُغني عنه، لأن جزء المئة والعشرين جُعِلَ لقراء المساجد، وهذا قريب منه، وكذلك وِرْدُ ثمانية وعشرين، يُغني عنه وِرْدُ سبعةٍ وعشرين لأنه قريب منه. وقد قُسِّمَ القرآن العزيز على ثلاث مئة وستين جزءاً، لمن يريد حفظ القرآن، فإذا حَفِظَ كلَّ يوم جزءاً حَفِظَ القرآن في سنة، وهذه الأجزاء أسداس الأحزاب، يعني أحزاب ستين»[2].

---

(١) الإتقان ١/ ١٩٧.

(٢) جمال القراء ١/ ١٦٢-١٦٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وصرَّحَ الأندرابي بفائدة تحزيب القرآن بقوله: «والفائدة للقارىء في معرفة أجزاء القرآن أنه إذا عرف ذلك قدَّرَ أوراده في التراويح وغيرها تقديراً واحداً، فإذا أَحَبَّ أن يختمَ القرآن في عشرٍ قرأ كل يوم وليلة عُشْراً منه، فإذا أحبَّ أن يختمه في عشرين قرأ كل يوم وليلة جزءاً من أجزاء العشرين، وكذلك يفعل إذا أحب أن يختمه في ثلاثين أو أقلَّ منها أو أكثر، إن شاء الله»[1].

وأحسب أن عَدَّ حروف القرآن وتحزيب القرآن على أساسٍ من ذلك تتحقق منه فائدتان، في الأقل، الأولى: فائدة عملية، وهي مساعدة مَن يريد حفظ القرآن أو القراءة فيه على تقسيم وقته وتنظيم جهده. والثانية: فائدة معنوية، وهي ما تدل عليه عملية العدِّ من اعتناء علماء السلف بالقرآن الكريم من جوانبه كافة.

وليس من الصعب إيراد مذاهب العلماء، في عدِّ أجزاء القرآن، من جزأين إلى ثلاث مئة وستين جزءاً، والموازنة بينها، وإظهار مواطن الاتفاق ومواطن الاختلاف فيها، ولكن استيعاب ذلك كله في هذا البحث يخرج به عن حجمه المناسب. ويمكن لمن أراد التوسع الرجوع إلى المصادر المختصة بذلك[2]. على أني سوف أُشير إلى ما تدعو الضرورة إلى إيراده عند الموازنة بين ما جاء في المصاحف وما جاء في المصادر.

---

(١) الإيضاح ص٢٧٢.

(٢) ينظر: ابن أبي داود: المصاحف ص١١٨-١٢٢، والداني: البيان في عد آي القرآن ٣٠٢-٣٢٠، والأندرابي: الإيضاح ص٢٦٥-٢٧٢، وابن الجوزي: فنون الأفنان ص١٠٧-١٢٩، وعلم الدين السخاوي: جمال القراء ١/ ١٢٦-١٨٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المبحث الثالث

تحزيب القرآن في المصاحف

لا يخلو مصحف من المصاحف المتداولة المطبوعة من بيان مواضع الأجزاء، وكذلك كثير من المصاحف المخطوطة، ولم يتيسر لي الاطلاع إلا على عدد محدود من تلك المصاحف، لكنها تمثل أشهر المصاحف التي بأيدي الناس، في بلادنا خاصة. وسوف أُعَرِّفُ أولاً بهذه المصاحف، ثم أُبَيِّنُ مصادر التحزيب فيها، ثم نقف على أمثلة لذلك.

ويمكن أن نقسِّمَ المصاحف التي سننظر في تحزيبها على ثلاث مجموعات، الأولى: مصحف قديم بخط ابن البوَّاب، والثانية: مصحف الحافظ عثمان، ومعه مصحف بغداد، والثالثة: مصحف القاهرة، ومعه مصحف المدينة النبوية.

أما مصحف ابن البوَّاب فقد جاء في خاتمته: «كَتَبَ هذا الجامع علي بن هلال، بمدينة السلام سنة إحدى وتسعين وثلاث مئة، حامداً لله تعالى على نعمه، ومصلياً على نبيه محمد وآله، ومستغفراً من ذنبه».

وعلي بن هلال هو الخطاط البغدادي المشهور بابن البواب، الذي هذَّبَ طريقة ابن مقلة في الخط، ويقال إنه نسخ القرآن بيده ٦٤ مرة، والراجح أنه توفي سنة ٤١٣هـ[1].

ومصحفه الذي كتبه سنة (٣٩١هـ) محفوظ في مكتبة جستربتي في مدينة دبلن عاصمة إيرلنده، وأصدرت المكتبة نسخاً مصورة منه أحتفظ بواحدة منها.

---

(١) ينظر: هلال ناجي: ابن البواب ص٨، والزركلي: الأعلام ٥/ ٣٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وأما مصحف الحافظ عثمان فمكتوب بقلم الخطاط التركي عثمان بن علي القسطنطيني، المشهور بالحافظ عثمان لحفظه القرآن الكريم، وكان قد كتب بخطه خمسة وعشرين مصحفاً، وتوفي سنة ١١١٠هـ[١]. والمصحف الذي اطلعت عليه منها هو المكتوب سنة ١٠٩٧هـ على ما جاء في خاتمته من قوله: «كتبه العبد الفقير إلى رحمة ربه القدير، سَمِيُّ جامع القرآن، الشهير بحافظ عثمان... وقد وقع الفراغ في أوائل شعبان، بعناية ربه الديَّان، في سنة سبع وتسعين وألفٍ، من هجرة مَن له العز والشرف»[٢].

ومصحف بغداد هو الذي نشرته وزارة الأوقاف سنة ١٣٧٠هـ الموافق سنة ١٩٥١م. وتتابعت منه عدة طبعات، وهو مخطوط بقلم الخطاط الحاج حافظ محمد أمين الرُّشْدِي، سنة ست وثلاثين ومئتين بعد الألف هجرية، وقد نصت اللجنة في صفحة التعريف بالمصحف بقولها: «وأُخذ هجاؤه، وأجزاؤه، وأحزابه، وعناوين سوره من مكية ومدنية، حسب مصحف الحافظ عثمان المطبوع في الأستانة».

وأما مصحف القاهرة فهو بخط الأستاذ الشيخ محمد علي خلف الحسيني، الشهير بالحدَّاد، شيخ المقارىء المصرية، المتوفى سنة ١٣٥٧هـ= ١٩٣٩م، انتهى من خطه سنة ١٣٣٧هـ. وصدرت منه عدة طبعات راجعها مجموعة من العلماء، وهذا المصحف هو أكثر المصاحف انتشاراً قبل صدور مصحف المدينة.

ومصحف المدينة النبوية مكتوب بقلم الخطاط (عثمان طه) وراجعته لجنة مكونة من عدد من العلماء، سنة ١٤٠٥هـ، وصدرت منه طبعات متتالية، وهو اليوم أشهر المصاحف المتداولة.

ويبدو لي أن التحزيب في هذا المصحف يستند إلى التحزيب المأخوذ به في

---

(١) ينظر: محمد الطاهر الكردي: تاريخ الخط العربي وآدابه ص٣٣٩.

(٢) نشرته مكتبة المثنى في بغداد بدون تاريخ.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

مصحف القاهرة، للتطابق الذي بينهما، والمصادر المتفقة التي أُشير إليها في خاتمة المصحفين.

مصحف ابن البواب:

لم يَنُصَّ ابن البَّواب على المصدر الذي اعتمد عليه في تثبيت الأجزاء في مصحفه، لكنه التزم بالإشارة إلى الأجزاء بالنص عليها في حاشية الصفحات الجانبية، وهو يذكر مواضع الأجزاء السبعة، ومواضع الأجزاء من ثلاثين وستين. وتبلغ صحائف المصحف (٥٤٩) صحيفة، مع صفحة لخاتمته، وصفحات أُخرى في أوله فيها أعداد السور والآي والحروف، وصفحتين في آخره فيهما عدد ما ورد من كل حرف في المصحف من حروف المعجم.

ونص ما جاء في أوله: «بسم الله الرحمن الرحيم:

عددُ سورِ القرآنِ مئةٌ وأربعَ عشرةَ سورةً.

وعددُ ما فيه من آيةٍ: ستةُ آلاف ومئتانِ وستٌّ وثلاثون آية.

وهو سَبْعٌ وسبعونَ ألفَ كلمةٍ وأربعُ مئةٍ وستونَ كلمةً.

وعددُ ما فيه من حروف المعجم: ثلاثُ مئةِ ألفِ حرفٍ، وأَحَدٌ وعشرون ألفَ حرفٍ ومئتان وخمسونَ حرفاً.

وعدد ما فيه من نُقَطِ المعجم مئةُ ألفِ نقطةٍ وستٌّ وخمسون ألفَ نقطةٍ وأَحَدٌ وخمسونَ نقطةً.

في عدد أهل الكوفة، المروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، على محمد نبينا وعليه السلام».

وما ذكره ابن البواب من أعداد منسوبة إلى أهل الكوفة يؤيده ما جاء في كتب

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

العدد حول ذلك[1].

وأَثْبَتَ ابن البوَّاب في مصحفه مواضع أسباع القرآن وأنصافها، ومواضع أجزائه الثلاثين والستين. وجاءت الأسباع وأنصافها موافقه لما ورد في المصادر، إلا في موضع واحد من أنصاف الأسباع، فنصف السبع الثالث في المصادر عند قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [يونس]، وفي مصحف ابن البواب عند قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [يونس][2]. وتشابه الآيتين يمكن أن يكون سبباً في حصول خلط بين الموضعين.

أما مواضع الأجزاء الثلاثين والستين ففيه اختلاف مع بعض المواضع المثبتة في مصحف القاهرة، وهذا الاختلاف انعكاس للاختلاف الوارد في المصادر، وسوف أُشير إلى ذلك بعد أن نستوفي التعريف بالمصاحف الأخرى.

مصحف القاهرة ومصحف المدينة النبوية:

جاء في خاتمة مصحف القاهرة: «وأُخِذَ بيانُ أوائل أجزائه الثلاثين وأحزابه الستين وأرباعها من كتاب «غيث النفع» للسفاقسي و«ناظمة الزُّهر» وشرحها، و«تحقيق البيان»، و«إرشاد القراء والكاتبين» لأبي عبيد المخللاتي».

وجاءت الإشارة في خاتمة مصحف المدينة إلى المصادر ذاتها المذكورة في خاتمة مصحف القاهرة. وهذه المصادر، عدا الأول، هي التي اعْتُمِدَ عليها في عدِّ الآيات في المصحفين بالإضافة إلى مصدر رابع. وهذا تعريف بالمصادر الأربعة التي اعتُمِدَ عليها في التحزيب في المصحفين المذكورين.

---

(١) ينظر: الداني: البيان ص٧٣، و٨٠.

(٢) ينظر عن أسباع القرآن وأنصافها: ابن أبي داود: المصاحف ص١١٨-١١٩، والداني: البيان ص٣٠٣ و٣٠٥، والأندرابي: الإيضاح ص٢٦٧، وابن الجوزي: فنون الأفنان ص١٠٩، والسخاوي: جمال القراء ١/ ١٢٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

١- غيث النفع في القراءات السبع:

تأليف علي بن محمد النوري السفاقسي، المتوفى سنة ١١١٧هـ[١]، قال المؤلف في مقدمة الكتاب: «وأذكرُ حُكْمَ كلِّ رُبْعٍ بانفراده، لأنه أعونُ للناظر وأقربُ للسلامة من الوقوع في الخطأ، وأُشير إلى انتهائه بذكر آخر كلمة منه... وقد وقع للناس في تعيين أوائل الأحزاب والأنصاف والأرباع خلاف، ولا أمشي إلاَّ على المتفق عليه أو المشهور، مع ذكر غيره تتميماً للفائدة»[٢].

وقد التزم المؤلف بذكر أرباع الأحزاب بعد ذكر أحكام القراءة لكل ربع، ويذكر اختلاف أهل العدد واتفاقهم في مواضع الأحزاب وأجزائها، ويفصِّل ذلك أحياناً.

٢- ناظمة الزُّهْر:

تأليف القاسم بن فِيرُّهْ الشاطبي المتوفى سنة ٥٩٠هـ[٣]، وهو مؤلف قصيدة (حرز الأماني) المشهورة بالشاطبية في القراءات السبع، ومؤلف قصيدة (عقيلة أتراب القصائد) في رسم المصحف. و(ناظمة الزهر) قصيدة رائية في بيان مذاهب العلماء في عدد آي القرآن، وعدد أبياتها (٢٩٧) بيتاً كما أشار الناظم إلى ذلك في آخرها. ومطلع القصيدة[٤]:

بـدأت بحمـد اللهِ نـاظمـةَ الـزُّهْـرِ لتَجنِـي بعـونِ الله عَيْنـاً مـن الـزَّهْـر

ولم أجد في القصيدة ما يشير إلى مواضع الأجزاء والأحزاب.

٣- تحقيق البيان في عد آي القرآن:

تأليف محمد بن أحمد الشهير بالمتولي، شيخ الإقراء في مصر في زمانه،

---

(١) ينظر عن ترجمته: معجم المؤلفين ٧/ ٢٠١.

(٢) غيث النفع (بحاشية سراج القارىء) ص١٦.

(٣) ترجمته في غاية النهاية لابن الجزري ٢/ ٢٠-٢٣.

(٤) مطبوعة ضمن «إتحاف البررة بالمتون العشرة».

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وتوفي سنة (١٣١٣هـ= ١٨٩٥م)[١].

وكتاب «تحقيق البيان في بيان مذاهب العلماء في عَدِّ آي القرآن»، منه نسخة مخطوطة في مكتبة المتحف ببغداد رقمها (١٢٨٨٦) ناقصة من آخرها، تنتهي بسورة الفجر. وأشار الدكتور علي شوَّاخ إلى أنه مطبوع. ونقل ما جاء في آخره: «فهذا آخر ما جمعته من كتاب لطائف الإشارات، تأليف أبي العباس القسطلاني، رحمه الله تعالى»[٢].

وبدا لي أن «تحقيق البيان» هو في عدِّ الآي، وليس في بيان الأجزاء، قال المؤلف في مقدمة الكتاب: «وها نحن نروم تحقيق البيان لعدد آي القرآن من أوله إلى آخره، آية آية...»[٣]. ويظهر أنه لخصه عن كتاب «لطائف الإشارات» الذي اعتنى مؤلفه بذكر عدد الآي، فقد قال في الجزء الأول منه: «وتأتي فواصل السور بأوائلها، مع كمية حروفها، وكلمها، وآيها، وما يُشكل بما يُعَدُّ وما لا يُعَدُّ، في القسم الثاني من الأصل المسمى بالفرش»[٤].

٤- إرشاد القراء والكاتبين إلى معرفة رسم الكتاب المبين:

تأليف رضوان بن محمد، المشهور بأبي عيد المُخَلَّلاتي، توفي سنة ١٣١١هـ= ١٨٨٣م[٥]. ويبدو أن الكتاب ما يزال مخطوطاً[٦]. وكنت قد اطلعت عليه قديماً، وهو في رسم المصحف.

وهذه المصادر التي استند إليها التحزيب في مصحفي القاهرة والمدينة مؤلفة

---

(١) ينظر: معجم المؤلفين ٨/ ٢٨١، والأعلام ٦/ ٢١.

(٢) علي شواخ: معجم مصنفات القرآن الكريم ١/ ٣٨.

(٣) علي شواخ: معجم مصنفات القرآن الكريم ١/ ٣٨.

(٤) لطائف الإشارات ١/ ٢٧٨.

(٥) ينظر: الأعلام ٣/ ٢٧.

(٦) منه نسخة خطية في المكتبة التيمورية (٦٥ تفسير)، وأُخرى في المكتبة الأزهرية [٢٤١] ٢٢٢٤٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

في العصور المتأخرة، وليس في بعضها مادة عن التحزيب، ولم أتأكد من وجود كلام عن الموضوع إلا في كتاب «غيث النفع». ولعل عدم تيسر اطلاع المشرفين على طباعة المصحفين على المصادر القديمة المؤلفة في الموضوع جعلهم يعتمدون على هذه المصادر.

ويُقَسَّمُ كل جزء من الأجزاء الثلاثين في المصحفين على حزبين، ويقسَّمُ كل حزب على أربعة أرباع، فالجزء الواحد فيه ثمانية أرباع، ومجموع أرباع المصحف مئتين وأربعين ربعاً.

مصحف الحافظ عثمان ومصحف بغداد:

لا توجد في مصحف الحافظ عثمان إشارة إلى الأساس الذي قام عليه تعيين مواضع الأجزاء والأحزاب فيه، سوى أن الحافظ عثمان قال في خاتمة: «راقماً على ما وافق مصحف الشيخ المعروف بعلي القاري المكي...». ولم أطلع على نسخة من مصحف علي القارىء.

أما مصحف بغداد، والمقصود به المصحف الذي طبعته وزارة الأوقاف، فقد جاء في خاتمته: «وأُخِذَ هجاؤُه، وأجزاؤُه، وأحزابهُ، وعناوينُ سوره من مكية ومدنية حَسْبَ مصحف الحافظ عثمان المطبوع في الآستانة».

ويُقَسَّمُ كلُّ جزء من الأجزاء الثلاثين في هذين المصحفين على أربعة أحزاب، ويكون مجموع الأحزاب في المصحف مئة وعشرين حزباً، وهو نصف ما في مصحفي القاهرة والمدينة من أحزاب، ولكل مصحف من هذه المصاحف مستند في المصادر القديمة، على نحو ما سيتبين من خلال الموازنة بين التحزيب في المصادر والمصاحف، في المبحث الآتي، إن شاء الله تعالى.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المبحث الرابع

تحزيب القرآن بين المصادر والمصاحف

من ينظرْ في تحزيب القرآن في المصادر يجدْ فيها اختلافاً محدوداً في تعيين مواضع عدد من الأجزاء والأحزاب، وقد انعكس ذلك على تعيين مواضعها في المصاحف أيضاً. والاختلاف في مواضع الأجزاء أقل من مواضع الأحزاب وأرباعها.

ويمكن تتبع ذلك الاختلاف من خلال عقد موازنة بين المصاحف والمصادر، ويمكن اختصار عدد المصاحف إلى ثلاثة، كل واحد يمثل مذهباً، وهي مصحف ابن البواب، ومصحف المدينة ويندرج معه مصحف القاهرة، ومصحف بغداد ويندرج معه مصحف الحافظ عثمان.

أما المصادر التي وقفت عليها في تعيين الأجزاء والأحزاب فأهمها كتاب «البيان» للداني، و«الإيضاح» للأندرابي، و«فنون الأفنان» لابن الجوزي، و«غيث النفع» للسفاقسي، الذي اعتُمد عليه في تحزيب مصحفي القاهرة والمدينة، وهو شديد العناية ببيان الاختلاف بين العلماء في تعيين المواضع، لكن ذلك لا يمنع من الرجوع إلى المصادر الأخرى، لأن تأريخ تأليفها أقدم منه.

وسوف أجعل التتبع والموازنة في ثلاثة جوانب، الأول: الأجزاء، والثاني: الأحزاب، والثالث: النظر في داخل الأجزاء والأحزاب واستخلاص بعض النتائج حول المساحة التي يشغلها كل جزء أو حزب.

أما الأجزاء فإن تقسيم القرآن على ثلاثين جزءاً هو الغالب على المصاحف،

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

لاسيما في العصور المتأخرة، وهناك أربعة أجزاء اختُلِفَ في تعيين مواضعها في المصاحف التي أشرت إليها، وأصل هذا الاختلاف موجود في المصادر أيضاً. وذلك على النحو الآتي:

الموضع الأول: آخر الجزء الثالث، وأول الرابع:

في مصحف المدينة ﴿عَلِيمٌ ۝٩٢ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ ۝٩٣﴾ [آل عمران]. وفي مصحف بغداد: ﴿نَّصِرِينَ ۝٩١ لَن تَنَالُواْ ۝٩٢﴾ [آل عمران]، وكذا مصحف ابن البواب. وفي المصادر كلها آخر الثالث ﴿نَّصِرِينَ ۝٩١﴾، وأول الرابع ﴿لَن تَنَالُواْ ۝٩٢﴾، إلا ما ذكر ابن الجوزي من أن ﴿ٱلضَّآلُّونَ ۝٩١﴾ [آل عمران] هي آخر الثالث[1].

الموضع الثاني: آخر الجزء السادس، وأول السابع:

في مصحف المدينة: ﴿فَٰسِقُونَ ۝٨١ لَتَجِدَنَّ ۝٨٢﴾ [المائدة]، وفي مصحف بغداد: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝٨٢ ۞ وَإِذَا سَمِعُواْ ۝٨٣﴾ [المائدة].

والمصادر منقسمة على قسمين في هذا الموضع، ففي «البيان» و«الإيضاح» ﴿فَٰسِقُونَ﴾[2]، وذكر ابن الجوزي والسخاوي ورود الموضعين ﴿فَٰسِقُونَ﴾ و﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[3]. وفي مصحف ابن البواب ﴿فَٰسِقُونَ﴾.

الموضع الثالث: آخر الجزء العاشر وأول الحادي عشر:

في مصحف المدينة: ﴿مَا يُنفِقُونَ ۝٩٢ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ ۝٩٣﴾ [التوبة]، وفي مصحف بغداد: ﴿لَا يَعْلَمُونَ ۝٩٣ ۞ يَعْتَذِرُونَ ۝٩٤﴾ [التوبة].

وأكثر المصادر على ﴿يُنفِقُونَ﴾، لكن الأندرابي أشار إلى ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾

---

(١) البيان ٣١٧، والإيضاح ص٢٦٥، وفنون الأفنان ص١٢١، وجمال القراء ١/١٤٢، وغيث النفع للسفاقسي ص٨٨.

(٢) البيان ص٣١٧، والإيضاح ص٢٦٥.

(٣) فنون الأفنان ص١٢١، وجمال القراء ١/١٤٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

موافقاً مصحف بغداد[1].

الموضع الرابع: آخر الجزء الخامس والعشرين، وأول السادس والعشرين:

مصحف المدينة: آخر الجاثية ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣٧﴾، وأول سورة الأحقاف ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ۝٢﴾.

مصحف بغداد: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ۝٣٢ ۞وَبَدَا لَهُمْ﴾ [الجاثية]، وهو كذلك في مصحف ابن البواب.

واختَلَفتِ المصادر في تعيين هذا الموضع، فنص الداني في «البيان» على آخر الجاثية[2]. ونقل السخاوي ما ذكره الداني، ثم قال: «وقال غير أبي عمرو [الداني]: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ۝٣٢﴾»[3]. وقال ابن الجوزي: «والخامس والعشرون: في الجاثية رأس تسع وعشرين منها: ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٢٩﴾، وقيل: رأس اثنتين وثلاثين منها ﴿بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾»[4].

والاختلاف في تعيين مواضع الأجزاء محدود، كما يبدو، ولا يتجاوز مقدارُ الاختلافِ الآية الواحدة، إلا الموضع الرابع فقد بلغ مقدار الاختلاف خمس آيات، أما الأحزاب وأرباعها فاختلافها أكثر، لكثرة ورودها، ولأن هناك من يقول: إن تقسيم الأجزاء مبني على أساس عدد الحروف، ومِن ثَمَّ قلَّ فيها الاختلاف، وإنَّ تقسيم الأحزاب مبني على أساس عدد الكلمات فكثر فيها الاختلاف[5]. واستيعاب جميع ذلك الاختلاف لا يحتمله هذا المختصر، ولكنني سوف أعقد موازنة بين مصحف المدينة ومصحف بغداد في هذا الجانب، مع إيراد بعض الأمثلة، كما أُقيمُ موازنةً بين مصحف المدينة وما جاء في كتاب

---

(١) الإيضاح ص٢٦٥.

(٢) البيان ٣١٩.

(٣) جمال القراء ١/ ١٤٨.

(٤) فنون الأفنان ص١٢٤.

(٥) ينظر: السخاوي: جمال القراء ١/ ١٦٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

«غيث النفع» الذي يُعَدُّ أهم مصدر في تحزيب هذا المصحف.

يُقَسَّمُ كل جزء في مصحف المدينة على حزبين، ويُقَسَّمُ كل حزب على أربعة أرباع، فيكون مجموع أقسام الجزء الواحد ثمانية، ويكون مجموع أقسام المصحف مئتين وأربعين قسماً.

ويُقَسَّمُ الجزء الواحد في مصحف بغداد على أربعة أحزاب، ويكون مجموع أحزاب هذا المصحف مئة وعشرين حزباً، وهو نصف ما في مصحف المدينة من أقسام.

وتتطابق أحزاب مصحف بغداد مع أنصاف أحزاب مصحف المدينة، ومن ثم يمكن عقد موازنة بينهما، ووجدت اختلافاً في واحد وثلاثين موضعاً، يتفاوت مقدار الاختلاف في الموضع الواحد بين آية واحدة وعدة آيات، وسوف أنقل هنا أمثلة لمواضعٍ زاد مقدار الاختلاف فيها عن الآية الواحدة.

المثال الأول: آخر الحزب الخامس عشر وأول السادس عشر في مصحف المدينة يقع آخرَ الأنعام وأولَ الأعراف، ويقابله في مصحف بغداد ﴿لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف].

المثال الثاني: آخر الحزب الحادي والعشرين وأول الثاني والعشرين في مصحف المدينة يقع في: ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس] ويقابله في مصحف بغداد ﴿مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم ﴿٣١﴾﴾ [يونس].

المثال الثالث: نصف الحزب الرابع والعشرين في مصحف المدينة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ۞ لَّقَدْ كَانَ ﴿٧﴾﴾ [يوسف]، ويقابله في مصحف بغداد: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا ﴿١٢﴾﴾ [يوسف].

أما كتاب «غيث النفع» للسفاقسي فإنه ذكرَ الأحزاب الستين، وذكر أرباع كل حزب، فبلغ ما ذكره مئتين وأربعين قسماً، وهو بذلك يتفق مع مصحف المدينة من حيث العدد، وذكرنا من قبل أن هذا الكتاب من مصادر التحزيب في هذا

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المصحف، ولكن مع ذلك وقع اختلاف بين ما جاء في المصحف من تعيين لمواضع الأحزاب وبين ما ذُكر في الكتاب، تتجاوز الأربعين موضعاً، أُورد هنا أمثلة منها:

المثال الأول: آخر نصف الحزب العاشر في مصحف المدينة: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾﴾ [النساء]، وقال السفاقسي: «﴿رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾﴾ [النساء]... منتهى الربع عند بعض وعليه عملنا، وقيل: ﴿خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء] قبله، وقيل: ﴿حَمِيدًا ﴿١٣١﴾﴾ [النساء]، وقيل: ﴿بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾﴾ [النساء]»[1].

المثال الثاني: آخر نصف الحزب الثاني عشر في مصحف المدينة: ﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة]، وقال السفاقسي: «﴿تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [المائدة]... منتهى النصف على المشهور، وقيل: ﴿لَفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المائدة] بعده، وقيل: ﴿يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة]»[2].

المثال الثالث: آخر الربع الأول من الحزب الخامس والثلاثين في مصحف المدينة: ﴿أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المؤمنون]، وقال السفاقسي: «﴿بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [المؤمنون]... منتهى الربع عند جميع أهل المغرب وجمهور المشارقة، وعند بعضهم: ﴿مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾﴾ قبله، وعليه عملنا»[3].

المثال الرابع: آخر نصف الحزب الثاني والأربعين في مصحف المدينة: ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ آخر سورة السجدة. وقال السفاقسي: ﴿وَكِيلًا ﴿٣﴾﴾ [الأحزاب]... منتهى الربع على المختار عندنا، وللناس فيه اضطراب، فبعضهم جعله آخر السورة، وادعى نفي الخلاف، وبعضهم جعله ﴿رَّحِيمًا ﴿٥﴾﴾ [الأحزاب]، واقتصر عليه، فظاهره أيضاً نفي الخلاف، وبعضهم جعله

---

(١) غيث النفع ص١٠٢.

(٢) المصدر نفسه ص١١١.

(٣) المصدر نفسه ص٢٢٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

﴿أَلِيمًا ۝﴾ [الأحزاب]، والأول أقربها، وما ذكرناه أقرب، والله أعلم»[1].

والمتأمل في حجم كل جزء من الأجزاء الثلاثين يجد أنها متساوية، أو أقرب ما تكون إلى التساوي، وإذا أخذنا مصحف المدينة مقياساً لذلك وجدنا أن كل جزء يشغل عشرين صحيفة، ما عدا الجزء الأخير فإنه يزيد ببضع صفحات لكثرة ما فيه من فواتح السور.

وإذا تتبعنا أحجام الأحزاب أو أرباعها وجدنا التفاوت ظاهراً فيها، وإذا أخذنا المساحة التي يشغلها كل ربع وجدنا بينها من التباين ما يستوقف النظر، إذ تجدُ أحياناً من الأرباع ما هو ضعفُ ربعٍ آخر. ويمكن أن نذكر مثالاً على ذلك من خلال الموازنة بين حجم الربع الثالث من الحزب الثالث عشر في مصحف المدينة الذي يشغل من الآية التاسعة بعد المئة من سورة المائدة إلى الآية الثانية عشرة من سورة الأنعام، وحجم الربع الأول من الحزب السادس والخمسين، الذي يشغل سورة الجمعة وثلاث آيات من سورة المنافقون، وعلى النحو الآتي:

الربع الأول: ٥١ سطراً.

الربع الآخر: ٢٣ سطراً وثلث السطر.

ويتضح من هذا أن الربع الأول ضعف الربع الآخر، وقد حاولت عدَّ حروف كل من الرُّبْعَيْنِ، على أساس الحروف المرسومة، وليس حسب النطق، فالحرف المشدد حرف واحد، والحرف الزائد في الرسم يُعَدُّ، ولا يُعَدُّ ما كان ساقطاً من الرسم ويرسم بحرف صغير، وكذلك لا يعد من الهمزات إلا ما كان مرسوماً على أحد الحروف الثلاثة: الألف والواو والياء، فكان حاصل الجمع ما يأتي:

الربع الأول = ١٨٦٩ حرفاً.

الربع الآخر: ٩١٩ حرفاً.

---

(١) المصدر نفسه ٢٦٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

ونتيجة الجمع هذه جاءت مؤكدة ما ظهر من حساب أسطر كل من الربعين، ولا شك في أن التقارب بين أحجام أرباع الأحزاب أمر مطلوب، لاحِظْ ما قاله السفاقسي وهو يتحدث عن موضع منتهى نصف الحزب الخمسين وهو ﴿مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الدخان]: «منتهى النصف على ما اخترناه، وقيل: ﴿تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾﴾ [الدخان]، وقيل: ﴿مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الدخان]، وقيل: ﴿ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الدخان]، وما ذكرناه أقرب لأنه تام... وأيضاً على ما ذكروه في الرُّبْعِ طولٌ كثيرٌ، بخلاف ما ذكرناه»[1].

والمتتبع يجد أمثلة أُخرى من هذا النوع، ولكن هل لهذا التباين من علاج؟ إن الإجابة على هذا التساؤل يجب أن تنبني على دراسة واقعية لأسس التحزيب وتأريخه، وسوف أوضح هذا ما ورد من اختلاف في الموضعين المذكورين، من خلال ما ذكره السفاقسي.

قال عن الأول: ﴿مُّبِينٌ ﴿١١٢﴾﴾ [المائدة]... منتهى نصف الحزب، على قول الأكثر، وعند بعضٍ ﴿ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [المائدة] قبله»[2]. والفرق بين القولين تسعة أسطر.

وقال عند نهاية هذا الربع: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ [الأنعام]... منتهى الربع عند بعضٍ، وعليه ٱقْتُصِرَ في (اللطائف) وغيرها، وعند بعض ﴿مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾ [الأنعام] قبله، وعند بعضٍ: ﴿يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأنعام]، ونَسَبَهُ في (المُسْعِفِ)[3] للأكثرين، وقيل: ﴿يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنعام]»[4].

---

(١) غيث النفع ص٣٠٨-٣٠٩.

(٢) المصدر نفسه ١١٤.

(٣) اللطائف والمسعف كتابان ينقل عنهما السفاقسي في تحديد الأجزاء والأحزاب، ونسب «المسعف» للقادري «غيث النفع ص١٢٩»، ولم أتمكن من الوقوف على ترجمته، أما «اللطائف» فإن لأبي العلاء الحسن بن أحمد العطار (ت٥٦٩هـ)، كتاب «اللطائف في رسم المصاحف» (ينظر: ابن الجزري: النشر ٢/١٢٨).

(٤) غيث النفع ص١١٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وقال السفاقسي عن الثاني: ﴿ظَٰهِرِينَ ۝١٣﴾ [الصف] منتهى الحزب الخامس والخمسين بالإجماع»[1]. وقال في الربع الآتي بعده: «﴿لَا يَعْلَمُونَ ۝١﴾ [المنافقون]... منتهى الربع للجمهور، وقيل: ﴿لَا يَفْقَهُونَ ۝٢﴾ [المنافقون] قبله، وقيل: آخر السورة»[2].

ويظهر أن ما أُثبت في مصحف المدينة في هذين الموضعين جاء على غير مذهب الجمهور، ثم ٱعْتُمِدَ في الموضع الأول أطول ما جاء في آراء العلماء، واعتمد في الموضع الثاني أقصر ما جاء في آراء العلماء، ومن ثم حصل هذا التباين في حجم هذين الربعين، ولو أُخذ بالأقصر في الأول والأطول في الثاني لكانا متقاربين، والله أعلم.

(١) المصدر نفسه ص٣٤١.

(٢) المصدر نفسه ص٣٤٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

خاتمة

تحزيب القرآن موضوع له مساس بشكل المصحف، وله أصل في السُّنَّة، ومذاهب الصحابة في القراءة، لكن الصحابة كانوا يُحَزِّبُون على أساس السور، وأَخَذَ العلماء بَعْدَهم بتحزيب القرآن على أساس عَدَدِ الحروف في كل حزب.

وتعددت أشكال التحزيب فمن تقسيم القرآن على نصفين، إلى تقسيمه على ثلاث مئة وستين قسماً، على عدد أيام السنة، لكن أشهر تحزيب هو تجزئته ثلاثين جزءاً، وقُسِّمَ كلُّ جزءٍ على أربعة أقسام أو ثمانية.

وكان العلماء قد أثبتوا في مؤلفاتهم ما تمخض عن جهود علماء القرآن في عَدِّ حروفه، وأشهر المؤلفات في هذا الجانب اليوم: كتاب «المصاحف» لابن أبي داود، وكتاب «البيان في عَدِّ آي القرآن» للداني، وكتاب «الإيضاح في القراءات» للأندرابي، وكتاب «فنون الأفنان» لابن الجوزي، وكتاب «جمال القراء» لعلم الدين السخاوي.

وحصل اختلاف بين العلماء في مواضع الأجزاء والأحزاب، وانعكس ذلك على المصاحف، على نحو ما بَيَّنَّا ذلك في صفحات هذا المبحث. وكان خطاطو المصاحف في العصر الحديث قد اعتمدوا على عدد من المصادر المتأخرة في التأليف، ومن ثم فاتهم الاطلاع على المصادر القديمة وما فيها من معلومات حول الموضوع، كما أنهم لم ينتفعوا من المصادر المتأخرة على نحو جيد، مثل كتاب «غيث النفع» للسفاقسي الذي جمع مادة يمكن أن تكون أساساً لتحزيب المصحف على نحو أقرب ما يكون إلى الدقة.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وبعد هذه الجولة السريعة في المصادر، والنظر في عدد من المصاحف، يمكنني أن أستنتج أن تحزيب القرآن فيه مجال للمراجعة والتدقيق، وإذا كانت مواضع الأجزاء محل اتفاق في معظمها فإن مواضع الأحزاب وأرباعها كانت مجالاً لتعدد الآراء في تحديد مواضعها.

إن الخروج من ذلك الخلاف في تحديد الأجزاء والأحزاب أمر ممكن، وهو لا شك مطلوب، ويمكن أن يتحقق من خلال ثلاثة أمور:

الأول: جمع مصادر الموضوع، القديمة والمتأخرة، ودراستها، وتحقيق مادتها، والوقوف على الأساس الذي قام عليه التحزيب فيها.

الثاني: تتبع المصاحف القديمة المخطوطة، ودراسة موضوع التحزيب فيها، وموازنة ذلك بما جاء في مصادر الموضوع.

الثالث: القيام بعملية عَدٍّ جديدةٍ لحروف القرآن الكريم، وبناء التحزيب في المصاحف على أساس نتائج هذا العدِّ، بعد تحديد الأسس التي يقوم عليها، والأسس التي سيقوم عليها التحزيب.

وأدعو الله تعالى أني تمكنت من لفت نظر المهتمين بأمر المصحف إلى قضية كثيراً ما كانت موضع تساؤل من كثير من قراء القرآن، ألا وهي ما يجدونه من عدم تساوي أحجام الأحزاب.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

(٣)

موازنة بين رسم المصحف والنقوش العربية القديمة

بحث لغوي[١]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

ينقسم البحث في الكتابة العربية إلى قسمين، هما: بحث فني جمالي، يُعنى بتحسين أشكال الحروف وإظهارها بشكل جميل متناسق، يُعجب العين ويُرضي الذوق، ويدخل في ذلك أنواع الخطوط العربية من الكوفي والنسخي، وما يتفرع عنهما. وبحث لغوي، يُعنى بدراسة العلاقة بين الرمز المكتوب والصوت المنطوق، ويُعنى ببيان مقدار مطابقة المنطوق للمكتوب، وتحديد مظاهر القصور في الكتابة عن تمثيل المنطوق تمثيلاً كاملاً ويغلب أن يسمى القسم الأول بعلم الخط، والقسم الثاني بعلم الإملاء، وقديماً سُمِّي أيضاً بالهجاء.

وهذا البحث يدخل في الدراسة اللغوية التاريخية للكتابة العربية، من خلال تتبع النصوص القديمة والوقوف على ظواهرها الكتابية، متمثلة برسم المصحف الذي تميز بنظام إملائي خاص، مع موازنة ذلك النظام بالنقوش العربية المكتوبة على الحجر التي ترجع إلى العصر الذي يرجع إليه رسم المصحف، للوقوف على مقدار العلاقة بين النظام الإملائي المستعمل في رسم المصحف، والنظام الإملائي

---

(١) منشور في مجلة المورد، المجلد الخامس عشر، العدد الرابع، بغداد ١٤٠٧هـ= ١٩٨٦م.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المستخدم في النقوش العربية.

إن هذا البحث يهدف إلى توضيح موقع (رسم المصحف) في تاريخ تطور الكتابة العربية، وهو يعتمد في ذلك على حقيقة تتمثل في أن رسم المصحف حمل خصائص الإملاء العربي في الوقت الذي كُتِبَ فيه المصحف، وأن النصوص العربية التي كُتبت في تلك الفترة تحمل الخصائص الإملائية نفسها التي حملها رسم المصحف، كما يتضح من النقوش العربية التي كُتب بعضها قبل العصر الإسلامي وكُتب بعضها الآخر في السنوات القريبة من عصر كتابة المصحف.

إن الربط بين رسم المصحف والنصوص العربية الأخرى المكتوبة في وقت كتابة المصاحف سوف يساعد في فهم الظواهر الإملائية التي تميز بها رسم المصحف على نحو أكثر صلة بواقع الكتابة، كما أن هذا الربط سوف يساعد في تفهم الأصول التاريخية لكثير من خصائص الإملاء العربي الذي نكتب به اليوم وكَتَبَ به مَن قبلنا منذ قرون طويلة.

إن علماء العربية المتقدمين كانوا إذا ذكروا رسم المصحف ينصون على أنه يُلتزم به في كتابة المصاحف ولكن لا يُقاس عليه، أي لا يستخدم في ما سواها. فقال ابن درستويه: (عبد الله بن جعفر ت٣٤٧هـ) في كتاب الكُتَّاب: «ووجدنا كتاب الله - عز وجل - لا يُقاسُ هجاؤه ولا يُخالف خطُّه، ولكنه يُتَلَقَّى بالقبول على ما أودع المصحف.»[١]

وذكر السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت٩١١هـ) في كتابه «همع الهوامع» أن ابن درستويه قال: «خطان لا يقاس عليهما خط المصحف والعروض»[٢]

وانتهى الأمر بعلماء العربية إلى القول بوجود ثلاثة نظم كتابية في العربية، على

(١) كتاب الكتاب ص١٦

(٢) همع الهوامع ٢/ ٢٤٢

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

نحو ما قال أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف ت٧٥٤هـ): «فقد صار الاصطلاح في الكتابة على ثلاثة أنحاء: اصطلاح العروض، واصطلاح كتابة المصحف، واصطلاح الكُتَّاب في غير هذين»[١]

إن هذا التقسيم ينطبق على واقع الكتابة في الظاهر فقط، لأن رسم المصحف يمثل مرحلة في تاريخ الكتابة العربية، لا نظاماً مستقلاً، ويشارك رسم المصحف في ذلك كلُّ ما كتب بالعربية في الفترة التي يرجع إليها، وهذا ليس تقريراً مسبقاً لنتائج البحث بقدر ما هو تحديد لوجهته وبيان لمنهجه، وسوف أسلكُ في البحث خطة تشتمل على ثلاثة مباحث، هي:

المبحث الأول: رسم المصحف: أصوله التاريخية وخصائصه الإملائية.

المبحث الثاني: النقوش العربية القديمة: تاريخها وقراءتها.

المبحث الثالث: الظواهر الإملائية المشتركة بين رسم المصحف والنقوش العربية القديمة.

---

(١) انظر: المصدر نفسه ٢/ ٢٤٢

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المبحث الأول

رسم المصحف: أصوله التاريخية ونظمه الإملائية

تعني عبارة (رسم المصحف) طريقة كتابة كلمات القرآن الكريم في المصحف، كما كتبها أصحاب النبي محمد ﷺ والصورة المعروفة للمصحف وطريقة رسم الكلمات ترجع إلى عصر الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان - رضي الله عنه - وإن كانت كتابة القرآن قد تمت منذ زمن النبي ﷺ.

وقبل أن أوضح خصائص رسم المصحف من الناحية الإملائية سوف أتتبع تاريخ كتابة القرآن الكريم حتى يقف القارئ على الأصول التي يمتد إليها رسم الكلمات في المصحف، ويعرف الحقبة الزمنية التي يرجع إليها

المطلب الأول: الأصول التاريخية لرسم المصحف:

كان رسول الله ﷺ هو الذي سَنَّ كتابة القرآن، وكانت وسائل الكتابة في بلاد الحجاز آنذاك بدائية إلى حد كبير، ولكن ذلك لم يصرف النبي ﷺ عن كتابة القرآن، إدراكاً منه لأهمية الكتابة العظيمة في حفظ نص القرآن. لكن رسول الله ﷺ لم يكتب القرآن بيده، بل كان يستعين بعدد من الصحابة الذين أتقنوا الكتابة، كانوا يُسَمَّوْنَ بكتَّاب الوحي»[1]

وكان زيد بن ثابت الأنصاري ألزم الصحابة لكتابة الوحي في حياة رسول الله

---

(١) انظر عن كتاب الوحي: ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١/٦٨، وابن حجر: فتح الباري ٩/٢٢، ونصر الهوريني: المطالع النصرية ص١٢-١٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

ﷺ[1] فكان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي يقول: «ادع لي زيداً، ولْيَجِئْ باللوحِ والدواة»[2] وقال زيد بن ثابت: «كنتُ جارَ رسول الله ﷺ فكان إذا نزل الوَحْيُ أرسل إليَّ فكتبتُ الوَحْيَ»[3]

وجاء في كتب الحديث أن رسول الله ﷺ كان كلما نزل عليه من القرآن شيء دعا بعض مَن يكتب له، فيأمر بكتابته، ويقول: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يُعَيِّنها لهم[4] وبذلك تمت كتابة القرآن في وقت نزوله، لكنه كان مفرَّقاً في القطع التي كُتب عليها ولم يجمع في كتاب واحد. وقد ذكر الطبري في تفسيره أن المحدِّث التابعي الكبير محمد بن شهاب الزهري (ت١٢٥هـ) قال: «قُبِضَ رسول الله ﷺ ولم يكن القرآن جُمِعَ في شيء، وإنما كان في الكرانيف والعُسُب»[5]

ونقل عدد من المؤرخين والمحدثين رواية توضح مقدار عناية رسول الله ﷺ بكتابة القرآن وحرصه على ضبط ما يكتبه كَتَبةُ الوحي، فقد جاء في تلك الرواية عن زيد بن ثابت أنه قال: «كنتُ أكتبُ الوحي عند رسول الله ﷺ وهو يملي عليَّ، فإذا فرغتُ قال: اقرأه فأقرأهُ فإن كان فيه سقطٌ أقامه، ثم أخرجُ به إلى الناس»[6]

---

(١) ابن عبد البر: الاستيعاب ١/ ٦٨

(٢) البخاري: الجامع الصحيح ٦/ ٢٢٧

(٣) ابن أبي داود: كتاب المصاحف ص٣

(٤) ينظر: أحمد بن حنبل: المسند ١/ ٣٩٩ و٤٩٨ وابن أبي داود: المصاحف ص٣١، وأبو شامة: المرشد الوجيز ص٣٣، والزركشي: البرهان ١/ ٢٣٤، والسيوطي: الإتقان ١/ ١٧٢

(٥) جامع البيان ١/ ٢٨، وانظر: السيوطي: الإتقان ١/ ١٦٤ والكرانيف: أصول السعف الغلاظ العراض، الواحدة كرنافة. والعسب جمع عسيب، وهو من العسف فوق الكرب لم ينبت عليه الخوص. (انظر: ابن منظور: لسان العرب ١١/ ٢٠٧ كرنف، و٢/ ٨٩).

(٦) البسوي: المعرفة والتاريخ ١/ ٣٧٧، والصولي: أدب الكتاب ص١٦٥، والسمعاني: أدب الإملاء والاستملاء ص٧٧

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وقد تم جمع القرآن في صحف منظمة يضمها لوحان أو دفتان، على شكل كتاب، بعد مدة يسيرة من وفاة النبي ﷺ لا تتجاوز السنة، فبعد أنْ وليَ الخلافة أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - حدثت حروب الردة، التي انتهت بدخول أهل الجزيرة العربية كلها في الإسلام، لكن ذلك أدى إلى استشهاد عدد من أصحاب رسول الله ﷺ وكانت معركة اليمامة أكثر تلك الحروب ضراوة، وكان ثمن النصر فيها مئات الشهداء، كان من بينهم نحو خمسين من حملة القرآن»[1]

إن المسلمين لما أصيبوا باليمامة فزع أبو بكر - رضي الله عنه - إلى القرآن، وخاف أن تهلك منه طائفة، وإنما كان في العسب والرقاع، فأقبل الناس بما كان معهم وعندهم، حتى جُمعَ على عهد أبي بكر - رضي الله عنه -[2]

وكان زيد بن ثابت، كاتب الوحي، هو الذي تحمل العبء الأكبر لجمع القرآن، وقد نقل علماء الحديث وأهل التاريخ رواية مفصلة عن زيد بن ثابت، تحكي قصة جمع القرآن، لعل في إيرادها غناء عن تكلف القول في موضوعها، وهي[3]:

«قال زيد بن ثابت: أرسل إليَّ أبو بكر الصديق مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر - رضي الله عنه - إن عمر أتاني، فقال: إن القتل قد استحرَّ يوم اليمامة بقرَّاء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بقرَّاء

---

(١) ينظر: خليفة بن خياط: تاريخ خليفة ١/ ٩٠

(٢) أبو شامة: المرشد الوجيز ص٦٤

(٣) انظر: البخاري: الجامع الصحيح ٦/ ٨٩ و٦/ ٢٢٥ و٩/ ٩٢، وابن أبي داود: كتاب المصاحف ص٦-٨، وابن النديم: الفهرست ص٢٧، والداني: المقنع ص٣، وأبو شامة: المرشد الوجيز ص٤٨، والزركشي: البرهان ١/ ٢٣٣، والسيوطي: الإتقان ١/ ١٦٥

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

القرآن في المواطن كلها، فيذهب كثير من القرآن، إلا أن تجمعوه، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن. فقال أبو بكر: قلت لعمر: كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هو والله، خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح صدري لذلك، ورأيت الذي رأى عمر

قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب، عاقل، لا نَتَّهمكَ، وقد كنتَ تكتبُ الوحي لرسول الله ﷺ فتتبَّع القرآن فاجمعه. قال زيد: فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان بأثقل عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال أبو بكر: هو والله خير، فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر، رضي الله عنهما

قال زيد: فقمت فتتبعت القرآن، أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال[1] حتى وجدت آخر سورة التوبة ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴿١٢٨﴾﴾ حتى خاتمة براءة مع خزيمة بن ثابت الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره[2]، فألحقتها في سورتها.

وكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر».

وكان ترتيب الآيات في السور، وتتابع السور في المصحف قد جرى على نحو ما عرف الصحابة ذلك من رسول الله ﷺ فقد قال مالك بن أنس (ت١٧٩هـ) رحمه الله: «إنما أُلِّفَ القرآن على ما كانوا يسمعون من قراءة رسول الله ﷺ»[3] والتأليف هنا معناه الترتيب، وفي اللغة: ألفت الشيء تأليفاً، إذا وصلت بعضه

---

(١) ذكر ابن حجر (فتح الباري ٩/ ١٥): أن الواو في قوله: (وصدور الرجال) بمعنى (مع)، أي أكتبه من المكتوب الموافق للمحفوظ في الصدور.

(٢) قوله: (لم أجدها مع أحد غيره) أي مكتوبة. وذلك لأن كثيراً من الصحابة كانوا يحفظون القرآن، وكان زيد بن ثابت أحدهم.

(٣) الداني: المقنع ص٨، وأبو شامة: المرشد الوجيز ص٤٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

ببعض، وجمعه بعضه إلى بعض[1] وهكذا حُفِظَ نَصُّ القرآن من النقصان والنسيان، وكُتِبَ على نحو ما كُتِبَ في زمن النبي ﷺ، لكنه كُتِبَ مجموعاً بعد أن كان مفرقاً، ولم يأمر أبو بكر إلا بكتابة ما كان مكتوباً من قبل[2]

وكان جمع القرآن من جلائل الأعمال التي ازدان بها عهد الصدِّيق، إن لم يكن أجلَّها[3] وقد قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في تقدير ذلك العمل: «رحم الله أبا بكر، كان أول من جمع القرآن بين اللوحين»، وجاء في رواية أخرى أنه قال: «أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر، فإنه أول من جمع القرآن بين اللوحين»[4]

وبعد ما يقرب من خمسة عشر عاماً من تاريخ جمع القرآن في الصحف، قام عدد من الصحابة بنقل عدة نسخ من الصحف، أرسلت إلى الأمصار الإسلامية خارج المدينة المنورة. لينقل منها الناس مصاحفهم. ففي خلافة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - وبعد اتساع بلاد المسلمين وازدياد عددهم كثيراً، ظهرت بوادر الاختلاف في قراءة القرآن الكريم على نحو أقلق علماء الصحابة وأولي الأمر منهم، فما كان من الخليفة إلا أن يأمر بنسخ المصاحف من الصحف ونشرها في البلدان، لتكون المصاحف التي بأيدي المسلمين واحدة في الترتيب والرسم.

والرواية القديمة لنسخ المصاحف، كما نقلها البخاري وغيره من المحدِّثين والمؤرخين، هي أن أنس بن مالك، صاحب رسول الله ﷺ وخادمه، قال: «إن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية

---

(١) ابن منظور: لسان العرب ١٠/ ٢٥٢ مادة ألف.

(٢) انظر: ابن حجر: فتح الباري ٩/ ١٣

(٣) محمد حسين هيكل: الصديق أبو بكر ص١٦

(٤) ابن أبي داود: كتاب المصاحف ص٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وأذربيجان مع أهل العراق. فأفزع حذيفةَ اختلافُهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى.

فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف، ننسخها في المصاحف، ثم نَردّها إليكِ، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان. فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا.

حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، فأرسل إلى كل أُفقٍ بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يُحرق»[1]

وبذلك العمل الكبير والمهم في تاريخ القرآن أخذ المصحف شكله الموحد في الرسم والترتيب، وصار كل مصحف أرسله الخليفة من المدينة إماماً يقتدي به أهلُ البلدة التي أُرسل إليها ومن حولها، وصارت تلك المصاحف تُعرف بالمصاحف العثمانية، نسبة إلى سيدنا عثمان بن عفان - رضي الله عنه - لأنه هو الذي أمر بنسخها وإرسالها إلى البلدان خارج الجزيرة العربية. وصار رسم الكلمات فيها يعرف بالرسم العثماني، وتلك المصاحف هي أصل لكل المصاحف الموجودة اليوم.

وقد حافظ المسلمون على رسم الكلمات في المصحف كما وقعت في

---

(١) البخاري: الجامع الصحيح ٦/٢٢٦؛ وابن أبي داود: كتاب المصاحف ص١٨، وابن النديم: الفهرست ص٢٧، والداني: المقنع ص٥، وأبو شامة: المرشد الوجيز ص٤٩، وابن الأثير: الكامل ٢/٥٥، والزركشي: البرهان: ١/٢٣٦، وابن خلدون: العبر ٢/١٠١٩، والسيوطي: الإتقان ١/١٦٩

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المصاحف العثمانية الأولى، حتى وإن كان في بعضها مخالفة لما اصطلح عليه علماء العربية بعد ذلك من قواعد إملائية، وقد سئل الإمام مالك بن أنس (ت١٧٩هـ): «أرأيت مَن استكتبَ مصحفاً اليوم أترى أن يُكتبَ على ما أحدث الناسُ من الهجاء اليوم؟ فقال: لا أرى ذلك، ولكن يكتب على الكَتْبَةِ الأولى». قال أبو عمرو الداني: ولا مخالفَ له في ذلك من علماء الأمة»[١]

وإلى جانب حرص المسلمين على المحافظة على الرسم العثماني في كتابة المصاحف فإن عدداً كبيراً من العلماء ألفوا كتباً خاصة لوصف طريقة كتابة الكلمات في المصاحف العثمانية، منذ بدء عصر التدوين في العلوم الإسلامية[٢] لعل من أشهرها كتاب «المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار» لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي (ت٤٤٤هـ)[٣]

ويستطيع الدارس اليوم أن يقف على صورة رسم الكلمات في المصاحف العثمانية من خلال مصدرين اثنين: الأول: المصاحف القديمة التي تحتفظ بعض المكتبات العالمية بنسخ منها، والثاني: الكتب المؤلفة في رسم المصحف، وهي تقدِّم وصفاً دقيقاً ومفصلاً لطريقة رسم الكلمات في المصاحف الأولى، يعتمد على المعاينة المباشرة والنظر في تلك المصاحف.

ويتضح من العرض السابق أن رسم الكلمات في المصاحف العثمانية يرجع في الأصل إلى ما كان مرسوماً في الصحف التي جُمعَ فيها القرآن في خلافة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - وهذه ترجع أيضاً إلى ما كُتِبَ في الرقاع بين يدي النبي ﷺ ورسم المصحف بذلك يمثل الكتابة العربية في عصر ظهور الإسلام،

---

(١) الداني: المقنع ص٩-١٠

(٢) ينظر أسماء أولئك العلماء وأسماء كتبهم في كتابنا: رسم المصحف ص١٣٩-١٥٧، طبع دار عمار، الأردن.

(٣) طبع ثلاث مرات، الطبعة الأولى في استانبول سنة ١٩٣٢ بتحقيق أوتو برتزل، والثانية في دمشق سنة ١٩٤٠ بتحقيق محمد أحمد دهمان، والثالثة في القاهرة سنة ١٩٧٨ كتب عليها أنها بتحقيق محمد الصادق قمحاوي.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وهو يحمل خصائص تلك الكتابة، على ما سيتضح من الموازنة بين رسم المصحف والكتابات العربية القديمة، إن شاء الله. وقبل أن نعقد تلك الموازنة سوف أوضح خصائص رسم المصحف الإملائية.

المطلب الثاني: خصائص رسم المصحف الإملائية:

اتخذ المؤلفون في رسم المصحف في وصف هجاء الكلمات في الرسم العثماني، اتجاهين: الأول: يقوم على جمع الأمثلة المتشابهة في الموضوع الواحد في فصل معين، وبذلك يتألف الكتاب من عدد من الفصول التي تضم أوجه الرسم كافة، ومن أمثلة هذا الاتجاه من كتب الرسم كتاب «هجاء مصاحف الأمصار» لأبي العباس أحمد بن عمار المهدوي (ت بعد ٤٣٠هـ)[١]، وكتاب «البديع في معرفة ما رسم في مصحف عثمان بن عفان» لأبي عبد الله محمد بن يوسف بن معاذ الجهني (ت في حدود ٤٤٢هـ)[٢]، وكتاب «المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار» لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت٤٤٤هـ)[٣] والاتجاه الثاني: يقوم على تتبع الكلمات التي رُسِمَت بطريقة لا تطابق النطق. ويتم ذكرها بحسب ورودها في السور، فيبوّب الكتاب الذي يسير في هذا الاتجاه على السور مرتبة على ترتيبها في المصحف، وأشهر كتب هذا الاتجاه كتاب «التبيين لهجاء التنزيل» لأبي داود سليمان بن نجاح (ت٤٩٦هـ)[٤]

وقد حصر بعض العلماء معرفة رسم المصحف في خمسة أنواع أو فصول تجمع كل ما جاء من كلمات مكتوبة على نحو يخالف اللفظ، وهي كما قال ابن وثيق الأندلسي (إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن ت٦٥٤هـ): «اعلم، وفقك

---

(١) قام بتحقيقه محيي الدين عبد الرحمن رمضان، وقد نشر في مجلة معهد المخطوطات العربية في القاهرة، المجلد ١٩، الجزء الأول ١٩٧٣م.

(٢) مخطوط، وقد قمت بتحقيقه، وطبع بدار عمار سنة ٢٠٠٠م.

(٣) انظر هامش (٣) ص١٥٤

(٤) حققه الدكتور أحمد شرشال، وطبع في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة سنة ١٤٢١هـ.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

الله، أن رسم المصحف يفتقر إلى معرفة خمسة فصول عليها مداره:

الأول: ما وقع من الحذف.

الثاني: ما وقع فيه من الزيادة.

الثالث: ما وقع فيه من قلبِ حرفٍ إلى حرف.

الرابع: أحكام الهمزات.

الخامس: ما وقع فيه من القطع والوصل[1]

وسوف أنقل من كتب رسم المصحف أمثلة توضِّح هذه الأنواع الخمسة، ثم أُتبعها بدراسة ثلاث صفحات من مصاحف قديمة، متتبعاً ما ورد فيها من أمثلة تطابق ما ورد في كتب رسم المصحف ليكون ذلك دليلاً بين يدي القارئ على صدق ما ذكره العلماء حين وصفوا طريقة رسم الكلمات في المصاحف القديمة.

أولاً: أمثلة ما وقع في رسم المصحف من الحذف:

تنحصر الأمثلة التي وقع فيها حذف شيء من هجائها في ما كان فيه أحد حروف المد الثلاثة: الألف والواو والياء، حيث وقع الحذف في هذه الحروف في مواضع مخصوصة.

فمن الكلمات التي حذفت منها الألف (يا) التي للنداء، حيث تتصل الياء بالاسم بعدها نحو: (يقوم = يا قوم)، و(يرب = يا رب) و(ينوح = يا نوح)، و(يأيها = يا أيها)، وغير هذه الأمثلة من هذا الباب كثير، ومثل (يا) في الحذف (ها) التي للتنبيه مثل (هذا = هاذا) و(هذان = هاذان). وكذلك رسموا التثنية المرفوعة بغير ألف، نحو: (رجلن = رجلان)، ومثل: (يحكمن = يحكمان)، وكذلك الجمع السالم الكثير الدور في المذكر والمؤنث جميعاً، نحو: (العلمين = العالمين)، و(الصبرين = الصابرين)، و(المسلمت = المسلمات)، و(الظلمت

(١) ابن وثيق: الجامع ص٢٩، وينظر: السيوطي: الإتقان ٤/ ١٧٤

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

= الظلمات). ومن ذلك أيضاً حذف ألف نون الجماعة إذا اتصل بها ضمير نحو (علمنه = علمناه)، و(أرسلنك = أرسلناك)، وهناك أمثلة أخرى كثيرة مطردة أو مفردة لم ترسم فيها الألف، أستطيل ذكرها ويمكن الاطلاع عليها في كتب رسم المصحف[1]

وحُذِفَتِ الياء في مثل: (الداع = الداعي)، و(المهتد = المهتدي)، و(سوف يؤت الله = سوف يؤتي الله)، و(فارهبون = فارهبوني)، و(أطيعون = أطيعوني)، و(النبين = النبيين)، و(الأمين = الأميين)[2]

وحُذِفَتِ الواو في مثل (ويدع الإنسن = ويدعو الإنسن)، و(يمح الله = يمحو الله)، و(يستون = يستوون)، و(الغاون = الغاوون)، و(داود = داوود)[3]

ثانياً: أمثلة ما وقع في رسم المصحف من الزيادة:

الحروف التي تزاد في الخط هي الألف والواو والياء. فمن مواضع زيادة الألف آخر الكلمات التي تنتهي بواو سواء أكانت فعلاً أم اسماً، مثل (يدعوا = يدعو)، و(ءامنوا = ءامنو)، و(كاشفوا العذاب = كاشفو العذاب)، وكذلك زيدت في (مائة = مئة)، وفي مثل: (لا أوضعوا = لأوضعو)[4]

وزيدت الواو في عدد من الكلمات، منها: (أولئك = ألائك)، و(أولوا = ألو)، و(سأوريكم = سأريكم)[5]

وزيدت الياء في عدد من الكلمات منها: (أفإين = أفإن)، و(من نبأي = من

---

(١) ينظر: المهدوي: هجاء مصاحف الأمصار ص٩٩-١٠٩، والداني: المقنع: ١٠-٢٨

(٢) المصدران السابقان ص١١١-١١٢، وص٣٠-٣٤

(٣) المصدران السابقان ص١١٠، وص٣٥.

(٤) المصدران السابقان ص٩٥، وص٤٢-٤٥.

(٥) المصدران السابقان ص٩٩، وص٥٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

نبأ)، و(تلقاىء = تلقاءِ)، و(بأييد = بأيد)، و(بأييكم = بأيكم)[1]

ثالثاً: أمثلة ما وقع في رسم المصحف من قلب حرف إلى حرف:

من ذلك رسمهم الألف واواً في مثل: (الصلوة = الصلاة)، و(الزكوة = الزكاة)، ورسمهم الألف ياء في مثل (أتى = أتا)، و(على = علا)، و(الضحى = الضحا)، (الذكرى = الذكرا). ومن هذا الباب أيضاً ما رسم من تاء التأنيث بالتاء مرة وبالهاء أخرى، مثل (رحمة = رحمت)، و(نعمة = نعمت)، و(كلمة = كلمت)، و(معصية = معصيت)[2]

رابعاً: أمثلة الكلمات المهموزة في رسم المصحف:

لرسم الهمزة أحكام كثيرة فصلها علماء رسم المصحف، وهي جارية على قياس مطرد، سوى كلمات معدودات جاءت على غير القياس، منها: (الضعفؤا = الضعفاء)، و(الملؤا = الملأ)، و(نشؤا = نشاءُ)، و(يعبؤا = يعبأُ)، و(نبؤا = نبأ)، ومنها: (أفأين = أفإن)، و(أولئك = ألائك)، و(إيتائى = إيتاء)، وما أشبه ذلك[3]

خامساً: أمثلة المقطوع والموصول في رسم المصحف:

الأصل في الخط أن تكتب كل كلمة منفصلة عما بعدها، وقد جاءت كلمات قليلة الحروف مقطوعة مرة ومفصولة أخرى، في رسم المصحف، منها: (أن لا = ألاّ)، و(من ما = مما)، و(عنِ من = عمن)، و(في ما = فيما)، و(لكي لا = لكيلا)، و(كل ما = كلما)، وما أشبه ذلك[4]

☆ ☆ ☆

---

(١) المصدران السابقان ص٩٧، وص٤٧

(٢) المصدران السابقان ص٨٦-٩٠، ٧٦، وص: ٥٤، ٦٣، ٧٧

(٣) المصدران السابقان ص٩٠-٩٤، وص٥١-٦٢

(٤) المصدران السابقان ص٨١-٨٦، وص٦٨-٧٧

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

هذه خلاصة موجزة للظواهر الإملائية التي تميز بها رسم المصحف، ولست بصدد البحث في الأصول اللغوية لهذه الظواهر[1]، إنما أريد أن أتتبع هذه الظواهر في النصوص الكتابية التي ترجع إلى العصر الذي كتبت فيه المصاحف لأول مرة، وقد ذكرت هذا من قبل، وسوف أعرض هنا ثلاث صفحات من مصاحف قديمة، ليقف القارئ على بعض الظواهر الإملائية التي ذكرت أمثلتها من كتب رسم المصحف، وسأكتفي بكتابة الكلمات التي فيها ظواهر إملائية متميزة بكتابتها بين قوسين معقوفين على حسب نطقها، من غير تعليق عليها، طلباً للإيجاز، واطمئناناً إلى أن القارئ يدرك الظاهرة الإملائية من خلال نظرة في الصورة المكتوبة بين المعقوفين.

أ- صفحة من مصحف قديم مكتوب على الرق بالخط الكوفي، محفوظ في مكتبة مرقد الإمام علي رضي الله عنه - في النجف[2]، وتحتوي الصفحة أواخر سورة طه، وأوائل سورة الأنبياء، وهذا نص كلماتها، مع ملاحظة أن نقاط الإعجام وعلامات الحركات وأرقام الآيات كلها مضافة إلى النص (انظر الصفحة: صورة رقم ١):

١- من قبل أن نذل ونخزى [نخزا] قل كل متربص فتربصوا [فتربصو].

٢- فستعلمون من أصحب [أصحاب] الصراط السوي ومن.

٣- اهتدى [اهتدا]. الأنبياء، مائة وإحدى عشرة[3]

٤- بسم [باسم] الله الرحمن [الرحمان] الرحيم. اقترب للناس حسابهم.

---

(١) حول هذا الموضوع يمكن مراجعة الفصل الرابع من كتاب (رسم المصحف: دراسة لغوية) ص١٩٧-٣٨٣، طبعة دار عمار، الأردن.

(٢) ينظر وصفاً موجزاً لهذا المصحف في كتاب: رسم المصحف ١٦٢ المورد، العدد الرابع، مج١٥، ١٩٨٦م.

(٣) (الأنبياء) اسم السورة، و(مائة وإحدى عشرة) إشارة إلى عدد آياتها.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

٥- وهم في غفلة معرضون (١) ما يأتيهم من ذكر من.

٦- ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون (٢) لهية [لاهية].

٧- قلوبهم وأسروا النجوى [النجوا] الذين ظلموا [ظلمو] هل

٨- هذا [هاذا] إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصر -

٩- ون (٢) قل [قال] ربي يعلم القول في السماء والأرض و

١٠- هو السميع العليم (٤) بل قالوا [قالو] أضغث [أضغاث] أحلم [أحلام] بل.

١١- افتريه [افتراه] بل هو شاعر فليأتنا بأيه [بآية] كما أرسل آ -

١٢- لأولون (٥) ما ءامنت قبلهم من قرية أهلكنا [أهلكناها] -

١٣- فهم يؤمنون (٦) وما أرسلنا قبلك إلا رجلا [رجالا] نوحي

١٤- إليهم فسئلوا [فسألو] أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون (٧)

١٥- وما جعلنهم [جعلناهم] جسدا لا يأكلون الطعام وما كا -

١٦- نوا [كانوا] خالدين (٨) ثم صدقنهم [صدقناهم] الوعد فأنجينهم [فأنجيناهم] ومن

١٧- نشاء وأهلكنا المسرفين (٩) لقد أنزلنا إليكم كتبا [كتابا].

إن الكلمات المكتوبة بين القوسين المعقوفين كلها من الأمثلة التي سبق أن نقلنا ما يشبهها من كتب رسم المصحف، ولا أجد ضرورة للتعليق هنا، اللهم ما ورد في السطر (١١) حيث جاءت كلمة (بأيه) مرسومة بياءين، وهذا مذهب معروف في رسم المصحف، ذكرنا من أمثلته كلمة (بأييد)[1] وإلا ما جاء في

(١) انظر في هذه الظاهرة وتعليلها كتاب: رسم المصحف ص٣٣٢-٣٣٩

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

آخر الأسطر (٨-١١-١٢-١٥) من تجزئة الكلمة بين سطرين، وهذه ظاهرة كانت شائعة في رسم المصحف وفي الكتابات العربية القديمة، وسوف أذكر هذه القضية بعد أن أتحدث عن النقوش العربية القديمة وظواهرها الإملائية.

ب- صفحة من بقايا مصحف قديم مكتوب على الرق، محفوظة في مكتبة المتحف العراقي ببغداد، وتحتوي الصفحة آيات من آخر سورة الإسراء، وهذا نص كلماتها (ينظر الصفحة: صورة رقم ٢):

١- اد أن يستفزهم من الأرض فأغرقنه [فأغرقناه] و

٢- من معه جميعا (١٠٢) وقلنا من بعده لبني إسرءيل [إسراءيل] ا -

٣- سكنو [اسكنو] الأرض فإذا جاء وعد الآخر -

٤- ة جئنا بكم لفيفا (١٠٤) وبالحق أنزلنه [أنزلناه] وبالحق نزل

٥- وما أرسلنك [أرسلناك] إلا مبشرا ونذيرا (١٠٥) وقر -

٦- ءانا فرقنه [فَرَقْنَاهُ] لتقرأه على [علا] الناس على [علا] مكثٍ

٧- ونزلنه [نزلناه] تنزيلا (١٠٩) قل ءامنوا به أو لا تؤمنوا (تؤمنو) إن

٨- الذين أوتوا [أوتو] العلم من قبله إذا يتلى

٩- عليهم يخرون للأذقن [للأذقان] سجدا (١٠٧) ويقولون سبحن [سبحان].

١٠- ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا (١٠٨) ويخرون

١١- للأذقن [للأذقان] يبكون ويزيدهم خشوعا (١٠٩) قل ا -

١٢- دعوا [ادعوﷺ] الله أو ادعوا [ادعو] الرحمن [الرحمان] أيا ما

١٣- تدعوا [تدعو] فله الأسماء الحسنى [الحسنا] ولا تجهر بصلتك [بصلاتك]

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

١٤- ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك [ذالك] سبيلا (١١٠) وقل

١٥- الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن [له شريك في الملك. ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا][(١)]

جـ- صفحة من مصحف قديم مكتوب على الرق، عثر عليه في جامع عمرو بن العاص - رضي الله عنه - في القاهرة القديمة، وهو الآن محفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم (١٣٩ مصاحف)[(٢)] وتحتوي هذه الصفحة على آخر سورة الأحقاف، وأول سورة القتال (وتسمى سورة محمد ﷺ أيضاً) (ينظر الصفحة: صورة رقم ٣)، وهذا نص كلماتها:

١- الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يو -

٢- م يرون ما يوعدن لم يلبثوا (يلبثو) إ -

٣- لا ساعة من نهار بلغ [بلاغ] فهل يهلك

٤- إلا القوم الفسقون [الفاسقون]

٥- بسم [باسم] الله الرحمن [الرحمان] الرحيم ا -

٦- لذين كفروا [كفرو] وصدوا [صدو] عن سبيل

٧- الله أضل أعملهم [أعمالهم] (١) والذين ءا -

٨- منوا [ءامنو] وعملوا [عملو] الصلحت [الصالحات] وءامنو -

٩- ا [ءامنو] بما نزل على [علا] محمد وهو الحق

١٠- من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأ -

---

(١) ما بين المعقوفين تكملة السورة، وهي ليست في الصفحة التي أوردنا صورتها ونقلنا كلماتها هنا.

(٢) ينظر كتاب: رسم المصحف ص١٦١

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

١١- صلح بالهم (٢) ذلك [ذالك] بأن الذين

قد يستغرب القارئ من وضع بعض الكلمات الواردة في الصفحات الثلاث بين معقوفين، وهي مرسومة كما نرسمها الآن، وذلك مثل: بسم، والرحمن، وهذا، وعلى، والنجوى، وظلموا، وذلك، وما أشبهها، وإنما كان ذلك لأن هذه الكلمات لا يتطابق رسمها مع نطقها، ولأن فيها دلالة على مدى ارتباط إملائنا الذي نكتب به برسم المصحف، وهذه الكلمات خير شاهد على ذلك الارتباط، وسوف نشير إلى هذه القضية في آخر البحث إن شاء الله، وبعد أن نستوفي الكلام على النقوش العربية القديمة.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المبحث الثاني

النقوش العربية القديمة: تاريخها وقراءتها

كتب عدد من الدارسين المحدثين بحوثاً درسوا فيها أصل الخط العربي وتتبعوا تاريخ تطوره في مراحله الأولى، وانتهوا إلى أن الراجح في أصل الخط العربي أنه منحدر عن الخط النبطي المتأخر[1] وأن بروز الخط العربي وتميزه عن الخط النبطي قد تم في القرون الأولى بعد الميلاد. ولا أجد ضرورة للدخول في تفاصيل هذا الموضوع[2] لأن هدفنا هو دراسة النقوش العربية القديمة، والوقوف

---

(١) يعتقد بعض الباحثين أن الأنباط قبائل عربية كانت تتجول في شمال الجزيرة العربية وجنوب بلاد الشام، وقد أسسوا دولة لهم منذ القرن الثاني قبل الميلاد، واتخذوا سلع (البتراء) عاصمة لملكهم، واستمرت دولتهم حتى سنة (١٠٦) بعد الميلاد، حين استولى الحاكم الروماني في سوريا على عاصمتهم. وكان الأنباط قد استخدموا الخط الآرامي، واستطاعوا أن يطوروا منه كتابة خاصة بهم، تطورت بعد ذلك إلى الكتابة العربية. (ينظر: كتاب رسم المصحف ص٣٦-٣٨، طبعة دار عمار).

(٢) من البحوث القيمة التي عالجت هذا الموضوع بالعربية:

١- أصل الخط العربي وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام، للدكتور خليل يحيى نامي. مجلة كلية الآداب في الجامعة المصرية مج٣، ج١، سنة ١٩٣٥، وطبع في كتاب بمطبعة بول باريه، القاهرة ١٩٣٥م.

٢- منشأ الخط العربي وتطوره لغاية عهد الخلفاء الراشدين، للأستاذ المرحوم ناصر النقشبندي، مجلة سومر، مج٣، ج١، سنة ١٩٤٧م.

٣- أصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الأموي، للأستاذة سهيلة ياسين الجبوري، مطبعة الأديب البغدادية، بغداد ١٩٧٧م.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

على طريقة رسم الكلمات فيها، ثم مقارنتها برسم المصحف.

وسوف أعرض تلك النقوش في مجموعتين: الأولى تضم ثلاثة من النقوش العربية الجاهلية، والثانية تضم ثلاثة من نقوش العصر الإسلامي الأول.

المطلب الأول: النقوش العربية الجاهلية:

اكتشف الباحثون عدداً من النقوش العربية التي ترجع إلى ما قبل الإسلام، في شمال الجزيرة العربية وأطراف بلاد الشام، وقد اخترت منها ثلاثة نقوش، وأهملت ثلاثة أخرى لأن تواريخها غير أكيدة ولأن مادتها محدودة غير واضحة، والنقوش التي سأذكرها هذه هي: نقش النمارة، ونقش جبل أسيس، ونقش حران[1]

١- نقش النمارة:

عثر المستشرقان دوسو Dussaud وماكلر Macler سنة ١٩٠١م على نقش له أهمية كتابية ولغوية كبيرة، على بعد كليومتر من النمارة القائمة على أنقاض قصر روماني شرقي جبل الدروز، وهذا النقش هو شاهد قبر ملك عربي اسمه امرؤ القيس بن عمرو، المتوفى سنة ٣٢٨م[2]، وقد عرف هذا النقش بنقش النمارة نسبة إلى اسم الموضع الذي عثر على النقش بالقرب منه (انظر النقش: صورة رقم ٤).

وقام الباحثون بدراسة هذا النقش ومحاولة قراءة كلماته، ويغلب على صورة

---

(١) النقوش التي أهملتها هي: نقش أم الجمال الأول، ونقش زبد، ونقش أم الجمال الثاني، انظر عنها: ناصر النقشبندي: منشأ الخط العربي وتطوره، مجلة سومر، مج٣، ج١، ص١٣٠- ١٣٢، وجواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام ٧/ ٢٧٢- ٢٨٠

(٢) انظر: إسرائيل ولفنسون: تاريخ اللغات السامية ص١٨٩، وجواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام ١/ ١٨٩، و٧/ ٢٧٣، وبلاشير: تاريخ الأدب العربي ١/ ٧١، ورمزي بعلبكي: الكتابة العربية والسامية ص١٢٤

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

رسم الكلمات فيه شكل الكتابة العربية، وفيه جمل تامة مكتوبة بلغة عربية خالصة، وفيه بعض ملامح التأثر بالنبطية أو الآرامية. وهذه كلمات النقش مرسومة بحروف كتابتنا العربية التي نستخدمها اليوم[1]:

١- تي نفس مر القيس بن عمرو ملك العرب كله ذو أسر التج

٢- وملك الأسدين ونزرو وملوكهم وهرب محجو عكدي وجأ

٣- بزجي في حبج نجرن مدينت شمرو ملك ممدو ونزل بنيه

٤- الشعوب ووكلهن فرسوا لروم فلم يبلغ ملك مبلغه

٥- عكدي هلك سنت ٢٢٣ يوم ٧ بكسلول بلسعد ذو ولده.

إن أكثر كلمات هذا النص تبدو عربية، لاسيما إذا لاحظنا أن من تقاليد الكتابة آنذاك عدم إثبات الألف في وسط بعض الكلمات مثل: التج: التاج. ونجرن: نجران، وكذلك زيادة واو في آخر أسماء الأعلام مثل: عمرو: عَمْر، ونزرو: نزار، وشمرو شمر، وغيرها. مع احتمال أن تكون قراءة بعض الكلمات ونقلها من الصخر إلى الورق غير دقيقة. أما تاريخ هذا النقش فهو ٢٢٣ من تاريخ بصرى، الموافق لسنة ٣٢٨ من التاريخ الميلادي.

إن هذا النقش له أهمية تاريخية ولغوية تتمثل بقدمه، إذ هو سابق لظهور الإسلام بنحو ثلاثة قرون، وبالكلمات والعبارات العربية الخالصة التي تضمنها، وهي تدل على تميز الكتابة العربية عن الكتابة النبطية في أول القرن الرابع الميلادي، علماً بأن هذا النقش عثر عليه في مكان لا يخلو من مؤثرات لغوية غير عربية، لأن النمارة تقع في بلاد الشام التي كانت تغلب عليها الآرامية[2]

---

(١) انظر في قراءة النقش المصادر السابقة.

(٢) قام د. رمزي بعلبكي بأوسع دراسة تحليلية لغوية وتاريخية لهذا النقش في كتابه: الكتابة العربية والسامية ص١٢٤-١٤٣

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

٢- نقش جبل أسيس:

عثرت على هذا النقش بعثة ألمانية للتحري عن الآثار في سوريا في حزيران سنة ١٩٦٥م، في منطقة تبعد ١٠٥ كيلومتر جنوب شرقي دمشق عند جبل أسيس[١] ويعد هذا النقش آخر نقش عربي جاهلي اكتشافاً، وإن لم يكن أقدمها تاريخاً، ولا يزال هذا النقش غير معروف لدى كثير من الباحثين في تاريخ الكتابة العربية[٢] وهذه قراءة كلمات هذا النقش بحروف كتابتنا العربية التي نستخدمها اليوم (ينظر النقش رقم ٥)[٣]:

١- إبرهيم بن مغيرة الأوسي

٢- أرسلني الحرث الملك على

٣- سليمن مسلحة سنت

٤- ٤٢٣

وقد أشارت الأستاذة سهيلة الجبوري أن تاريخ النقش حسب تقويم بصرى، وهو يقابل سنة ٥٢٨ للميلاد. وذكرت أن الحارث المذكور في النقش هو الحارث بن جبلة الذي انتصر على المنذر الثالث اللخمي في عام ٥٢٨م[٤] ويبدو أن إبراهيم بن مغيرة الأوسي هو أحد أتباع الملك الحارث المحاربين، فقد جاء في لسان العرب عن كلمة (المسلحة) ما نصه: «المسلحة: القوم الذين يحفظون الثغور من العدو، وسموا مسلحة لأنهم يكونون ذوي سلاح، أو لأنهم

(١) انظر: سهيلة الجبوري: أصل الخط العربي وتطوره ص٥٢-٥٣

(٢) لم أطلع على هذا النص في المصادر العربية إلا في كتاب «أصل الخط العربي وتطوره» للأستاذة سهيلة الجبوري الذي طبع سنة ١٩٧٧ ولم يذكره الدكتور رمزي بعلبكي في كتابه «الكتابة العربية والسامية» الذي طبع سنة ١٩٨١

(٣) انظر: سهيلة الجبوري: أصل الخط العربي وتطوره، ص٥٢

(٤) المصدر نفسه، ص٥٣، هامش ١٩ و٢٠

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

يسكنون المسلحة، وهي كالثغر والمرقب يكون فيه أقوام يراقبون العدو لئلا يطرقهم على غفلة، فإذا رأوه أعلموا أصحابهم ليتأهبوا له»[1]

وعلى الرغم من قلة كلمات هذا النقش فإنها جاءت عربية خالصة وذات معنى واضح محدد، كما أنها كتبت بحروف عربية واضحة. ولعل أهم ميزات هذا النقش الكتابية هي:

١- خُلوّه من نقاط الإعجام وعلامات الحركات.

٢- حذف الألف الواردة في وسط الكلمة مثل (إبراهيم، والحارث، وسليمان).

٣- كتابة تاء التأنيث هاء في: (مغيرة، ومسلحة)، وتاء طويلة في كلمة (سنت).

٣- نقش حران:

عثر بعض المستشرقين سنة ١٨٦٤م في حران اللجا، في المنطقة الشمالية من جبل الدروز، على كتابة مدونة باليونانية والعربية على حجر وضع فوق باب كنيسة، يعود تاريخه إلى سنة ٥٦٨ للميلاد. وعرف هذا النقش باسم نقش حران، وهذه كلمات النص العربي (ينظر النقش صورة رقم ٦):

١- أنا شرحيل بن ظلمو بنيت ذا المرطول

٢- سنت ٤٦٢ بعد مفسد

٣- خيبر

٤- بعم

والقراءة الكاملة للنص هي: (أنا شراحيل بن ظالم، بنيت ذا المرطول

---

(١) ابن منظور: لسان العرب ٣/٣١٧ مادة (سلح).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

(الكنيسة)، سنة ٤٦٢ (من تقويم بصرى = ٥٦٧م)، بعد مفسد خيبر بعام) ومفسد خيبر قد يشير إلى غزوة قام بها الحارث بن أبي شمر أحد أمراء بني غسان لخيبر، على ما يرجح بعض الباحثين[١]

ونقش حران يتميز بالخصائص الكتابية التي لاحظناها من قبل في نقش جبل أسيس، من حيث خلوه من نقاط الإعجام وعلامات الحركات، مثل كل النقوش العربية الجاهلية، ومن حيث حذف الألف الواردة في وسط الكلمات مثل: (شرحيل: شراحيل، وظلمو: ظالم، وبعم: بعام) والواو المزيدة في آخر (ظلمو) هي مثل الواو المزيدة في الأعلام الواردة في نقش النمارة. وكذلك كتبت (سنة) في هذا النص بالتاء الطويلة.

والكتابة العربية التي نجدها في النقوش العربية الجاهلية، لاسيما نقشي أسيس وحران، تقدم نموذجاً متكاملاً للإملاء العربي في صورته الأولى قبل رسم المصحف، وما لحق الكتابة العربية بعد ذلك من تطور لم يغير من تلك الصورة شيئاً جوهرياً. وينبغي أن نشير هنا إلى أن خصائص الكتابة العربية ترتبط بخصائص الكتابة النبطية حتى لقد قال خليل يحيى نامي في آخر بحثه عن أصل الخط العربي: «. يتبين لنا أن الكتابة العربية هي عبارة عن تطور الكتابة النبطية وأنها تحمل نفس مميزاتها وسماتها»[٢]

المطلب الثاني: نقوش العصر الإسلامي:

إن النصوص المكتوبة التي ترجع إلى القرن الهجري الأول كثيرة، لكن ما يرجع منها إلى النصف الأول منه قليلة، ويكاد تناقص تلك النصوص كلما تقدمنا إلى السنين الأولى من تاريخ الإسلام يكون أمراً مطرداً. وتتنوع النصوص

---

(١) ينظر: ناصر النقشبندي: منشأ الخط العربي وتطوره، مجلة سومر، مج٢، ج١، ص١٢٣، وجواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام، ١/ ١٩٠، و٧/ ٢٧٩، وبلاشير: تاريخ الأدب العربي ١/ ٧٢، ورمزي بعلبكي: الكتابة العربية والسامية ص١٥١-١٥٥.

(٢) أصل الخط العربي ص١٠١

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المكتوبة التي ترجع إلى العقود الأولى من ذلك القرن، فمنها ما هو منقوش على الحجر، ومنها ما هو مرقوم على الأديم أو القرطاس (البردي)، ومنها ما هو مضروب على الدراهم[١]

ولكثير من تلك النصوص مشكلات تواجه الباحث فيها، ولعل أقل تلك النصوص مشكلات النصوص المنقوشة على الحجر، لاسيما المؤرخة منها، وقد وجدت أن ثلاثة منها أنفع من غيرها للبحث الذي نحن بصدده، وهو الموازنة بين رسم المصحف والنقوش العربية القديمة، لقدم تأريخها، ولوضوح قراءتها، ولغزارة مادتها أيضاً. وهي من بلدان متعددة، فالنقش الأول من مصر، والثاني من بلاد الحجاز في السعودية، والثالث من العراق. وهذا عرض لنصوصها وتاريخ الكشف عنها:

١- نقش القاهرة:

اكتشف هذا النقش الأستاذ حسن محمد الهواري، من بين عدد كبير من قطع الحجر أو الرخام المكتوبة بالخط الكوفي، التي كانت تحتفظ بها دار الآثار العربية بالقاهرة، وهي مجلوبة من أقدم المقابر الإسلامية في القاهرة وأسوان. وذلك في سنة ١٩٢٩م[٢] وكتب مقالة بعنوان (أقدم أثر إسلامي) في مجلة الهلال المصرية[٣] وهو اليوم محفوظ بمتحف الفن الإسلامي في القاهرة برقم

---

(١) ينظر عن تلك النصوص: حسن محمد الهواري: أقدم أثر إسلامي، مجلة الهلال المصرية، السنة ٣٨، (١٩٣٠)، ج١٠، ص١١٨١- ١١٨٣، وناصر النقشبندي: منشأ الخط العربي وتطوره، مجلة سومر (١٩٤٧)، ج٣، ج١، ص١٣٥-١٤٠، وزاكية محمد رشدي: النقوش السامية (القسم الثاني)، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة (١٩٦٧)، مج٢٩، ج١-٢، ص٤٠-٥٦

(٢) ينظر: إسرائيل ولفنسون: تاريخ اللغات السامية ص٢٠٢

(٣) ينظر: الجزء العاشر من السنة ٣٨ (سنة ١٩٣٠م)، ص١١٧٩-١١٩١، وكذلك نشر حسن الهواري مقالته في مجلة الجمعية الآسيوية الملكية في عدد نيسان (١٩٣٠)، ينظر: إبراهيم جمعة: دراسة في تطور الكتابات الكوفية ص١٢٨

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

(٢٩/ ١٠٥٨)، وحجم قطعة الحجر المكتوب عليها هو ٣٨سم × ٧١سم[١]

وتسمي بعض المصادر هذا النقش بنقش (أسوان) على أساس أنه عثر عليه في مقابر أسوان في جنوبي مصر[٢] لكن الذي نص عليه حمن الهواري في مقالته عن هذا النقش أنه لرجل «دفن بالقرافة بظاهر الفسطاط»[٣] ومن ثم وصف بأنه (نقش القاهرة).

وهذا النقش له شأن عظيم في الدراسات المتعلقة بتاريخ تطور الكتابة العربية، وذلك لأنه يكاد يكون أقدم نص إسلامي مدون على الحجر، فهو مؤرخ بسنة (٣١هـ). وهو بذلك يرجع إلى الحقبة التي كتبت فيها المصاحف في المدينة في خلافة عثمان بن عفان، رضي الله عنه.

وقد اتفق الباحثون على قراءة كلمات هذا النقش ما عدا كلمتين أو ثلاثاً، وهذا نص كلماته (ينظر النقش: صورة رقم ٧) مع الإشارة إلى الكلمات المختلف في قراءتها بوضعها بين قوسين:

١- بسم الله الرحمن الرحيم هذا القبر

٢- لعبد الرحمن بن (خير) (الحجري). اللهم اغفر له

٣- وأدخله في رحمةٍ منك (وأننا) معه

٤- أستغفر له إذا قرأ هذا الكتب

٥- وقل آمين وكتب هذا ا

٦- لكتب في جمدى إلا

---

(١) ينظر إبراهيم جمعة: دراسة في تطور الكتابات الكوفية ص١٣٠، وسهيلة الجبوري. أصل الخط العربي وتطوره ص١٠٨

(٢) ينظر المصدران السابقان ص١٢٠، وص١٠٨

(٣) ينظر: مجلة الهلال، ج١٠ (السنة ٢٨)، ص١١٩١

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

٧- خر من سنت إحدى و

٨- ثلاثين

اختلف الباحثون في قراءة كلمة (خير) في السطر الثاني، فقد قرأه بعضهم (جبر)، وكذلك اختلفوا في (الحجري) في السطر ذاته، فقرأه بعضهم (الحجازي)[١] وقد رجح حسن الهواري قراءته: (خير) و(الحجري) بفتح الحاء وسكون الجيم[٢] وكذلك اختلفوا في قراءة كلمة (وإننا) في السطر الثالث، فقد قرأه بعضهم (وآتنا)[٣]، وقرأه بعضهم (وإيانا)[٤] والسبب في اختلافهم في قراءة هذه الكلمات هو أن النص غير منقط في الأصل.

واقترح خليل يحيى نامي قراءة كلمة (قرأ) في السطر الرابع (قرأت) بإضافة تاء الفاعل، فكأنه يرى أن الكاتب نسي كتابة التاء[٥] لكن هذا ليس أكيداً فيما نرى، فقد تكون الصيغة مبنية للمجهول (قرئ)، مثل (كتب) في السطر الخامس، لكن تثار حينئذ مشكلة كتابة الهمزة، وسوف أناقش ذلك في موضع لاحق من هذا البحث، إن شاء الله.

٢- نقش الطائف:

عُثِرَ على هذا النقش في أثناء التنقيب على المعادن في منطقة قرب الطائف في الحجاز، وذلك في سنة ١٩٤٥، وقام بنشره وقراءته (مايلز) سنة ١٩٤٨، وتناوله بالدرس عدد آخر من الباحثين. وهو على صخرة من بقايا سد قديم أمر ببنائه الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - قرب الطائف، ومؤرخ

---

(١) ينظر إسرائيل ولفنسون: تاريخ اللغات السامية ص٢٠٢، وخليل يحيى نامي: أصل الخط العربي ص٩١

(٢) أقدم أثر إسلامي ص١١٩٠- ١١٩١

(٣) إسرائيل ولفنسون: تاريخ اللغات السامية ص٢٠٢

(٤) صلاح الدين المنجد: دراسات في تاريخ الخط العربي ص٤١.

(٥) أصل الخط العربي ص٩١

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

بسنة ٥٨هـ. وهذا نص كلماته (ينظر النقش: صورة رقم ٨)[١]:

١- هذا السد لعبد الله معوية

٢- أمير المؤمنين بنيه عبد الله بن صخر

٣- بإذن الله لسنة ثمن وخمسين ا

٤- للهم اغفر لعبد الله معوية أ

٥- مير المؤمنين وثبته وانصره ومتع ا

٦- لمؤمنين به كتب عمرو بن حباب.

وكان (مايلز) حين نشر هذا النقش لأول مرة يظن أن كلمة قد امَّحت في أول السطر السادس، وقَدَّرَ أنها كلمة (أمير) فتكون القراءة في رأيه (ومتع (أمير) المؤمنين به)، ولا داعي لهذا التقدير ولا لغيره، فالنص كامل لا يحتاج إلى تقدير شيء، لأن الضمير في (به) في السطر السادس يرجع إلى أمير المؤمنين وليس إلى السد، وإنما أراد الكاتب: ومتع المؤمنين بأمير المؤمنين، أي بطول بقائه[٢]

ويتميز هذا النقش عن جميع النقوش السابقة في أن عدداً من حروفه تبدو منقطة، وهي (الباء والتاء والياء والثاء والنون والفاء والخاء)، وسوف أعود إلى مناقشة هذه القضية في موضع لاحق.

٣- نقش حفنة الأُبَيِّض:

عثر على هذا النقش السيد عزالدين الصندوق سنة ١٩٤٩م عندما كان في بعثة دائرة الآثار العراقية إلى الصحراء الغربية، وهذا النقش يشبه تذكاراً كتبه ثابت بن

---

(١) ينظر عن هذا النقش والمصادر التي تحدثت عنه: كتاب رسم المصحف ص٤٦١-٤٦٢، طبعة دار عمار، الأردن.

(٢) ينظر: المصدر السابق ص٤٦٢

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

يزيد الأشعري في شوال من سنة ٦٤هـ، على صخرة تجثم على حافة وادي الأبيِّض، في منطقة تسمى حفنة الأبيِّض غربي كربلاء[١] وهذا نص كلمات النقش (ينظر النقش: صورة رقم ٩)[٢]:

١- بسم الله الرحمن الرحيم.

٢- الله وكبر كبيرا وا

٣- لحمد لله كثيرا وسبحن ا

٤- لله بكرة وأصيلا وليلا

٥- طويلا. اللهم رب

٦- جبريل وميكل واسر

٧- فيل اغفر لثبت بن يزيد

٨- الأشعري ما تقدم من

٩- ذنبه وما تاخر ولمن قال

١٠- امين امين رب العلمين

١١- وكتبت هذا الكتب في

١٢- شوال من سنة أربع و

١٣- ستين.

وهذا النقش يحمل خصائص النقوش السابقة، مع وجود بعض الظواهر

---

(١) ينظر: عزالدين الصندوق: حجر حفنة الأبيض، مجلة سومر ١٩٥٥، مج١١، ج٢، ص٢١٣- ٢١٧، ينظر كتاب: رسم المصحف ص٤٦٣

(٢) ينظر صلاح الدين المنجد: دراسات في تاريخ الخط العربي ص١٠٤- ١٠٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

الإملائية التي انفرد بها، مما سنقف عنده في المبحث الآتي، وأكتفي هنا بالإشارة إلى وجود ثلاثة حروف معجمة في هذا النقش وهي الباء والياء والثاء في السطرين الثاني والثالث.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المبحث الثالث

الظواهر الإملائية المشتركة بين رسم المصحف والنقوش العربية القديمة

ليس من هدفنا تتبع تطور أشكال الحروف في النقوش العربية الجاهلية والنقوش العربية الإسلامية، وليس من هدفنا الحديث عن أنواع الخطوط من ليِّن ويابس، أو كوفي ونسخي، إنما هدفنا هنا تتبع الظواهر الإملائية التي فيها مخالفة المكتوب للمنطوق مما تميزت به تلك النقوش وشاركها في ذلك رسم المصحف. ومن تلك المظاهر المشتركة:

أولاً: خلو الكتابة من الشكل والنقط:

تميزت النقوش العربية القديمة (الجاهلية والإسلامية) بخلوها من علامات الحركات الثلاث: الفتحة والضمة والكسرة. ومن غيرها من العلامات الأخرى، وكذلك كانت المصاحف الأولى مجردة من ذلك كله. وكانت الكتابة العربية قد ورثت هذه الخاصية عن أصلها البعيد بواسطة الكتابة النبطية[1] وقد قال أبو عمرو الداني: «إن العرب لم تكن أصحاب شكل ونقط»[2]

أما علامات الحركات المستخدمة في المصاحف الآن، وفي الكتابة العربية في غير المصاحف فإنها ترجع إلى حقبة تالية لوقت نسخ المصاحف، وذلك لأن

---

(١) ينظر سهيلة الجبوري: أصل الخط العربي وتطوره ص١٤٧، ورمزي البعلبكي: الكتابة العربية والسامية ص٣٢١

(٢) المحكم ص١٧٦

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

الكتابة المجردة من علامات الحركات لا تعين على القراءة الصحيحة، ومن ثم فكر العلماء في وقت مبكر من تاريخ الإسلام بسد هذا النقص في الكتابة، وكانت أول محاولة في هذا السبيل هي محاولة أبي الأسود الدؤلي (ظالم بن عمرو ت٦٩هـ)، في البصرة، فإنه ابتكر طريقة النقط المدورة الحمراء لتمثيل الحركات. فجعل الفتحة نقطة فوق الحرف، والكسرة نقطة تحت الحرف، والضمة بين يدي الحرف (أي أمامه)، وكان استخدام هذه الطريقة في المصاحف خاصة[١]

وقد غبر الناس زماناً وهم يستخدمون طريقة أبي الأسود الدؤلي في تمثيل الحركات، لكن هذه الطريقة لا تخلو من صعوبة تتمثل بتعدد ألوان المداد، وبالتباسها بنقط الإعجام المميزة للحروف المتشابهة في الرسم، وقد جاء عالم العربية الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري (ت١٧٠هـ) فجعل نقط أبي الأسود حروفاً صغيرة من لون الكتابة ذاتها، فجعل الفتحة ألفاً صغرى مائلة فوق الحرف، والكسرة ياء صغرى مردودة تحت الحرف، والضمة واواً صغرى فوق الحرف[٢] وهناك تفصيلات كثيرة من تاريخ استخدام الحركات في الكتابة العربية نستطيل ذكرها هنا، مع عدم مسيس الحاجة إليها[٣]

ومما يتعلق بهذا الموضوع نقاط الإعجام التي تميز بين الحروف المتشابهة في الرسم، فالنقوش العربية التي ترجع إلى ما قبل الإسلام تخلو من نقاط الإعجام، وقد ورثت الكتابة العربية ذلك عن الكتابة النبطية[٤] وكتبت المصاحف مجردة من ذلك أيضاً. وتذكر رواية المصادر العربية أن نصر بن عاصم الليثي (ت٩٠هـ) البصري هو الذي نقط الحروف التنقيط الذي لا يزال مستخدماً في الكتابة العربية. لكن النقوش العربية الإسلامية التي ترجع إلى فترة أقدم من زمان

---

(١) ينظر: الداني: المحكم ص٦-٧، وابن النديم: الفهرست ص٤٥

(٢) الداني: ص٧

(٣) من أراد التفصيل فعليه بالفصل الخامس من كتاب: رسم المصحف ص٣٩١ وما بعدها.

(٤) خليل يحيى نامي: أصل الخط العربي ص٨٧ و١٠١

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

نصر بن عاصم، ظهرت فيها بعض الحروف المعجمة لاسيما نقش سد الطائف المؤرخ سنة ٥٨هـ. وهناك شك في أصالة النقط التي تظهر في كتابة نقش سد الطائف، والأمر يحتاج إلى تفصيل يمكن مراجعته في مصادره[١]

ثانياً: حذف الألف في وسط الكلمة:

من الظواهر الكتابية الشائعة في رسم المصحف حذف الألف الواردة في وسط الكلمة في كثير من الأحيان، وقد رأينا من أمثلة ذلك في سورة الفاتحة وحدها الكلمات الآتية: (الرحمن = الرحمان) و(العلمين = العالمين) و(ملك = مالك) و(الصرط = الصراط)، والأمثلة كثيرة على نحو ما ذكرنا من قبل.

وإذا رجعنا إلى النقوش العربية القديمة وجدنا أن هذه الظاهرة لم تكن خاصة برسم المصحف، وإنما كانت إحدى خصائص الكتابة العربية في ذلك الوقت، فحذف الألف ظاهرة كتابية شائعة في النقوش العربية الجاهلية، مثل (التج = التاج، ونجرن = نجران) في نقش النمارة، و(إبرهيم = إبراهيم، والحرث = الحارث، وسليمن = سليمان) في نقش جبل أسيس، و(شرحيل = شراحيل، وظلمو = ظالم، وبعم = بعام) في نقش حران.

وقد استمرت هذه الظاهرة بعد رسم المصحف، كما تدل على ذلك النقوش العربية الإسلامية التي ذكرناها، وذلك مثل: (هذا = هاذا، والكتب = الكتاب، وجمدى = جمادى، وثلثين = ثلاثين) في نقش القاهرة، و(معوية = معاوية، وثمن = ثمان) في نقش الطائف، (سبحن = سبحان، ولثبت = لثابت، والعلمين = العالمين، والكتب = الكتاب) في نقش حفنة الأبيض.

ويرجع أصل هذه الظاهرة إلى الكتابة النبطية التي انحدرت منها الكتابة العربية[٢] فرسم المصحف إذن لم يكن متفرداً بهذه الظاهرة، فإنها موجودة في

---

(١) ينظر كتاب: رسم المصحف ص٤٥٢-٤٦٨

(٢) ينظر خليل يحيى نامي: أصل الخط العربي ص٨٨ و١٠١، ورمزي بعلبكي: الكتابة العربية السامية ص١٧٨-١٧٩

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

الكتابة العربية قبل كتابة المصحف بها، وظلت فاشية بعد ذلك في كتابات القرن الأول الهجري، وأخذت تختفي تدريجياً من الكتابة العربية إلى اليوم وذلك في الكلمات: (الرحمن = الرحمان، وهذا = هاذا، وهذه = هاذه، وهؤلاء = هاؤلاء، إله = إلاه، ولكن = لاكن، وأولئك = ألائك، وذلك = ذالك).

ثالثاً: رسم تاء المؤنثة:

من الظواهر الكتابية التي تميز بها رسم المصحف أن تاء المؤنثة جاءت مرسومة تاء أحياناً وهاء أخرى، مثل: (رحمت = رحمة، ونعمت = نعمة، وكلمت = كلمة). ولا نحتاج في هذا المقام إلى الحديث عن أصل علامة التأنيث في العربية، ولا عن سبب كتابتها تاء مرة وهاء أخرى، ويكفينا هنا أن نشير إلى أن أصل هذه الظاهرة كان موجوداً في الكتابة العربية قبل رسم المصحف، كما تدل على ذلك النقوش العربية القديمة. فنجد في نقش النمارة (مدينت = مدينة، وسنت = سنة) وفي نقش جبل أسيس (سنت = سنة) وكذلك هي في نقش حران.

ويبدو أن التوجه إلى كتابة تاء التأنيث هاء كان قد بدأ قبل الإسلام بعشرات السنين، فنجد في نقش جبل أسيس كلمة (مغيرة ومسلحة) مكتوبتين بالهاء، وكتبت كلمة (سنة) بالتاء في النقش ذاته، وهذا يفسر لنا طريقة رسم المصحف في كتابة هذا النوع من الكلمات، بالتاء أحياناً وبالهاء أخرى. وبدأت ظاهرة كتابة تاء التأنيث بالتاء المبسوطة تختفي تدريجياً حتى زالت تماماً من الكتابة العربية.

رابعاً: تفريق حروف الكلمة الواحدة في السطر والذي يليه:

من الظواهر الكتابية التي لاحظناها في الصفحات الثلاث من المصاحف القديمة تقطيع حروف الكلمة التي تقع في آخر سطر بين آخر السطر وأول السطر الذي يليه، كما نجد في آخر السطر الثامن وأول التاسع من تقطيع كلمة (تبصر - ون) بين السطرين في الصفحة الأولى، وكذلك الأسطر (١١-١٢) و(١٢-١٣) و(١٥-١٦). وكذلك نجد الظاهرة نفسها في الصفحتين الأخريين. وكان بعض

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

العلماء السابقين قد نص على وجود هذه الظاهرة في المصاحف العثمانية القديمة[١]

ولا نجد لهذه الظاهرة أثراً في النقوش العربية الجاهلية الثلاثة، وقد لا يعني هذا عدم وجودها في ما كتب قبل الإسلام من نصوص عربية، لأن النقوش الثلاثة قصيرة قليلة الكلمات. أما النقوش العربية الإسلامية فإن في كل نقش منها أكثر من مثال على هذه الظاهرة. فنجد في نقش القاهرة كلمة (الكتب) مقسمة بين آخر السطر الخامس وأول السادس، وكلمة (الآخر) مقسمة بين آخر السطر السادس وأول السابع. وكذلك نجد في نقش الطائف الألف قد انفردت عن كلماتها في آخر السطور الثلاثة الثالث والرابع والخامس. وكذلك نجد هذه الظاهرة في نقش حفنة الأبيض في آخر الأسطر الثاني والثالث والسادس.

خامساً: رسم الهمز:

رسم الهمزة من الموضوعات المتشعبة في الإملاء العربي، في رسم المصحف وفي غيره، لكن الغالب في رسمها هو كتابتها على التسهيل[٢] ولا نريد الدخول في تفصيلات هذا الموضوع، وأكتفي بالإشارة إلى أن ما ورد في النقوش العربية القديمة من أمثلة قليلة يؤيد ما نجد في رسم المصحف من الكلمات المهموزة المكتوبة على خلاف القاعدة المطردة، فما ورد في نقش حفنة الأبيض في السطر الثاني من رسم الهمزة واواً في (الله وكبر) يماثل زيادة الواو في أمثلة من الرسم في مثل: (أولئك وسأوريكم) ونحو ذلك[٣]

وقد وردت في نقش القاهرة كلمة (قرأ) في السطر الرابع، والسياق يقتضي أن تقرأ بالبناء للمجهول (قرئ) وأن ترسم همزتها بالياء، لكنها رسمت بالألف هكذا (قرأ). فإذا كان الفعل مبنياً للمجهول فقد يكون رسم الهمزة فيها على

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى ٣/ ١٥١

(٢) الداني: المحكم ص١٥١

(٣) ينظر: كتاب رسم المصحف ص٣٠٢، طبعة دار عمار، الأردن.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

مذهب من يكتب الهمزة بالألف دائماً، وهو مذهب قديم معروف في الكتابة العربية[1] ويؤيد كون (قرأ) مبنياً للمجهول مجيء الفعل (كتب) بعده مبنياً للمجهول في السطر الخامس، والنص كما ورد في النقش هو:

٤- استغفر له إذا (قُرِأ) هذا الكتب

٥- وقل آمين و(كُتِبَ) هذا ا -

وكان خليل يحيى نامي قد رأى أن تضاف تاء الفاعل المخاطب إلى (قرأ) لتصير (قرأت)[2] فكأنه يرى أن الكاتب نسي كتابة التاء، ويقتضي مذهبه هذا أن تضاف تاء المتكلم إلى (كتب) لتصير (وكتبتُ). ولكني لا أستبعد أن يكون كاتب هذا النقش أراد الصيغة التي كتبها، وهي صحيحة كاملة، وكل ما في الأمر أنه رسم الهمزة على نحو يخالف المشهور في طريقة كتابتها، وقد يكون رسمها على مذهب من يكتبها بالألف دائماً من العرب.

---

(١) ينظر الفراء: معاني القرآن ٢/ ١٣٤

(٢) أصل الخط العربي ص٩١

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

خاتمة

إن مجموع كلمات النقوش العربية القديمة قد لا يزيد على كلمات صفحة من المصحف، ومن ثم فإن الظواهر الإملائية التي تُقدمها تلك النقوش تُعدُّ شيئاً يسيراً بالنسبة للظواهر التي نجدها في رسم المصحف، لكن تلك الظواهر الإملائية التي نجدها في النقوش العربية القديمة، على قِلَّتها، ذات دلالة كبيرة في الموضوع الذي دار عليه هذا البحث، فهي تؤكد أن الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - قد كتبوا القرآن في المصحف بالكتابة العربية المستخدمة وقت نزول القرآن، ويمكن لنا القول أن ما تميز به رسم المصحف من ظواهر إملائية لا يتطابق فيها المرسوم مع المنطوق كانت من مميزات الكتابة العربية قبل أن يدون بها القرآن.

والرسم العثماني، بما فيه من تنوع الأمثلة الكتابية وكثرتها يقدم نموذجاً حقيقياً لما كانت عليه الكتابة العربية في النصف الأول من القرن الهجري الأول، حين كان الناس في تلك الأيام لا يلاحظون فرقاً بين رسم المصحف وكتابتهم في الأغراض الأخرى. واستمر الحال على ذلك إلى أن ظهر علماء العربية في البصرة والكوفة وأسسوا للكتابة ضوابط بنوها على أقيستهم النحوية وأصولهم الصرفية. وكلما تقدم الزمن ازدادت الحاجة إلى توحيد قواعد الإملاء، ومن ثم فإن أكثر الظواهر الكتابية التي نجدها في الرسم العثماني مرسومة على قاعدتين قد مالت إلى التوحد في قاعدة واحدة، وكان علماء العربية يقودون خطى الناس في هذا الاتجاه، ويضعون القواعد التي تُيسِّره وتضبطه، حتى ظهر علم الهجاء أو الإملاء علماً كاملاً متميزاً عن علم رسم المصحف.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وخلاصة ما يمكن قوله عن العلاقة بين رسم المصحف والإملاء الذي كَتَبَ به الناس منذ قرون كثيرة، ولا يزالون يكتبون به إلى وقتنا، هو أن الرسم العثماني كان يمثل مرحلة من مراحل الكتابة العربية، حمل خصائص تلك المرحلة، وهو يمثلها خير تمثيل، وما إملاؤنا اليوم إلا امتداد للرسم في معظم خصائصه. ويكفي أن أذكر أن حذف الألف المتوسطة من بعض الكلمات، وزيادة الألف بعد واو الجماعة في آخر الفعل. ورسم الألف ياء في آخر الكلمات اليائية الأصل وغير الثلاثية، وزيادة الواو في أولئك وأخواتها كل ذلك منحدر إلى كتابتنا من رسم المصحف.

وأختم هذا البحث بالتنبيه على أمر مهم هو عناية الصحابة - رضوان الله عليهم - بكتابة القرآن في المصحف، وتدقيقهم في صور الكلمات حتى تكون دقيقة بقدر ما كانت تسمح قواعد الإملاء المستخدم في زمانهم، وكان لهم في رسول الله ﷺ أسوة، فإنه كان إذا أملى شيئاً من القرآن على كاتب الوحي زيد بن ثابت، وفرغ من كتابته زيد، قال له رسول الله ﷺ: اقرأه، فيقرأه زيد، فإن كان فيه سقط أقامه وأصلحه رسول الله ﷺ.

ونقل الطبري في تفسيره روايتين تكشفان عن جانب من الجهد الكبير الذي بذله الصحابة في نسخ المصاحف منقولتين عن أبي سعيد هانئ البربري الدمشقي مولى أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضي الله عنه -:

جاء في الرواية الأولى أن هانئاً قال: كنت الرسولَ بين عثمان وزيد بن ثابت، فقال زيد: سله عن قوله: (لم يتسن) أو (لم يتسنه) [البقرة: ٢٥٩]، فقال عثمان: اجعلوا فيها هاء.

وجاء في الرواية الثانية أن هانئاً قال: كنت عند عثمان، وهم يعرضون المصاحف، فأرسلني بكتف شاة إلى أُبيِّ بن كعب، فيها (لم يتسن)، و(فأمهل الكافرين)، و(لا تبديل للخلق)، قال: فدعا أبي بالدواة فمحا إحدى اللامين وكتب ﴿لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم]، ومحا (فأمهل) وكتب ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٧﴾﴾

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

[الطارق]. وكتب ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [البقرة] ألحق فيها الهاء[1]

إن من الحقائق الكبرى التي قد تغيب عن نظر الكثيرين أن تدوين القرآن بالكتابة العربية قد نقلها من كتابة محدودة فقيرة في موضوعاتها إلى كتابة تشرفت بحفظ أعظم كتاب، وكانت بسبب ذلك الكتابة المعبرة عن الحضارة الإسلامية، كما استخدمتها شعوب إسلامية كثيرة في تدوين لغاتها فحقق ذلك للكتابة العربية فرصة كبيرة تولى فيها العلماء صيانتها وضبطها وتيسيرها، منذ كتابة القرآن بها إلى وقتنا الحاضر

(١) جامع البيان ٣/ ٣٧-٣٨

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

نماذج مصورة

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

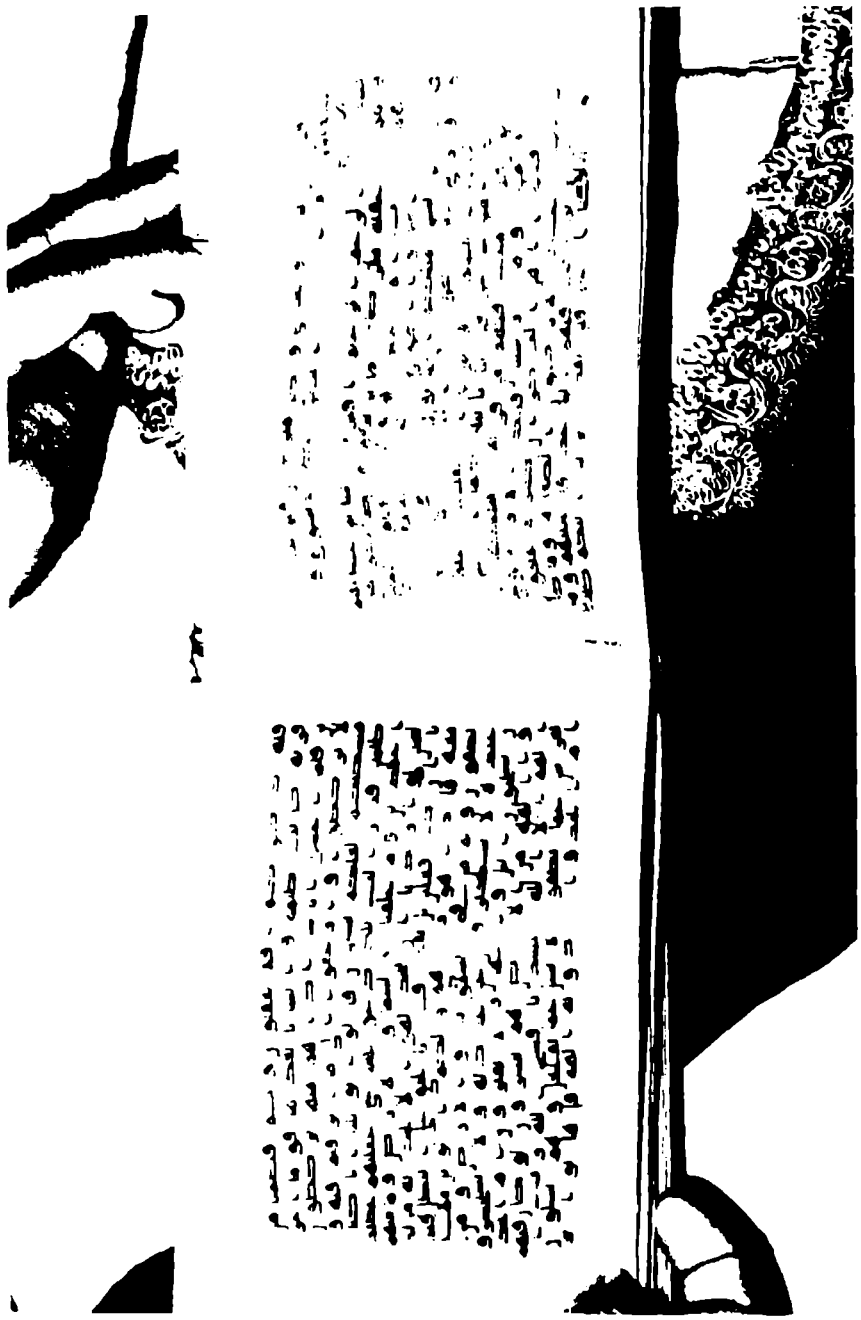

صورة رقم (١)

صفحتان من مصحف قديم مكتوب على الرق

في مكتبة الإمام علي رضي الله عنه في النجف

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

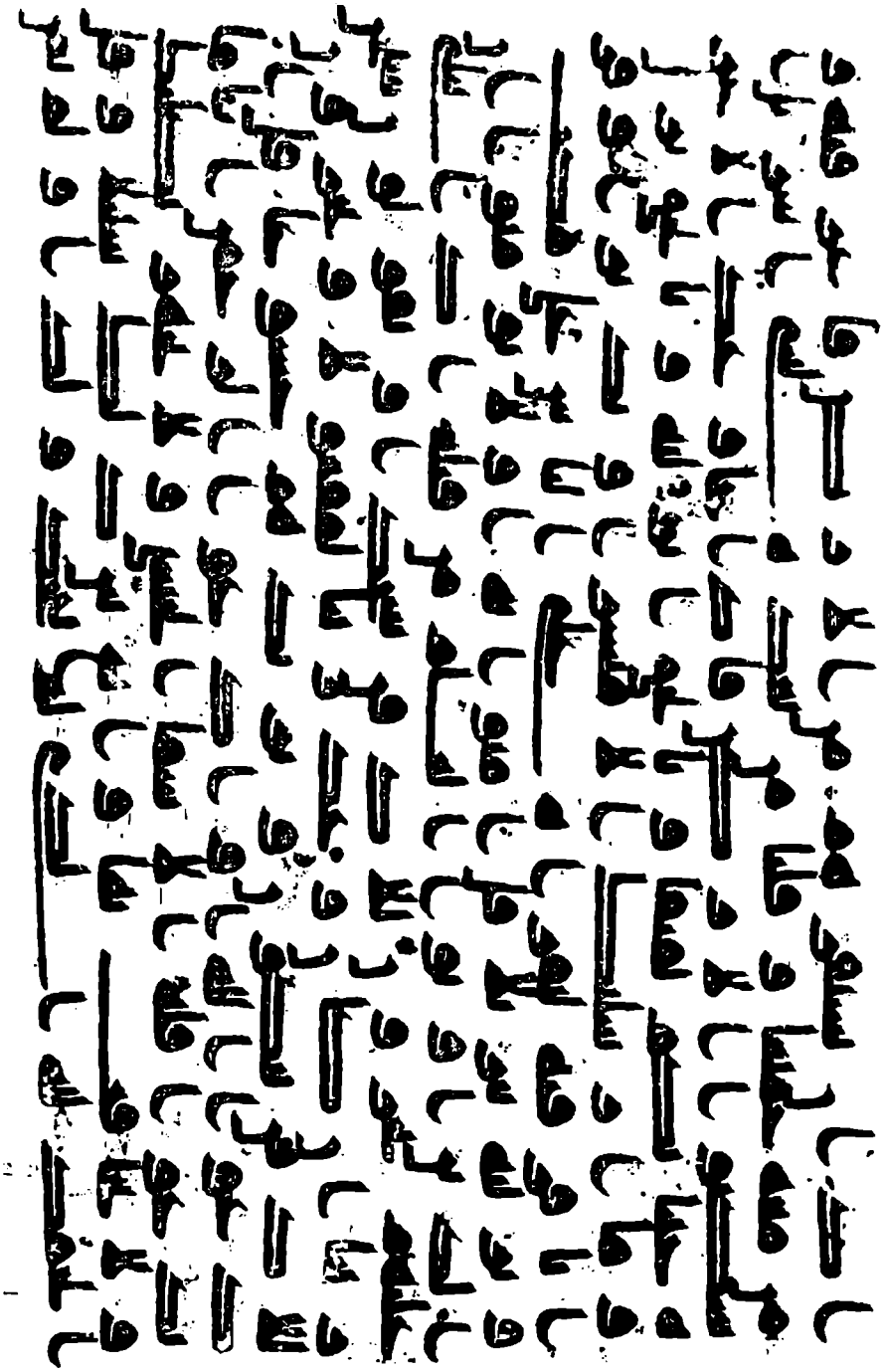

صورة رقم (٢)

صفحة من بقايا مصحف قديم مكتوب على الرق

في مكتبة المتحف العراقي في بغداد

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

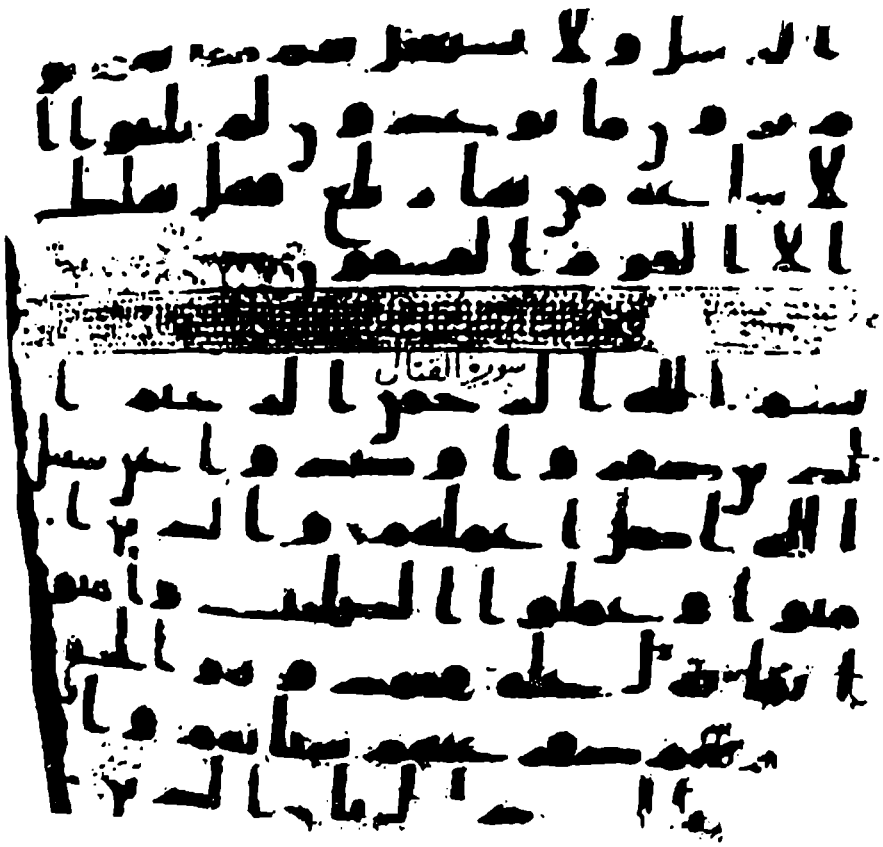

صور رقم (٣)

صورة من مصحف جامع عمرو بن العاص

المحفوظ بدار الكتب المصرية بالقاهرة

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

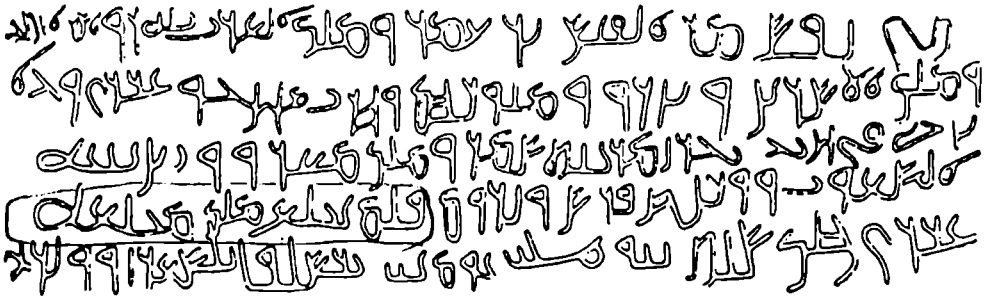

صورة رقم (٤)
نقش النمارة (٣٢٨م)

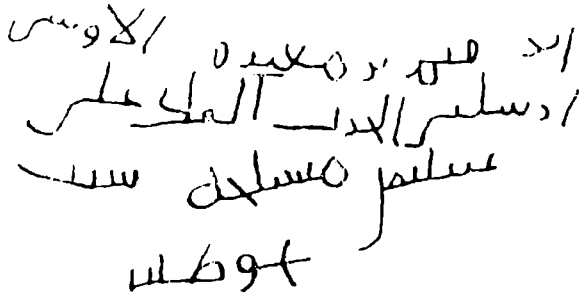

صورة رقم (٥)
نقش جبل اسيس (٥٢٨م)

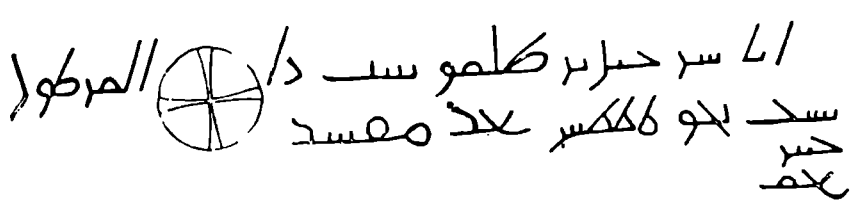

صورة رقم (٦)
نقش حران (٥٦٨م)

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

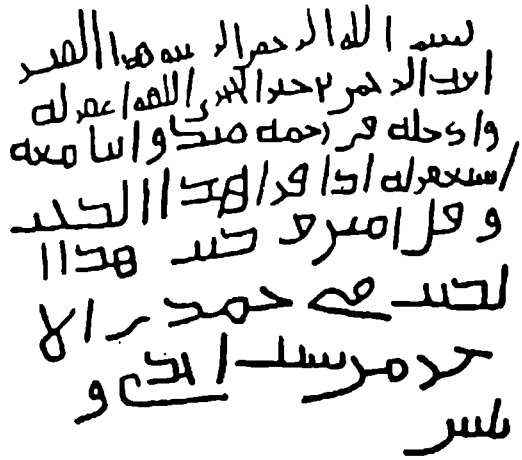

صورة رقم (٧)
نقش القاهرة (٣١هـ)

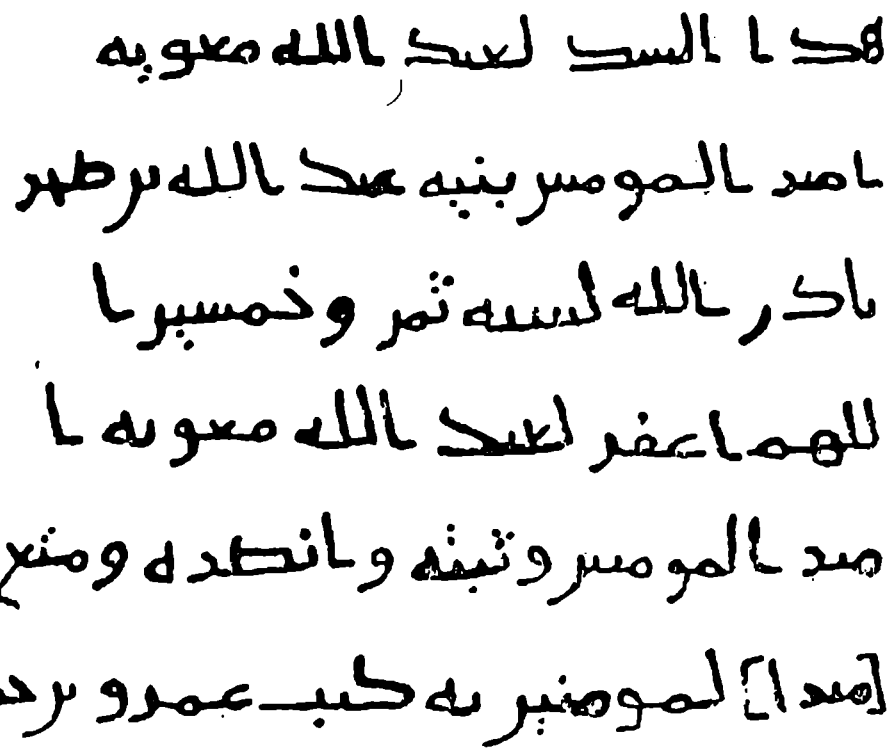

صورة (٨)
نقش سد الطائف (٥٨هـ)

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

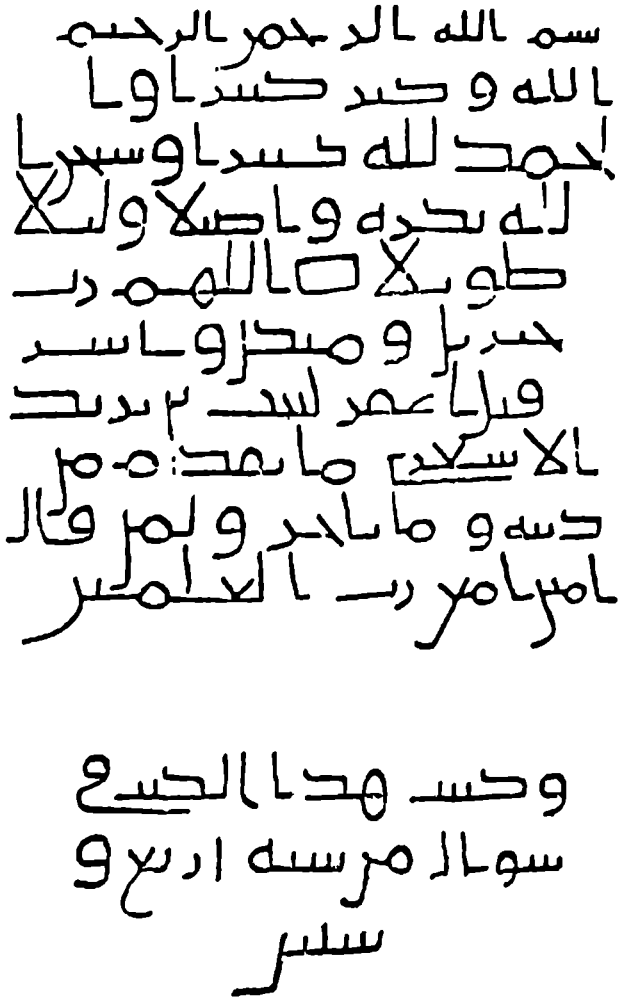

صورة (٩)
نقش حفنة الابيض (٦٤هـ)

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

(٤)

طِبَاعَةُ المُصْحَفِ في العِرَاقِ
نظرةٌ في الماضي وٱستشرافٌ على المستقبل[١]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

الحمدُ للهِ، وسلامٌ على عباده الذين ٱصطفى، أَمَّا بَعْدُ:

فقد كان لعلماء العراق دورٌ مشهودٌ في خدمة المصحف وصيانته من التصحيف والتحريف، فكانت نشأة علوم القرآن الأولى في الكوفة والبصرة، ونمت وازدهرت بعد اتخاذ بغداد عاصمة للخلافة الإسلامية. وكان لخطَّاطيهِ إسهامٌ كبيرٌ في تجويد الخط العربي وتطويره، وكتابة المصاحف بالخطوط الجميلة والحواشي المزينة والمذهبة.

وأَفَلَ دَوْرُ بغداد بعد سقوط الخلافة العباسية على يد جيش هولاكو سنة ٦٥٦هـ، وخمدت جذوة العلوم فيها، فهجرها العلماء إلى بلدان أكثر أمناً وازدهاراً، وتحوَّلت مدارسها إلى أطلال تحكي قصة الحضارة التي كان مزدهرة فيها، وعانت بغداد ومدن العراق الأخرى من هذه الحال قروناً كثيرة.

---

(١) منشور في مجلة الخطيب في بغداد، العدد الرابع، وكانون الأول، ص٤١-٦٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وبعد قيام الدولة العراقية الحديثة نشطت في بغداد الحركة العلمية من جديد، وشملت العراقَ مظاهرُ الصحوة المباركة التي أيقظت الأمة من سباتها الطويل، وبدأت بغداد تستعيد دورها التاريخي في خدمة المصحف والدراسات القرآنية، وطُبِعَ المصحف في بغداد عام ١٣٧٠هـ، وتوالت طباعته في السنوات اللاحقة، وهي وإن جاءت متأخرة بعض الشيء إلا أنها سدت حاجة كانت قائمة في البيت والمسجد والمدرسة.

ولم تحظ تجربة طباعة المصحف في العراق بالتأريخ والتقويم، بقدر اطلاعي، وهو أمر مفيد إن لم يكن ضرورياً من أجل أن تستمر طباعة المصحف في العراق وهي تستند إلى أسس علمية راسخة تعيد إلى العراق دوره التأريخي ومكانته المرموقة في خدمة القرآن الكريم وعلومه المباركة، التي كانت له في عصر ازدهار الحضارة العربية الإسلامية.

وهذا البحث محاولة أولية لتحقيق هدفين: الأول كتابة تلخيص موجز لتأريخ طباعة المصحف في العراق، والثاني تقويم تجربة طباعة المصحف من الناحية العلمية، وليس من الناحية الفنية أو التجارية. عسى أن يكون دافعاً لاستكمال كتابة تأريخ هذا العمل الجليل، وتحقيق أكبر قدر من جوانب الكمال في طباعة المصحف في المستقبل.

وسوف أُمَهِّدُ لذلك بعرض موجز عن تأريخ المصحف في العراق قبل عصر الطباعة، ليكون هذا العمل مكوناً من المباحث الآتية:

المبحث الأول: المصحف في العراق قبل عصر الطباعة.

المبحث الثاني: تأريخ طباعة المصحف في العراق.

المبحث الثالث: تقويم تجربة طباعة المصحف في العراق.

وقد اعترضت إعدادي هذا البحث صعوبة الحصول على الوثائق والمصادر التي تخص تأريخ طباعة المصحف نظراً لقلتها، ولجأت إلى أخذ المعلومات من

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المصاحف المطبوعة، وهي قليلة وغير وافية، ومن بعض المصادر القليلة الأخرى التي تمكَّنت من الاطلاع عليها.

والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المبحث الأول

المُصْحَفُ في العراقِ قبل عَصْرِ الطباعةِ

ظهرتِ المصاحفُ في العراقِ على يد علماء الصحابةِ الذي أقاموا في مدنه، وكان الخليفة الثاني عمر بن الخطاب قد أرسل عبد الله بن مسعود إلى الكوفة، وأبا موسى الأشعري إلى البصرة ليعلما المسلمين هناك قراءة القرآن والفقه، رضي الله عنهم أجمعين[١]. وكان أهل الكوفة يكتبون مصاحفهم على قراءة عبد الله بن مسعود[٢].

ولَمَّا أمرَ الخليفةُ الثالث عثمان بن عفان - رضي الله عنه - بنسخ المصاحف وتوزيعها على الأمصار[٣]، كان للعراق منها مصحفان: واحد للبصرة والآخر للكوفة[٤]. وكان الذي حمل المصحف إلى البصرة لتعليم الناس فيه عامر بن عبد الله بن عبد قيس، والذي حمل المصحف إلى الكوفة أبو عبد الرحمن السلمي[٥]. وكان عامر بن عبد قيس من التابعين الذين تلقنوا القرآن من أبي موسى الأشعري حين قدم البصرة، وكان لعامر مجلس في المسجد يُعَلِّم فيه، ولكن غلب عليه الزهد والعبادة فانقطع عند ذلك[٦]. وأما أبو عبد الرحمن

---

(١) ينظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ٧ و٢/ ٣٥٧.

(٢) ينظر: ابن أبي داود: كتاب المصاحف ص١٣٧.

(٣) ينظر: صحيح البخاري ١/ ٢٢٦.

(٤) ابن أبي داود: كتاب المصاحف ص٣٤.

(٥) المارغني: دليل الحيران ص١٧.

(٦) ينظر: أبو نعيم: حلية الأولياء ٢/ ٩٣-٩٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

السلمي فقد جلس في المسجد الأعظم في الكوفة لتعليم الناس القرآن، ولم يزل يقرىء بها أربعين سنة[1].

وكان للعراق دور كبير في قراءة القرآن الكريم، ويكفي دليلاً على ذلك أن أربعة من القراء السبعة هم من العراق، وهم: عاصم بن أبي النجود، وأبو عمرو بن العلاء، وحمزة بن حبيب الزيات، وعلي بن حمزة الكسائي، وأن ستة من القراء العشرة هم من أهل العراق: الأربعة المذكورون ويعقوب الحضرمي البصري، وخلف بن هشام البزار، وأن تسعة من القراء الأربعة عشر هم من العراق، وهم الستة المذكورون ويحيى بن المبارك اليزيدي، والحسن البصري، وسليمان بن مهران الأعمش[2].

وكان لعلماء العراق في عصر التابعين والعصور اللاحقة عناية بالمصاحف العثمانية كتابة وتدقيقاً ودراسة، وهذا جانب أوسع من أن يُحاطَ به في بحثٍ صغير، ويكفي أن نشير إلى بعض المعالم البارزة في ذلك التأريخ المشرق، حتى يدرك القارىء أن العناية بالمصحف اليوم هي حلقة من حلقات متتابعة، وليست أمراً جديداً.

وكان الحجاج بن يوسف الثقفي والياً على العراق عشرين سنة (٧٥-٩٥هـ)[3]، ولم تَشغله أعباء الإدارة عن الاهتمام بأمر المصاحف، «ولم يكن أحد من الأمراء أشدَّ نظراً في المصاحف منه»[4]. وقد أمر الحجاج بتشكيل لجنتين من علماء العراق الأولى لجنة لتدقيق المصاحف، والثانية لجنة لكتابة المصاحف.

أما لجنة تدقيق المصاحف فقد نقل أخبارها ابن قتيبة، عن شيخه أبي حاتم، عن شيخه الأصمعي (عبد الملك بن قُرَيْب ت٢١٥هـ)، فقال وهو يتحدث عن

---

(١) ابن مجاهد: كتاب السبعة ص٦٨.

(٢) ينظر: القسطلاني: لطائف الإشارات ١/ ٩٣-٩٩.

(٣) ينظر: الزركلي: الأعلام ٢/ ١٦٨.

(٤) الباقلاني: نكت الانتصار ص٣١٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

عاصم الجحدري (ت١٢٨هـ): «وكان الحجاج وَكَلَ عاصماً، وناجية بن رُمْح، وعليَّ بن أَصْمَعَ، بتتبع المصاحف، وأمرهم أن يقطعوا كلَّ مصحف وجدوه مخالفاً لمصحف عثمان، ويعطوا صاحبه ستين درهماً، خَبَّرني بذلك أبو حاتم عن الأصمعي»[١].

وكان الأصمعي مهتماً بهذا الخبر، لأن علي بن أصمع هو جَدُّ أبيه، صرَّح بذلك الحلبي، حيث قال: «وكان علي بن أصمع جدَّ أبي الأصمعي يتولى مَحْوَ المصاحف المخالفة لمصحف عثمان من قِبلِ الحجاج»[٢].

وأما لجنة كتابة المصاحف فقد نقل أخبارها القاضي أبو بكر الباقلاني، وفيها بعض أسماء لجنة تدقيق المصاحف، وهو ما يمكن أن يشير إلى أنهما لجنة واحدة قامت بالعملين، ويبدو أن خبر لجنة كتابة المصاحف منقول عن الإمام مالك بن أنس، فذكر الباقلاني «أن الحجَّاج قَدِمَ العراق، ولم يكن أحد من الأمراء أشدَّ نظراً في المصاحف منه... فبعث الحجاج إلى حفاظ البصرة وخطاطيها، فجمعهم عنده، ثم أُدخل عليه منهم خمسة منهم: أبو العالية ونصر بن عاصم [و]الجحدري وابن أصمع، ومالك بن دينار، وبعث الحجاج فأُتِيَ بمصحف عثمان، وهو عندئذ عند آل عثمان، فقال لهؤلاء الخمسة: اكتبوا المصاحف وأعْرِضُوا... قال الراوي: قلت لمالك: مَن وَلِيَ له العرض؟ قال: عاصم الجحدري. قلتُ: الحسن فيهم؟ قال: كان شيخهم»[٣].

ومما يؤيد رواية الباقلاني ما ذكره السمهوري في كتابه «وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى» عن الإمام مالك أنه قال: «أرسل الحجاج بن يوسف إلى أُمهات القرى بمصاحف، فأرسل إلى المدينة بمصحف كبير منها، وهو أولُ مَنْ أَرْسَلَ بالمصاحف إلى القُرَى»[٤].

---

(١) تأويل مشكل القرآن ص٥١.

(٢) مراتب النحويين ص١٠٥.

(٣) نكت الانتصار ص٣٩٦.

(٤) نقلاً عن صلاح الدين المنجد: دراسات في تاريخ الخط العربي ص٤٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وكان من أشهر خطاطي بغداد الذين كتبوا المصاحف وجوَّدوا الخط ثلاثة، نكتفي بالإشارة إليهم في هذه العجالة، وهم:

١- الوزير أبو علي محمد بن علي بن مقلة (ت٣٢٨هـ)، الذي طَوَّر الخط العربي ونقله إلى أوضاع جديدة، ويعتبر المؤسس الأول لقاعدتي الثُّلث والنَّسْخ، وكتب عدة مصاحف، وكان كثير من عائلة ابن مقلة خطاطين لاسيما أخوه الحسن بن علي (ت٣٣٨هـ)[١].

٢- ابن البوَّاب، أبو الحسن علي بن هلال (ت٤١٣هـ)، البغدادي. وكان ابن البواب ذا ورع ودين، وقد وَعظ بجامع المنصور، ونشأ محباً لفن الخط العربي، فبرع فيه، وهذَّبَ طريقة ابن مقلة، وكساها رونقاً وبهجة. وكان قد كتب أربعة وستين مصحفاً، منها المصحف المشهور اليوم المحفوظ في مكتبة جستربتي بدبلن، الذي جاء في خاتمته «كَتب هذا الجامع علي بن هلال بمدينة السلام، سنة إحدى وتسعين وثلاث مئة»[٢].

٣- ياقوت بن عبد الله المستعصمي (ت٦٩٨هـ) من موالي الخليفة العباسي المستعصم بالله، آخر الخلفاء العباسيين ببغداد، نشأ ياقوت في دار الخلافة ببغداد، وعشق فنون الخط العربي، حتى برع فيه، وبلغ الغاية في حسن الخط وضبط قواعده وأصوله، وفاق ابن البوَّاب في جمال الخط وحسن تنسيقه، وكتب مصاحف عدة، لا يزال عدد منها يزيّن مكتبات العالم[٣].

---

(١) ينظر: ابن النديم: الفهرست ص١٢، ووليد الأعظمي: تراجم خطاطي بغداد المعاصرين ص١١٠، والزركلي: الأعلام ٦/ ٢٧٣، ولهلال ناجي: ابن مقلة خطاطاً وأديباً وإنساناً، مع تحقيق رسالته في الخط والقلم.

(٢) ينظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣/ ٣٤٣، ووليد الأعظمي: تراجم خطاطي بغداد المعاصرين ص١١٥، والزركلي: الأعلام ٥/ ٣٠، وللدكتور سهيل أنور كتاب (الخطاط البغدادي علي هلال).

(٣) ينظر: وليد الأعظمي: تراجم خطاطي بغداد المعاصرين ص١٢٣، والزركلي: الأعلام ٨/ ١٣١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

ولا يقف دور علماء العراق وخطاطيه عند كتابة المصاحف وتجويد خطوطها، وعند إقراء القرآن وتجويد تلاوته، فكانت لهم مشاركة واسعة في بحث كثير من القضايا المتعلقة بالمصحف، والتأليف فيها، ويشمل ذلك علم رسم المصحف، وعلم النقط والشكل، وعلم العدد، وعلم القراءة، وعلم التجويد، ولا يتسع المقام لاستعراض جمهور علماء العراق في خدمة المصحف وعلوم القرآن في هذا البحث.

وتضم مكتبات العراق اليوم عشرات بل مئات المصاحف المخطوطة، من مختلف العصور الإسلامية، وهي جديرة بأبحاث تحصيها وتصفها، فإنها تشكل جزءاً مهماً من جهود أهل العراق في خدمة المصحف الشريف.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المبحث الثاني

تأريخ طباعة المصحف في العراق

يصعبُ على الدارس تتبع تفاصيل تنفيذ مشروع طباعة المصحف في العراق، لعدم تيسر المعلومات المتعلقة بذلك في الوقت الحاضر، وقد لا تكون تلك المعلومات ضرورية الآن، ما دمنا نستطيع الحديث عما أُنجز من ذلك المشروع وظهر للعيان.

ولعل كثيراً من القراء يغيب عنهم أن المصحف طُبِعَ في العراق عن نسختين مخطوطتين من المصحف، وليس عن نسخة واحدة، فالنسخة المشهورة لأصل المصحف المطبوع في العراق هي النسخة التي كتبها الخطاط الحاج حافظ محمد أمين الرشدي، وقد طُبِعَت هذه النسخة طبعات كثيرة، أما النسخة الثانية التي طُبِعَ عليها المصحف في العراق أيضاً فهي النسخة التي كتبها الخطاط الحاج حسن رضا، ويبدو أنها طبعت طباعة واحدة.

أولاً: نسخة الخطاط (الحاج حافظ محمد أمين الرشدي):

تمت الطبعة الأولى من هذا المصحف في بغداد في شهر رمضان من سنة ١٣٧٠هـ، الموافق لشهر تموز من سنة ١٩٥١م. ولم يتيسر لي الاطلاع على الطبعة الأولى منه، ولكن الطبعة الثانية منه في شهر رجب سنة ١٣٨٦هـ الموافق شهر شباط ١٩٦٧ تضمنت نص التعريف بطبعته الأولى، وحافظت الطبعات اللاحقة عليه أيضاً وهذا نصه:

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

«التعريف بهذا المصحف الشريف»

لمَّا استقرت فكرة طبع مصحف لأولِ مرةٍ في العراق اهتدت مديرية الأوقاف العامة إلى نسخة خطية وقع الاتفاق على استنساخها بطريقة التصوير في مطبعة المساحة العامة. وكانت هذه النسخة مهداة من قِبَلِ المغفور لها والدة السلطان (عبد العزيز خان بن السلطان محمود خان) العثماني إلى مرقد الشيخ جُنيد البغدادي (قُدّسَ سِرُّهُ) سنة ١٢٧٨هجرية، ومحفوظة في مكتبة الإمام الأعظم، ومخطوطة بقلم الخطاط (الحاج حافظ محمد أمين الرشدي طيَّب الله ثراه، سنة ست وثلاثين ومئتين بعد الألف هجرية).

وقد أَلَّفتْ مديريةُ الأوقاف العامة لجنة لتدقيق وتنقيح مسودات المصحف قبل الطبع النهائي من الأعضاء الآتية أسماؤهم:

١- الشيخ الحاج نجم الدين الواعظ.

٢- الشيخ الحاج عبد القادر، خطيب الإمام الأعظم.

٣- الشيخ عبد الله الشيخلي، مدرس الخالدية.

٤- الحاج محمود عبد الوهاب، مدير مدرسة النجيبية الدينية المتوسطة.

٥- السيد محمود الهاشمي، مفتش المعابد والمعاهد الدينية.

٦- السيد سعيد محمد ملاحظ مطبعة المساحة.

وقد قام (السيد هاشم محمد الخطاط المعروف بالبغدادي) خطاط مديرية المساحة العامة بتصحيح ما في هذه النسخة الخطية مما مست الحاجة إليه، كعناوين السور وتعديل بعض الآيات والفهارس وغير ذلك.

واتَّبَعَتْ هذه اللجنة في تنقيح وضبط القراءة ما يوافق رواية حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي لقراءة عاصم بن أبي النجود الكوفي التابعي، أحد القراء السبعة المشهورين، عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي،

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

عن عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وزيد بن ثابت وأبي بن كعب - رضي الله عنهم - عن النبي ﷺ.

وأُخِذَ هجاؤه وأجزاؤُه وأحزابه وعناوينُ سوره من مكية ومدنية حسب مصحف الحافظ عثمان المطبوع في الأستانة، أما ترقيم آياته فعلى نهج المصحف المطبوع في القاهرة سنة ١٣٤٢ هجرية، المتبع فيه طريقة الكوفيين، وأما بيان وقوفه وعلاماتها فمما قَرَّرهُ الإمام أبو جعفر بن طيفور السجاوندي - رحمه الله -.

وقد كان الفراغ من طبع هذا المصحف الشريف في غرة شهر رمضان المبارك، سنة سبعين وثلاث مئة بعد الألف من هجرة سيد المرسلين وخاتم النبيين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

تواقيع اللجنة. . . .»[1].

ويتضمن هذا التعريف معلومات أساسية حول المصحف، وسوف أعود لمناقشة ما يتعلق بما اعتمدتْ عليه اللجنة في رسمه وضبطه وعلامات الوقف عليه، في المبحث الثالث، إن شاء الله تعالى.

وهذه الأوصاف العامة للمصحف:

١- عدد صفحاته ٦٦٦ صفحة، وأُلحق بالمصحف (دعاء ختم القرآن) من منتصف الصفحة ٦٦٦ إلى منتصف الصفحة ٦٦٨، ثم التعريف بالمصحف من منتصف الصفحة ٦٦٨ إلى آخر الصفحة ٦٧٠. وفي الصفحة ٦٧١ بيان تعريف المصطلحات. وفي الصفحات ٦٧٢- ٦٧٤ فهرس السور والأجزاء.

٢- في كل صفحة ثلاثة عشر سطراً، وكُتِبَ في أسفل الصفحة اليمنى تعقيبه بأولى الصفحة التالية، كما كُتِبَ في أعلى الصفحة اليمنى اسم السورة، وفي أعلى الصفحة اليسرى رقم الجزء.

---

(١) ينظر: ص٦٦٨-٦٧٠ من المصحف.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

٣- تبدأ السورة بفاتحة تتضمن اسم السورة، ومكان نزولها، وعدد آياتها.

٤- كُتِبَ في جوانب الصفحات مواضِع بدء الأجزاء وأحزابها ومواضع السجدات.

وكان هاشم الخطاط الذي أشرف على الطبعات الأولى من المصحف قد أعاد كتابة عدد من المواضع وأصلح أُخرى، وهذا بيان بما قام به، كما ذكر ذلك الدكتور نوري حمودي القيسي في بحثه (مدرسة الخط العراقية من ابن مقلة إلى هاشم البغدادي)[١]:

١- صمَّم المرحوم هاشم الغلاف، وكتب طُرَّةَ العنوان على الغلاف الخارجي ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨﴾ [الواقعة].

٢- صمَّم الصفحة الأولى وكتب طُرَّتَها ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر]، مع السطر المذكور في أعلى الصفحة ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ۝٩﴾ [الإسراء].

٣- كتب سورة الفاتحة وأول سورة البقرة، مع الختمة وزخرفتها.

٤- صنع زخرفة رؤوس الآيات، مع ترقيمها، وعنوانات السور وزخارفها، وعلامات السجدات، والأحزاب والأجزاء، والزخرفة المحيطة بالصفحات.

٥- كتب دعاء خاتمة القرآن، والتعريف بالمصحف، والتعريف بالمصطلحات، وفهرست أسماء السور، وخاتمة الطبع.

٦- كتابة أسماء السور في أعالي الصفحات، وأسماء الأحزاب في أعالي الصفحات، مع ترقيم الصفحات.

٧- أصلح وأعاد كتابة حروف أو كلمات في المصحف بلغ عدد مواضعها (١٢٢) موضعاً.

---

(١) ينظر: مجلة المورد، مج١٥، ج٤، ص٨٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وذكر الأستاذ سالم عبد الرزاق أحمد في كتابه «هوامش في رحاب المصحف» أن هذا المصحف الكريم طبع خمس طبعات، وهي[1]:

الطبعة الأولى عام ١٣٧٠هـ = ١٩٥١م.

الطبعة الثانية عام ١٣٨٦هـ = ١٩٦٧م.

الطبعة الثالثة عام ١٣٩١هـ = ١٩٧٢م.

الطبعة الرابعة عام ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م.

الطبعة الخامسة عام ١٤٠١هـ = ١٩٨١م.

ثانياً: نسخة الخطَّاط (الحاج حسن رضا):

طُبِعَ هذا المصحف سنة ١٣٩٢هـ الموافق ١٩٧٢م، وجاء في خاتمة المصحف بخط كاتبه الحاج حسن ما نصه: «الحمد لله وَلِيِّ الإتمام... كتَبَهُ أضعفُ العباد وتراب الأقدام الحاج حسن رضا، الإمامُ ومعلمُ الخط في مُوسِيقةِ السلطان... قد وقع الفراغ عن تحرير هذا المصحف الشريف في أواسط رجب المرجب في يوم الأربعاء سنة ثمان وثلاث مئة وألف مِن هجرةِ مَنْ له العز والسعادة والشرف...»[2].

وجاء بعد ذلك التعريف بهذه الطبعة وفيه ما نصه: «التعريف بهذا المصحف الشريف: الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومَن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

وبَعْدُ: دَرَجَ ديوان الأوقاف في العراق على طبع كتاب الله العزيز، ونشره على نطاق واسع في أنحاء العالم الإسلامي، وقد وفَّق الله تبارك وتعالى هذا الديوان

---

(١) ينظر: هوامش في رحاب المصحف ص٤٥-٤٦، وذكر المؤلف أن الطبعة الأولى كانت في بغداد، والطبعات الأخرى كانت في ألمانيا الغربية.

(٢) ينظر ص٦٩١ من المصحف.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

إلى طبع عدد كبير من المصاحف النفيسة المتقنة، وكان بخط المرحوم الخطاط الحاج حافظ محمد أمين الرشدي المتوفى سنة ست وثلاثين ومئتين بعد الألف[1].

وقد استقر الرأي أخيراً على نشر النسخة المهداة إلى خزانة السلطنة الحميدية في استانبول بخط المرحوم الحاج حسن رضا، المتوفى سنة ١٣٣٦هـ، وإننا إذ نقدم هذه الطبعة الجديدة إلى المسلمين نسأله تعالى أن يوفقنا لخدمة كتابه العزيز، ويهدينا سواء السبيل، إنه سميع مجيب»[2].

وجاء في آخر المصحف ما نصه: «خاتمة الطبعة الأولى: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين، وبعد فقد قررت رئاسة ديوان الأوقاف بعون الله وتوفيقه طبع هذا المصحف الشريف للمرة الأولى، واتفقت مع شركة مَرار التجارية على القيام بذلك، وألَّف السيد نافع قاسم رئيس ديوان الأوقاف لجنة من:

الشيخ كمال الدين الطائي.

والشيخ عبد الله الشيخلي.

والشيخ شاكر البدري، من علماء العراق.

والسيد الدكتور محمد رمضان المدرس في كلية الإمام الأعظم.

والسيد عبد الرزاق إسماعيل الفياض معاون رئيس ديوان الأوقاف لتصحيحه ومراجعته على نسخة من الطبعة الثانية للمصحف المطبوع من قبلها، وعلى المصحف بخط الحافظ عثمان.

---

(١) جاء في التعريف بمصحف الرشدي أنه كتبهُ سنة (١٢٣٦هـ)!

(٢) ينظر ص٦٩٢ من المصحف.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وقد وافق تمام طبعه في ١ رجب ١٣٩٢هجرية الموافق ١١ آب سنة ١٩٧٢ ميلادية.

وقد عُهِدَ إلى السيد هاشم محمد الخطاط المعروف بالبغدادي أن يتولى تنظيمه والإشراف على طبعه بهذا الشكل، وقد تم الفراغ من طبعه في شهر رجب المبارك سنة اثنتين وتسعين وثلاث مئة بعد الألف من هجرية سيد المرسلين وخاتم النبيين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم».

ويظهر للناظر في مصحف الحافظ الرشدي وهذا المصحف أن المواضع التي كتبها الخطاط هاشم البغدادي في مصحف الرشدي قد نقلت إلى هذا المصحف، أعني ما كُتِبَ على الغلاف، وسورة الفاتحة، وأول البقرة، وأسماء السور، وأرقام الأجزاء، وأرقام الصفحات، ومواضع السجدات، وفهارس السور والأجزاء، بالإضافة إلى صفحة دعاء ختم القرآن، ونصها مختلف بين المصحفين، وصفحة بيان تعريف المصطلحات.

وليس لديّ ما يشير إلى مقدار ما أصلحه الخطاط هاشم في مصحف الحاج حسن رضا في آيات السور، فقد كان للدكتور نوري حمودي القيسي قد تتبع مخطوطة مصحف الحافظ الرشدي وأشار إلى (١٢٢) موضعاً أصلحها فيه الخطاط هاشم، ولم يتح لي الاطلاع على مخطوطة الحاج حسن رضا للتأكد من ذلك.

والأوصاف العامة لهذا المصحف تتطابق مع أوصاف مصحف الحافظ الرشدي التي ذكرتها من قبل سوى أن عدد صفحاته بلغت (٦٨٩) صفحة، بينما بلغت صفحات مصحف الرشدي (٦٦٦) صفحة، على الرغم من أن عدد سطور الصفحة الواحدة متطابق في المصحفين وهو ثلاثة عشر سطراً.

ولعل السبب في زيادة صفحات مصحف الحاج حسن رضا بمقدار (٢٣) صفحة - هو أن طول السطر المكتوب فيه أقل بقليل من طوله في مصحف الحافظ الرشدي، فهو في مصحف الحاج حسن (٨)سم تقريباً، وهو في مصحف

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

الحافظ الراشدي (٨,٥سم)، هذا بالإضافة إلى ما تسمح به الكتابة اليدوية من اختلاف مدات الحروف وعراقاتها.

وجاء التعريف بمصحف الحافظ الرشدي أكثر تفصيلاً، فقد نَصَّ على كيفية ضبطه، وأصول هجائه، وأجزائه، وترقيمه، وعلامات وقوفه. أما خاتمة طبعة مصحف الحاج حسن فقد جاءت مختصرة، واكتفِيَ فيها بالقول: «لتصحيحه ومراجعته على نسخة من الطبعة الثانية للمصحف المطبوع من قبلها، وعلى المصحف بخط الحافظ عثمان» وهذا الملاحظة تشير إلى أنَّ أُسُسَ مراجعة هذا المصحف هي نفس أسس مراجعة مصحف الحافظ الرشدي.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المبحث الثالث

تقويم تجربة طباعة المصحف في العراق

إن الحديث عن طباعة المصحف في العراق هنا إنما يقصد به طبعات المصحف التي قامت بها الجهات الرسمية في الدولة العراقية متمثلة بوزارة الأوقاف والشؤون الدينية، أما الطبعات التي قامت بها المكتبات التجارية في العراق فيبدو أنها كانت محدودة، وهي غير مقصودة بالكلام في هذا البحث[1].

ويُنْظَرُ إلى أي مصحف مطبوع من ناحيتين:

الأولى: الناحية الفنية، وتشمل نوع الخط وجماليته، وحسن التنسيق والإخراج للمصحف.

والثانية: الناحية العلمية، وتشمل عدة أمور، منها:

١- طريقة رسم الكلمات.

٢- طريقة استخدام علامات الحركات والضبط.

٣- علامات الوقف.

٤- أسماء السور وأرقام الأجزاء والأحزاب.

ولا شك في أن مصحف الأوقاف حاز على أقصى مراتب الإبداع من الناحية

---

(١) اطلعت على طبعة غير مؤرخة من مصحف الخطاط حافظ عثمان نشرتها مطبعة المثنى ببغداد.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

الناحية الأولى، فكانت صفحاته لوحات فنية رائعة، جودة خط وجمال زخرفة، ومتانة تجليد. ويبدو أن نسخة الرشدي كانت أوفر حظاً في ذلك من نسخة الحاج رضا، ومن ثم تتابعت طبعاتها بينما لم نر إلا طبعة واحدة من نسخة الحاج رضا. وليس لديَّ ما أقوله حول هذه الناحية سوى الإعجاب والتقدير.

أما الناحية الثانية التي أسميتها الناحية العلمية فإن فيها مجالاً واسعاً للنظر، وهي الناحية الأكثر أهمية في تقويم أي مصحف مطبوع، لأنها هي التي تتوقف عليها صحة القراءة والمحافظة على النص القرآني في صورته الأولى، وهذا عرض لأهم القضايا المتعلقة بهذه الناحية.

١- طريقة رسم الكلمات:

جاء في التعريف بمصحف الحافظ الرشدي: «وأُخِذَ هجاؤُه... حسب مُصْحَفِ الحافظ عثمان المطبوع في الأستانة». وهذا يقتضينا الحديث عن الحافظ عثمان ومصحفه.

أما الحافظ فهو عثمان بن علي القسطنطيني، أحد خطاطي الترك العثمانيين البارعين، كان أبوه مُؤَذِّناً في أحد جوامع القسطنطينية (استانبول)، وُلِدَ الحافظ عثمان سنة (١٠٥٢هـ)، ونشأ في القسطنينية وتعلَّم بمدارسها، وحفظ القرآن الكريم، فلُقِّبَ لذلك بالحافظ، وأخذ قواعد الخط وأصوله عن الشيخ درويش علي الكاتب الرومي الشهير المتوفى سنة (١٠٨٤هـ)، وكَتَبَ الحافظ عثمان بخطه خمسة وعشرين مصحفاً في غاية الحسن والجمال والإتقان والتنسيق، وتوفي - رحمه الله - في القسطنطينية سنة ١١١٠هـ)[١].

أما مصحف الحافظ عثمان فكان قد اشتهر في العالم الإسلامي شهرة واسعة، وطبع في عواصم إسلامية كثيرة، قال الأستاذ وليد الأعظمي: «وقد طُبِعَ مصحفه مئات الطبعات في مختلف الأقطار الإسلامية، وانتشر في العالم الإسلامي، وفاق

(١) ينظر: محمد الطاهر الكردي: تأريخ الخط العربي وآدابه ص٣٣٩، ووليد الأعظمي: تراجم خطاطي بغداد المعاصرين ص١٢٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

الطبعات السابقة واللاحقة»[1].

ولا عجب حينئذ من اتخاذ مصحف الحافظ عثمان أساساً لتدقيق مصحف الحافظ الرشدي، ما دام قد اشتهر هذه الشهرة وحاز هذه المنزلة!

ولعل القارىء يُفَاجَأُ حين أقول إن هذا الاختيار لمصحف الحافظ عثمان لم يكن موفقاً لسبب واحد هو أن هذا المصحف لم يُلْتَزَمْ فيه بالرسم العثماني الذي أجمع علماء الأمة الإسلامية المتقدمين والمعاصرين على وجوب الالتزام به في كتابة المصاحف.

فعلى الرغم من أن الحافظ عثمان ذكر في خاتمة مصحفه أنه اعتمد على مصحف علي القاري حيث قال في آخر أحد المصاحف التي كتبها: «كَتَبَهُ العبدُ الفقير، إلى رحمة ربه القدير، سَمِيُّ جامعِ القرآن، الشهير بحافظ عثمان... راقماً على ما وافق مصحف الشيخ المعروف بعلي القارىء المكي بين الفحول والأعيان، قد وقع الفراغ في أوائل شهر شعبان، بعناية ربه الديَّانِ في سنة سبعٍ وتسعين وألفٍ، من هجرة مَن له العز والشرف».

وعلى الرغم من أن علياً القاري (ت١٠١٤هـ) كان من علماء رسم المصحف، وله شرح على قصيدة الشاطبي في الرسم المسماة (عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد)[2]، على الرغم من ذلك كله فإن مصحف الحافظ عثمان جاء مخالفاً للرسم العثماني[3]، ويكفي للتمثيل لذلك بما ورد في سورة الفاتحة من إثبات الألف في (العالمين، ومالك، وصراط، والصراط) وهي محذوفة في الرسم العثماني.

وجاء مصحف الحافظ الرشدي مخالفاً للرسم العثماني أيضاً، وهو أمرٌ يبعث على الأسف، لأن مثل هذا العمل العظيم كان يمكن أن يستكمل أهم شروط

---

(١) تراجم خطاطي بغداد المعاصرين ص١٣١.

(٢) ينظر: حاجي خليفة: كشف الظنون ٢/ ١١٥٩.

(٣) لم أتمكن من الاطلاع على مصحف علي القارىء لمقارنته بمصحف حافظ عثمان.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

طباعة المصحف وغير كثير من الجهد، وذلك بتدارك الكلمات المعدودات التي اختص بها الرسم العثماني، ولكن عدم تنبه الخطاط لهذه المسألة، وغفلة اللجنة المشرفة على طباعته عنها فوَّتَ فرصة تلافي هذا النقص[1].

ولعل من المفيد هنا إيراد أقوال العلماء في وجوب الالتزام بالرسم العثماني، وهو رسم الكلمات كما كتبها الصحابة - رضي الله عنهم - في المصاحف التي أمر الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه - بنسخها وتوزيعها على الأمصار الإسلامية:

أ- سُئِلَ الإمام مالك بن أنس (ت١٧٩هـ): هل يُكْتَبُ المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء؟ فقال: لا. إلا على الكتبة الأولى. قال الإمام أبو عمرو الداني: ولا مخالف له في ذلك من علماء الأمة[2].

ب- وقال الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٣٣هـ): تَحْرُمُ مخالفةُ مصحف الإمام في واو، أو ياء، أو ألف، أو غير ذلك[3].

جـ- وقال ابن معاذ الجهني مؤلف كتاب «البديع في معرفة ما رسم في مصحف عثمان»، وهو يتحدث عن رسم المصحف: «أجمع المسلمون بكليتهم على صحته والأخذ به، وجعلوه إماماً يقتدون به، ومَن أراد خلافه منعوه من ذلك»[4].

د- أصدرت لجنة الفتوى بالجامع الأزهر فتوى في سنة ١٣٦٨هـ بعدم جواز طباعة المصحف على قواعد الرسم الكتابي العادي، ووجوب الالتزام بالرسم

---

(١) أخبرني الشيخ عبد الله الشيخلي - رحمه الله - وهو أحد أعضاء اللجنة التي أشرفت على الطبعة الأولى سنة ١٣٧٠هـ، في لقاء لي به في الثمانينات: أن اللجنة لم تكن عارفة بهذا الأمر، وقال: إنه يجب تداركه في الطبعات اللاحقة للمصحف.

(٢) ينظر: المقنع ص٩-١٠.

(٣) ينظر: الزركشي: البرهان ١/ ٣٧٩، والسيوطي: الإتقان ٤/ ١٤٦.

(٤) البديع ص٧٣، طبع دار عمار، الأردن.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

العثماني في طباعة المصحف[1].

وشأن مصحف الحاج حسن رضا شأن مصحف الحافظ الرشدي في عدم التقيد بالرسم العثماني في كتابة كثير من المواضع فيه.

٢- طريقة استخدام علامات الحركات والضبط:

جاء في التعريف بمصحف الحافظ الرشدي: «واتبعت هذه اللجنة في تنقيح وضبط القراءة ما يوافق رواية حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي، لقراءة عاصم بن أبي النجود الكوفي التابعي، أحد القراء السبعة المشهورين».

وهذا كلام صحيح، فالواجب ضبط المصحف بما يوافق إحدى القراءات السبع، وقراءة عاصم هي الطريقة المشهورة في معظم بلدان العالم الإسلامي اليوم، لكن طريقة الضبط لا تخلو من ملاحظات، منها:

أ- مواقع الحركات:

حَقُّ الحركةِ أن توضع فوق الحرف الذي تتبعه أو تحته، لا تتقدم عنه ولا تتأخر، وغلبتِ الناحية الجمالية في وضع الحركات في المصحف على حساب الدقة المطلوبة، فجاءت الحركات في غير مواضعها في كثير من المواضع، مما لا يساعد على القراءة الصحيحة، والأمثلة أكثر من أن تذكر، ويكفي النظر في أي صفحة للعثور على مثال أو أكثر لذلك.

ومصحف الحاج حسن رضا ليس أحسن حالاً في ذلك، وزاد على مصحف الحافظ الرشدي بوضع علامات الرَّقْم، وهي العلامات التي كانت توضع على الحروف المهملة لتمييزها عن الحروف المعجمة، لكن تلك العلامات تُرِكَتْ منذ زمن طويل، فالتزم بوضع حرف صغير تحت العين والحاء والسين والصاد، من جنسها، وقد يهمل ذلك في بعض المواضع، وكذلك التزم بوضع علامة صغيرة فوق حرف الراء تشبه رقم (٧)، وأكْثَرَ من وضعها أيضاً فوق السين، وقد يجمع

(١) ينظر: مجلة الأزهر مج٢٠، عدد شهر صفر سنة ١٣٦٨هـ، ص١٩٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

على السين العلامتين: من فوق ومن تحت! وقد يضع هاء صغيرة فوق هاء الضمير للمفرد.

ومما امتاز به مصحف الحاج حسن رضا على مصحف الحافظ الرشدي أنه استخدم علامتين للسكون: الأولى الدائرة الصغيرة، والثانية رأس الخاء غير منقوطة، فجعل رأس الخاء على حروف المد، خاصة الياء والواو، وجعل الدائرة الصغيرة على بقية الحروف الساكنة، بينما لم يستخدم الحافظ الرشدي سوى الدائرة الصغيرة، وأهمل وضعها فوق حروف المد، وهو أقرب إلى الصواب.

ومما اشترك فيه المصحفان استخدام الألف الصغيرة تحت الحرف بدل الكسرة، وقد تستخدم بدل الفتحة في بعض المواضع.

وامتاز مصحف الحاج حسن رضا بالتفريق بين الشدة وحركتها في مواضع كثيرة، فإذا كانت قد جرت العادة بوضع حركة الكسرة مع الشدة، تحت الحرف، فإن الضمة والفتحة موضعان فوق الشدة عادة، لكنهما جاءتا قبل الشدة أو بعدها في مواضع كثيرة جداً، وحصل ذلك في مصحف الحافظ الرشدي في حالات نادرة.

ويتضح من هذا أن مصحف الحافظ الرشدي أدق في استخدام الحركات قياساً بمصحف الحاج حسن رضا الذي ازدحم بأنواع زائدة من العلامات، مع اشتراكهما في عدم وضع الحركة فوق الحرف في كثير من المواضع.

ب- همزة الوصل وهمزة القطع:

لم يلتزم الخطاط الرشدي طريقة مطردة في همزة الوصل وهمزة القطع، وكذلك الخطاط الحاج حسن رضا، فكانا يضعان رأس الصاد على ألف الوصل (ا) أحياناً، ويحذفانها في أحيان كثيرة، فتلتبس همزة الوصل بهمزة القطع على القارىء غير المتمكن من القراءة.

وكذلك لم يلتزما بوضع رأس العين على ألف القطع في كثير من المواضع،

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وقد يضعان فوق الألف أو تحتها حركة الهمزة فقط. ويزداد الأمر التباساً على القارىء إذا اجتمعت الهمزة مع الألف أو الواو أو الياء، والقاعدة لدى علماء الرسم والضبط «أن الهمزة يُمْتَحَنُ موضعها من الكلمة بالعين، فحيث ما وقعت العين وقعت الهمزة مكانها، وسواء كانت متحركة أو ساكنة، أو لحقها التنوين أو لم يلحقها، فتقول في (ءَامنوا): عامنوا، وفي (وءاتى المال): وعاتى المال... وكذلك ما أشبهه، حيث وقع، فالقياس فيه مطرد»[1].

ففي الآية (١٣) من سورة البقرة رسمت: (اٰمِنُوا - اٰمَن - الامَّن) في مصحف الراشدي، والصواب في رسم الهمزة قبل الألف هكذا (ءَا).

ورُسِمَت في الآية (١٩) من سورة الأنعام كلمة (بَرِيٓءٌ) الهمزة فوق الياء، وفي الآية (٣٧) من سورة التوبة (النَّسِيٓءُ) الهمزة فوق الياء أيضاً، وفي الآية (٣٩) من السورة نفسها (شَيٓءٌ) لهمزة فوق الياء كذلك، في المصحفين، والصواب أن تُرْسَمُ الهمزة بعد الياء على السطر في المواضع الثلاثة.

ورُسِمَت كلمة (رَءُوف) في (١٤٣) من سورة البقرة (لَرَؤُفٌ) وفي الآية (٢٠٧) منها (رَؤُفٌ) وفي الآية (٣٠) من سورة آل عمران (رَؤُفٌ)، الهمزة فوق الواو في المواضع الثلاثة، في المصحفين، والصواب أن تكون الهمزة قبل الواو (رَءُوفٌ)، والأمثلة في ذلك كثيرة جداً في المصحفين.

وقد لجأ الخطاطان في مواضع كثيرة إلى كتابة كلمة (قطع) أو (وصل) تحت الألف، كما كتبا كلمة (قصر) أو (مد) تحت عدد من الألفات، ولا تَحُلُّ هذه الطريقة مشكلة وضع الهمزة في المصحفين، ولو التزما باستخدام علامة الهمزتين لما حدثت هذه المشكلة أصلاً.

جـ- رَسْمُ ما نَقَصَ هجاؤُه:

جاء في الرسم العثماني حذف حروف المد في عدد من الكلمات، خاصة

---

(١) الداني: المقنع ص١٤٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

الألف، ونص علماء الضبط على رسم الحروف المحذوفة من الرسم وهي ثابتة في النطق بحروف صغيرة في مواضعها من الكلمات المحذوفة منها. وحصل اضطراب في المكان الذي وضعت فيه الألف المحذوفة في كلمات كثيرة في مصحف الرشدي خاصة.

من ذلك كلمة (الملٰئكة) جاءت في أكثر المواضع الألف الصغيرة قبل اللام هكذا (الملٰئكة)، ومثلها كلمة (أولٰئك) كتبت الألف الصغيرة قبل اللام أيضاً (أولٰئك)، كذلك كلمة (لٰكن) رسمت هكذا (الكن) [سورة النساء آية ١٥٧ و١٦٦].

وجاءت كلمة (القِيٰمَة) في الآية (١٠٩) من سورة النساء، الألف مرسومة قبل الياء فيها، في المصحفين، وفي مصحف الحافظ عثمان، فتقرأ حينئذ (القايمة) وهي القيامة، ويبدو أن المحافظة على جمال رسم الكلمة جعل الخطاطين الثلاثة يضعون الألف الصغيرة على امتداد الحرف الذي قبل الياء، والأمثلة كثيرة.

٣- علامات الوقف:

جاء في التعريف بمصحف الحافظ الرشدي «وأما بين وقوفه وعلاماتها فمِمَّا قَدَّرَهُ الإمام أبو جعفر بن طيفور السجاوندي رحمه الله».

ومحمد بن طيفور من كبار علماء الوقف في القرآن، له كتابان فيه: كبير وصغير، (ت٥٦٠هـ)[١]، لكنه أكثر من اصطلاحات الوقف، وبلغت في مصحف الحافظ الرشدي حوالي اثني عشر نوعاً، ولم يرتضِ طريقته الإمام ابن الجزري، فقال: «وقد اصطلح الأئمة لأنواع أقسام الوقف والابتداء أسماء، وأكثر في ذلك الشيخ أبو عبد الله محمد بن طيفور السجاوندي، وخرج في مواضع عن حد ما اصطلحه»[٢].

---

(١) ينظر: الزركلي: الأعلام ٦/ ١٧٩.

(٢) النشر ١/ ٢٢٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

والملاحظ أن كُلًّا من الخطاطين الرشدي والحاج حسن قد أكثرا من وضع علامة (لا) في كثير من رؤوس الآيات، والوقف عليها من السُّنَّةِ، وقد تَخفَّفَتْ المصاحف الحديثة من وضعها، وكان قد أكثر من وضعها أيضاً الحافظ عثمان.

وتكرر في مصحفي الأوقاف وضع ياء مردودة (ـــے) عند رأس كل عشر آيات: أعني العقود ١٠ - ٢٠ - ٣٠ إلخ، وكان لهذه العلامة فائدة يوم لم تكن الآيات مرقمة، أما بعد ترقيمها فلا فائدة من وضعها.

٤- فواتح السور وأرقام الآيات والأحزاب والأجزاء:

جاء في آخر التعريف بمصحف الحافظ الرشدي: «أما ترقيم آياته فعلى نهج المصحف المطبوع في القاهرة سنة ١٣٤٢ هجرية، المتبع فيه طريقة الكوفيين».

وقد أحسنت اللجنة المشرفة على طبع مصحف الحافظ الرشدي حين اتخذت من مصحف القاهرة أساساً لترقيم الآيات، وليتها اتخذت منه أساساً لكل الجوانب المتعلقة بعملها، فهذا المصحف أصح المصاحف المطبوعة في العصر الحديث رسماً وضبطاً وترقيماً، كتبه بخطه شيخ المقارىء المصرية العالم محمد بن علي بن خلف الحسيني، المعروف بالحداد (ت١٣٥٧هـ= ١٩٣٩م)[1]. وراجعته لجنة متخصصة تحت إشراف شيخة الجامع الأزهر، وتمت كتابته ومراجعته سنة ١٣٣٧هـ. وظهر في طبعته الأولى سنة ١٣٤٢هـ بالقاهرة.

وانتشر مصحف القاهرة هذا في العالم الإسلامي وحاز شهرة واسعة وأعادت طبعه جهات عديدة، واتخذ منه الخطاط الشامي عثمان طه أساساً لكتابة مصحفه الذي طُبِعَ في دمشق وبيروت طبعات كثيرة، واتخذ أصلاً لطبع مصحف المدينة المنورة أيضاً.

---

(١) ينظر: الزركلي: الأعلام ٦/ ٣٠٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

ولعل هذا الجانب من مصحفي الأوقاف أعني ما يتعلق بفواتح السور وأرقام الآيات ومواضع الأجزاء والأحزاب قد جاء على نحو كامل، مع الدقة وجمال الشكل التي أضفاها عليهما هاشم الخطاط بقلمه.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

خاتمة

إن طباعة المصحف من جلائل الأعمال التي يحق لوزارة الأوقاف والشؤون الدينية أن تعتز بها، ولا شك في أن ما بذلتْ من جهد وأنفقتْ من مالٍ قد صار في خدمة المسلمين الذين قرأوا في مصاحفها، ولا يقلل من قيمةِ ذلك الجهد ما يَرِدُ على مصحف الأوقاف من ملاحظات، فإن كثيراً من المصاحف المطبوعة كانت تعاني من مثل ذلك.

لكنّ مصحفاً يُطْبَعُ في بغداد ينبغي أن يحمل كلَّ ما كان لبغداد من تأريخ في خدمة المصحف الشريف وصيانته، على يدِ علمائها وخطاطيها، ولعل ما ورد في هذا البحث من ملاحظات حول مُصْحَفي الأوقاف، وهي ملاحظات تحتمل التفصيل والتطويل، أمرٌ يدعو إلى إعادة النظر في اتخاذ مصحف الحافظ الرشدي ومصحف الحاج حسن رضا أصلاً لطباعة المصاحف في العراق.

وأحسب أنه من المفيد أن أضع بين يدي المسؤولين في وزارة الأوقاف والشؤون الدينية مقترحاً بالبحث عن أصل جديد للمصاحف التي يمكن أن تقوم بطباعتها الوزارة في المستقبل، على أن تتوفر في ذلك الشروط المطلوبة من النواحي الآتية:

١- رسم الكلمات.

٢- علامات الحركات والضبط.

٣- علامات الوقف.

٤- فواتح السور وأرقام الآيات والأجزاء والأحزاب. ويمكن أن يتحقق ذلك

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

باتخاذ أحد المصاحف المشهورة في العالم الإسلامي، أو بتكليف أحد خطاطي العراق بتحقيق ذلك، تحت إشراف لجنة علمية متخصصة، وهو أمر ليس بالمستحيل ولا الصعب، إن شاء الله. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

الفصل الثالث
أبحاث في إعجاز القرآن الكريم[1]

(١)
مناهج العلماء في دراسة إعجاز القرآن

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله والصلاةُ والسلامُ على رسول الله، وبعد:

فإن القرآن المجيد هو المعجزة العظمى الخالدة التي أيَّدَ الله سبحانه وتعالى بها رسول الله ﷺ فتلاه على الناس من حوله، ودعاهم إلى الإيمان به، فكان تأثيره في النفوس كبيراً، فازداد عدد المؤمنين، بينما ازدادت حيرة المشركين، فزعموا أنه سحر أو شعر، وقالوا: إنه أساطير الأولين، ولو نشاء لقلنا مثل هذا، فتحدَّاهم القرآن إلى أن يأتوا بمثله أو شيء منه، لكنَّهم عجزوا وخُذِلوا.

وقد أفاض العلماء في الكلام عن إعجاز القرآن والبحث في وجوهه، وتعددت آراؤهم في ذلك، فذهب بعضهم إلى أن الإعجاز منحصر في نظم القرآن وبلاغة تعبيره، وذهب بعضهم إلى أن الإعجاز مركوز في معاني القرآن وما تضمنه من

---

(١) منشور في وقائع المؤتمر الأول للإعجاز القرآني، بغداد ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م، ص٤٨٣-٥١٠، وفي مجلة الحكمة، العدد الثامن عشر، صفر ١٤٢٠هـ، ص٤٣٧- ٤٥٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

تشريعٍ وحكمةٍ وبيانٍ لأسرارِ الخَلْقِ وأخبارِ ما مضى وهو آتٍ، وجَمَعَ آخرون بين المذهبين وقالوا: إن الإعجاز كائن في نظم القرآن وفي معانيه معاً، وفَرَّق آخرون بين ما هو من الإعجاز وما هو دليل على صدق الرسول ﷺ مما ورد ذكره في القرآن من أسرار الخلق وذكر المغيَّبات.

وأيّاً كانت جهة الإعجاز في القرآن فإن المؤمنين مقبلون على القرآن تلاوة وحفظاً وتفسيراً وفقهاً، لا يزيدهم تعدد الأقوال في الإعجاز إلا تعلقاً به وإجلالاً له، ما داموا قد آمنوا أنه وحيٌ من الله تعالى، وأنه المعجزة المستمرة الباقية التي تضمنت أصول الدين والشرع القويم.

ولم تزل دراسات الإعجاز القرآني في عصرنا قائمة واتجاهاتها متعددة، وقد وسعت الاكتشافاتُ العلمية الكبيرة في هذا العصر من دائرة البحث في أسرار القرآن للوقوف على آفاقٍ جديدةٍ من وجوه إعجازه. وقد وجدت أنَّ عرض مناهج العلماء والباحثين في دراسة إعجاز القرآن الكريم أمر مفيد إن لم يكن ضرورياً، من أجل ألاَّ تظهرَ تلك الدراساتُ وكأنها تسير في اتجاهات متضادة. ومن أجل أن نكتشف الإطار الكبير للإعجاز القرآني الذي تجد فيه كل دراسة مكانها الذي لا يتعارض مع غيرها من الدراسات.

ومن ثَمَّ فإنني في هذا البحث سوف أقتصر على عرض المناهج، مع التركيز على الاتجاهات العامة في دراسة الإعجاز من غير الخوض في التفصيلات من أجل الوقوف على المنهج الذي يمكن أن يكون أكثر ملاءمة للكشف عن أسرار القرآن وإظهار وجوه إعجازه، وذلك من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول: الإعجاز القرآني في عصر النبوة.

المبحث الثاني: مناهج العلماء في تحديد وجوه الإعجاز.

المبحث الثالث: ملامح المنهج الأمثل.

وأرجو أن أكون بذلك قد أسهمت في خدمة القرآن العظيم، وقدمت شيئاً نافعاً

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

لدارسيه، فإن تحقق ذلك فبفضل الله تعالى، وإن قَصَّرْتُ فعسى ألاَّ أُحْرَم بركة القرآنِ وثوابَ مَنْ أحْسَنَ النيةَ وبَذَلَ الجهدَ، والله ولي التوفيق، هو حسبنا ونعم الوكيل.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المبحث الأول

الإعجاز القرآني في عصر النبوة

الإعجاز مصدر على وزن إفعال من العَجْز. وفِعْلُهُ أَعْجَزَ. والفعل الثلاثي المجرد عَجَزَ يَعْجِزُ، ويقال عَجِزَ أيضاً. وعَجَزَ عن الأمر: إذا قَصَرَ عنه، وأعجزني فلانٌ: إذا عَجَزْتُ عن طلبه وإدراكه، والعَجْزُ: الضعف[1].

والإعجاز في الاصطلاح هو زوال القدرة عن الإتيان بالشيء من عمل أو رأي أو تدبير[2]. والمُعْجِزَةُ أمر خارقٌ للعادة، مقرونٌ بالتحدي سالم عن المعارضة[3]. وسُمِّيَتْ معجزةً لأن البشرَ يعجزون عن الإتيان بمثلها. وأيَّدَ الله نبيَّنا محمداً ﷺ بجملة من المعجزات «وأفضلُ معجزاته وأكملُها وأجلُّها وأعظمها القرآنُ الذي نزل عليه بأفصح اللغات، وأصحها، وأبلغها، وأوضحها، وأثبتها، وأمتنها، بعد أن لم يكن كاتباً ولا شاعراً، ولا قارئاً، ولا عارفاً بطريق الكتابة، و[بعد] استدعاءِ من خطباء العرب العرباء وبلغائهم وفصحائهم أن يأتوا بسورة من مثله، فأعرضوا عن معارضته، عجزاً عن الإتيان بمثله فتبيَّنَ بذلك أن هذه المعجزة أعجزت العالمين عن آخرهم»[4].

ولم يكن مصطلح (الإعجاز) قد تميز في عصر النبوة وإن كان معناه قائماً معروفاً، فقد روى البخاري - رحمه الله - أن النبيَّ ﷺ قال: «ما من الأنبياء نبيٌّ

---

(١) ابن منظور: لسان العرب ٧/ ٢٣٦ عجز.

(٢) الفيروزآبادي: بصائر ذوي التمييز ١/ ٦٥.

(٣) ينظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ١/ ٦٩، والسيوطي: الإتقان ٤/ ٣.

(٤) الفيروزآبادي: بصائر ذوي التمييز ١/ ٦٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

إلاَّ أُعْطِيَ من الآيات ما مِثْلُهُ آمَنَ عليه البشرُ، وإنما كان الذي أُوتيته وحياً أوحاه الله إليَّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»[1].

قال ابن حجر: «أي أن معجزتي التي تحدَّيتُ بها [هي] الوحي الذي أُنزل عليَّ، وهو القرآن، لما اشتمل عليه من الإعجاز الواضح»[2].

وقد جاء في القرآن ما يؤكد أنه أكبر معجزاته ﷺ قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [العنكبوت]، فكان القرآن يثبت المؤمنين، بينما ظل المشركون في حيرتهم يترددون.

وكان المعاندون يُفْزِعهم القرآنُ وهو يُتْلَى على الناس من حولهم فيكون له ذلك التأثير الهائل في نفوسهم حين يتحولون من الكفر إلى الإيمان، فشنُّوا حملةً للتشكيك في القرآن وفي صدق النبي ﷺ، وقد حكى القرآن بعضاً من تخرصاتهم تلك، حيث يقول الله تعالى:

١- ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ ﴾ [سبأ].

٢- ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴿٥﴾ ﴾ [الأنبياء].

٣- ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الصافات].

٤- ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ ﴾ [الفرقان].

٥- ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ

---

(١) ينظر: ابن حجر: فتح الباري ٩/ ٣ و١٣/ ٢٤٧.

(٢) فتح الباري ٩/ ٦، وينظر: السيوطي: الإتقان ٤/ ٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنفال].

ولم تكن أقوال المشركين الباطلة في القرآن الكريم لتوقف سير الدعوة، أو لتُقنع المشركين أنفسهم بصدق دعواهم، فقد كانوا متحيرين في أمرهم، لا تكاد نفوسهم تستقر على شيء حتى تتحول عنه، لكن الله تعالى لم يدع تلك الأقاويل الباطلة لتؤثر في النفوس الضعيفة، فردها عليهم من أبسط طريق، حين تحداهم بالقرآن أن يأتوا بمثله أو بعشر سور، أو بسورة واحدة، فقال الله تعالى:

١- ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة].

٢- ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [يونس].

٣- ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ [هود].

٤- ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الطور].

ويُستخلص من هذه الآيات الكريمة أمران: الأول: التحدي إلى القرآن، وهو تَحَدٍّ قائمٌ طوال حياة رسول الله ﷺ.

والثاني: أن المشركين عجزوا عن الإتيان بمثله أو مثل بعضه وهو عجز يدل عليه النقل المتواتر الذي يقع به العلم الضروري، فلا يمكن جحود واحد من هذين الأمرين[1].

والذي يدل على أنهم كانوا عاجزين عن الإتيان بمثل القرآن أنه تحداهم إليه

(١) الباقلاني: إعجاز القرآن ١٨، والزركشي: البرهان ٢/ ٩١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

حتى طال التحدي، وجعله دلالة على صدقه ﷺ ونبوته، وضمَّن أحكامه استباحة دمائهم وأموالهم وسبي ذريتهم، فلو كانوا يقدرون على تكذيبه لفعلوا وتوصلوا إلى تخليص أنفسهم وأهليهم من حكمه بأمر قريب، هو عادتهم في لسانهم ومألوف من خطابهم، وكان ذلك يغنيهم عن تكلف القتال، وإكثار المِراء والجدال، وعن الجلاء عن الأوطان، وعن تسليم الأهل والذرية للسبي، فلما لم تحصل هناك معارضة منهم عُلِمَ أنهم عاجزون عنها[1].

كان عجز المشركين من العرب عن معارضة القرآن - إذن - حقيقة لا جدال حولها، وكان عجز غير العرب عن ذلك أوضح، لأن العرب - وهم المتكلمون باللغة المنزل بها - عجزوا عن ذلك مع توفر الدواعي وشدة الحاجة[2]. وصدق الله العظيم إذ قال: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء].

ثم مضت سنوات كثيرة وجاء عصر تدوين العلوم الإسلامية، وبَحَثَ العلماء شتى المسائل المتعلقة بنص القرآن وتاريخه، ونالت مباحث إعجاز القرآن قسطاً ليس بالقليل من جهودهم، وكُتِبَتْ في ذلك فصول وكتب مستقلة في البحث عن سر الإعجاز وبيان وجوهه وتوضيحها، وسنقف على مناهج العلماء في ذلك المبحث الآتي. إن شاء الله.

---

(١) الباقلاني: إعجاز القرآن ٢٠، وينظر: الخطابي: بيان إعجاز القرآن ٢١.

(٢) ينظر الطبري: جامع البيان ١/ ١٦٥، والرماني: النكت ١١٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المبحث الثاني

مناهج العلماء في دراسة الإعجاز

إن ما كُتِبَ في بيان وجوه إعجاز القرآن لا يستوعبه كتاب، بل تقصر عنه المجلدات، وليس من غرضنا هنا الدخول في تلك التفصيلات، وإنما القصد متجه إلى الوقوف على طريقة المؤلفين في تجديد وجوه الإعجاز، للتعرف على الاتجاهات والموازنة بينها وتحديد أقربها إلى طبيعة الموضوع وحاجة العصر. وسوف أقتصر في العرض على أشهر المؤلفين في الإعجاز وعلى أشهر المناهج فيه، لأن تقصي ذلك كله أمر خارج عن حدود هذا البحث.

١- تكاد كلمة العلماء تتفق على أن الجاحظ (أبا عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٥هـ) هو أول من درس موضوع الإعجاز في كتاب مستقل، حيث يذكر له المؤرخون كتاب «نظم القرآن»[١]، والظاهر أن الجاحظ يذهب إلى أن إعجاز القرآن كائن في نظمه وتأليفه وهو يرد في ذلك على شيخه إبراهيم بن سيّار النظّام (ت٢٢٤هـ) الذي ذهب إلى أن الإعجاز كائن في أن الله تعالى صرف العرب عن معارضته. ولولا ذلك لكان في مقدورهم الإتيان بمثله، ويسمى هذا المذهب بالصَّرْفَةِ. وهو قول أنكره جمهور العلماء وردُّوه[٢].

---

(١) حاجي خليفة: كشف الظنون ٢/ ١٩٦٤، والبغدادي: هدية العارفين ١/ ٨٠٣، وذكره الباقلاني في كتابه «إعجاز القرآن» (ص٦ و٢٤٨) ولمحمد بن يزيد الواسطي (ت٣٠٦هـ) كتاب إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه (ابن النديم: الفهرست ٢٢٠).

(٢) ينظر: الخطابي: إعجاز القرآن ص٢٢، والباقلاني: إعجاز القرآن ٢٩، والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن ١/ ٧٥، والزركشي: البرهان ٢/ ٩٣، وأبو زهرة: المعجزة الكبرى=

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

٢- ومن أقدم الكتب التي عالجت الموضوع كتاب «بيان إعجاز القرآن» لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي (ت٣٨٨هـ)، الذي استهله بقوله: «قد أكثر الناس الكلام في هذا الباب قديماً وحديثاً، وذهبوا فيه كل مذهب من القول»[١].

ثم عرض الخطابي ثلاثاً من تلك المذاهب، لكنه لا يوافق القائلين بها، وهي[٢]:

أ- ذهب قوم إلى أن العلة في إعجازه الصرفة. وهو ينكر ذلك.

ب- وزعمت طائفة أن إعجازه إنما هو فيما يتضمنه من الإخبار عن الكوائن في مستقبل الزمان، وهو يقول: ولا يُشَكُّ في أن هذا وما أشبهه من أخبار نوع من أنواع إعجازه، ولكنه ليس بالأمر العام الموجود في كل سورة من سور القرآن، وقد جعل سبحانه في صفة كل سورة أن تكون معجزة بنفسها.

جـ- وزعم آخرون أن إعجازه من جهة بلاغته، وهم الأكثرون من علماء أهل النظر، لكنه يأخذ عليهم أنهم إذا سُئِلوا عن تحديد هذه البلاغة لم يتمكنوا وقالوا: إن ذلك شيء لا يمكن تصويره وأنه يظهر أثره في النفس حتى لا يلتبس على ذوي العلم والمعرفة به.

ويتلخص رأي الخطابي في إعجاز القرآن بقوله: «واعلم أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ، في أحسن نظوم التأليف، مُضَمَّناً أصحَّ المعاني...»[٣]. والتفت إلى الأثر الذي يتركه سماع القرآن الكريم في النفس، وجعله أحد وجوه الإعجاز، ولتميزه في ذكر هذا الوجه أنقلُ نص كلامه، قال: «في إعجاز القرآن وجه آخر ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من

= ٧٥.

(١) بيان إعجاز القرآن ٢١.

(٢) المصدر نفسه ٢٢-٢٤.

(٣) المصدر نفسه ٢٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منثوراً، إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في الحال، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس، وتنشرح له الصدور، حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها الوجيب والقلق، وتَغشَّاها الخوف والفَرق، تقشعر منه الجلود، وتنزعج له القلوب، يحول بين النفس وبين مُضمراتها وعقائدها الراسخة فيها، فكم من عدو للرسول ﷺ من رجال العرب وفُتَّاكها أقبلوا يريدون اغتياله وقتله فسمعوا آيات من القرآن، فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم الأول، وأن يركنوا إلى مسالمته، ويدخلوا في دينه، وصارت عداوتهم موالاة، وكفرهم إيماناً. . .)[1].

٣- وألَّف أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (ت٣٨٦هـ) كتاب «النُّكت في إعجاز القرآن»، وقال في أوله: «وجوه إعجاز القرآن تظهر من سبع جهات: ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة، والتحدي للكافة، والصَّرفة، والبلاغة، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة، ونقض العادة، وقياسه بكل معجزة»[2]. ثم بيَّن تلك الوجوه، وقد استغرق حديثه عن البلاغة وأقسامها معظم الكتاب[3].

٤- وفصَّل أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت٤٠٣هـ) وجوه الإعجاز في كتابه «إعجاز القرآن»، وذكرها ملخصة في كتابه «الانتصار لنقل القرآن»، وهي عنده ثلاثة أوجه:

أحدها: ما تضمنه من الإخبار عن الغيوب، وما يحدث وما يكون، وذلك مما لا يقدر عليه البشر، ولا سبيل لهم إليه.

---

(١) المصدر نفسه ٧٠.

(٢) النكت ٧٥.

(٣) النكت ٧٥-١٠٩، وبقية الوجوه ١٠٩-١١١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

والوجه الثاني: ما تضمنه من قصص الأولين، وأخبار الماضين التي لا يعرفها إلا مَنْ أَكثرَ ملاقاة الأمم، ودراسة الكتب، مع العلم بأن النبي ﷺ كان أُمياً، ولم يكن يعرف شيئاً من كتب المتقدمين وأقاصيصهم وأنبائهم وسيرهم.

والوجه الثالث: أنه بديع النظم، وعجيب التأليف، مُتَنَاهٍ في البلاغة إلى الحد الذي يُعلَمُ عجزُ الخلق عنه[1].

٥- وممن اعتنى بإعجاز القرآن أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت٤٧١هـ)، وكتب في ذلك (الرسالة الشافية) التي ضمنها جُمَلاً من «القول في بيان عجز العرب حين تُحُدُّوا إلى معارضة القرآن، وإذعانهم وعلمهم أن الذي سمعوه فائت للقوى البشرية ومتجاوز للذي يتسع له ذرع المخلوقين...»[2]. وهذه الرسالة كتبها عبد القاهر ليثبت حقيقة الإعجاز لا ليبين أسراره، أما تفصيل القول في أسرار الإعجاز فقد جاء في كتابه «دلائل الإعجاز». وتتلخص فكرته عن الإعجاز الذي ألَّف الكتاب لتأكيدها في قوله: «فإذا بطل أن يكون الوصف الذي أعجزهم من القرآن في شيء مما عدَّدناه، لم يبق إلا أن يكون في (النظم) لأنه ليس من بعد ما أبطلناه أن يكون فيه إلا (النظم) و(الاستعارة). ولا يمكن أن تجعل (الاستعارة) الأصل في الإعجاز وأن يُقْصَر عليها، لأن ذلك يؤدي إلى أن يكون الإعجاز في آيٍ معدودة في مواضع من السور الطوال مخصوصة، وإذا امتنع ذلك فيها، ثبت أن (النظم) مكانه الذي ينبغي أن يكون فيه... وكنا قد قلنا أن ليس (النظم) شيئاً غير توخِّي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم»[3].

٦- وبحث القاضي عياض بن موسى (ت٥٤٤هـ) الإعجاز في كتاب «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» وحدد وجوه الإعجاز في أربعة[4]

---

(١) إعجاز القرآن ٣٣-٣٥، ونكت الانتصار ٥٨ و٢٤٢.

(٢) الرسالة الشافية ١١٧.

(٣) دلائل الإعجاز ٣٩١.

(٤) الشفا ١/ ٤٩١ و٥١١ و٥٢٢، وينظر: السيوطي: الإتقان ٤/ ٦

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

أولها: حسن تأليفه، والتئام كلمه، وفصاحته، وبلاغته الخارقة عادة العرب.

والثاني: صورة نظمه العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب. وكلا الوجهين يؤول إلى الناحية البيانية في القرآن[1].

والثالث: ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات، وما لم يكن ولم يقع فوُجِدَ كما ورد على الوجه الذي أخبر.

والرابع: ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة.

وأضاف إليها وجوها أخرى، أهمها[2]:

أ- ما ورد من تعجيز قوم في قضايا، فما فعلوا.

ب- الروعة التي تلحق قلوب سامعيه والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته.

جـ- كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا، مع تكفل الله تعالى بحفظه.

د- أن قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه.

هـ- جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب عامة ولا محمد ﷺ قبل نبوته خاصة بمعرفتها ولا القيام بها.

٧- ويقرر علم الدين علي بن محمد السخاوي (ت٦٤٣هـ) أن إعجاز القرآن من قبل أنه خارج في بديع نظمه وغرابة أساليبه عن معهود كلام البشر، مختص بنمط غريب، لا يشبه شيئاً من القول في الرصف والترتيب. لا هو من قبيل الشعر، ولا من ضروب الخطب والسجع، يعلمُ مَن تأمله أنه خارج عن المألوف، مباين للمعروف، متناسب في البلاغة، متشابه في البراعة، بريء من التكلف، منزه عن التصنع والتعسف.

---

(١) أبو زهرة المعجزة الكبرى ٨٧.

(٢) الشفا ١/ ٥٢٦ و٥٢٩ و٥٣٣ و٥٣٥ و٥٣٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

أما ما تضمنه القرآن العزيز من الإخبار عن المغيَّب وما أتى به من أخبار القرون الماضية والأمم الخالية، وبما كان من أول خلق الأرض والسماء إلى انقضاء الدنيا، فذلك - في رأيه - ليس مما تحداهم به، ولكنه دليل على صدق الرسول ﷺ[1].

٨- وجعل أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت٦٨٤هـ) وجوه إعجاز القرآن الكريم عشرة، منها ما يتعلق بنظمه وتأليفه، ومنها ما لم يتعلق بمعانيه وأحكامه، وقد استطلت ذكرها[2].

٩- وذكر بدر الدين الزركشي (ت٧٩٤هـ) اثني عشر وجهاً من وجوه الإعجاز[3]. وهي لا تخرج عما ذكره السابقون له.

١٠- ولخص جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) جهود العلماء السابقين له في موضوع إعجاز القرآن في باب من أبواب كتابه الكبير «الإتقان في علوم القرآن»[4]، كما أنه ألَّف كتاباً حافلاً في الموضوع سماه «معترك الأقران في إعجاز القرآن» جاء في ثلاثة أجزاء كبيرة، وذكر أن بعض العلماء أنهى وجوه إعجازه إلى ثمانين[5]. وبلغ ما ذكره هو خمسة وثلاثين وجهاً، استغرق الوجه الأخير من وجوه إعجازه أكثر من ثلثي الكتاب وهو في (ألفاظ القرآن المشتركة) وقال في أول كلامه عنه: «وهذا الوجه من أعظم إعجازه، حيث كانت الكلمة الواحدة تتصرف إلى عشرين وجهاً، وأكثر وأقل، ولا يوجد ذلك في كلام البشر»[6]. وكثير مما ذكره السيوطي لا يدخل في موضوع الإعجاز وقد أشار هو نفسه إلى ذلك بقوله: «وإن كانت بعض الأوجه لا تُعَدُّ من إعجازه، فإنما ذكرتها للاطلاع

---

(١) جمال القراء ١/ ٤٤.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٧٣.

(٣) البرهان ٢/ ١٠٦.

(٤) الإتقان ٤/ ٣-٢٣.

(٥) معترك الأقران ١/ ٣.

(٦) المصدر نفسه ١/ ٥١٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

على بعض معانيه، فَيَثْلَج له صدرك وتبتهج نفسك»[1].

☆ ☆ ☆

ولم يكن المحدثون أقل عناية ببحث وجوه إعجاز القرآن من السابقين. فألفوا في ذلك الكتب وعقدوا الفصول، وسأقتصر هنا على ذكر الاتجاهات البارزة لديهم في معالجة الموضوع، دون الخوض في التفصيلات، وهي:

الاتجاه الأول: يقدِّم عدداً كبيراً من وجوه الإعجاز، وقد أوصلها الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني إلى أربعة عشر وجهاً هذه عناوينها[2]:

الوجه الأول: لغته وأسلوبه.

الوجه الثاني: طريقة تأليفه.

الوجه الثالث: علومه ومعارفه.

الوجه الرابع: وفاؤه بحاجات البشر.

الوجه الخامس: موقف القرآن الكريم من العلوم الكونية.

الوجه السادس: سياسته في الإصلاح.

الوجه السابع: أنباء الغيب فيه.

الوجه الثامن: آيات العتاب.

الوجه التاسع: ما نزل بعد طول انتظار.

الوجه العاشر: مظهر النبي ﷺ عند هبوط الوحي عليه.

---

(١) المصدر نفسه ١/ ١٢.

(٢) مناهل العرفان ٢/ ٢٢٨-٣٠٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

الوجه الحادي عشر: آية المباهلة.

الوجه الثاني عشر: عجز الرسول عن الإتيان ببدل له.

الوجه الثالث عشر: الآيات التي تُجرِّد الرسول من نسبته إليه.

الوجه الرابع عشر: تأثير القرآن ونجاحه.

الاتجاه الثاني: يجعل الإعجاز منقسماً على ثلاث نواح هي[1]:

١- الإعجاز اللغوي (البياني).

٢- الإعجاز العلمي.

٣- الإعجاز التشريعي (أو الاصطلاحي التهذيبي الاجتماعي).

الاتجاه الثالث: يَقْصُرُ الإعجاز على الجانب البياني من القرآن فهو «كائن في رصف القرآن وبيان نظمه، ومباينة خصائصه للمعهود من خصائص كل نظم وبيان في لغة العرب» ثم «إن ما في القرآن من مكنون الغيب ومن دقائق التشريع ومن عجائب آيات الله في خلقه، كل ذلك بمعزل عن هذا التحدي المفضي إلى الإعجاز، وإن كان ما فيه من ذلك كله يُعَدُّ دليلاً على أنه من عند الله تعالى...»[2].

الاتجاه الرابع: يَقْصُرُ الإعجاز على ما في القرآن من معان سامية وتشريع حكيم، فإعجازه «في رسالته العليا النافعة للناس كافة... هذه الرسالة لو نقلت بأمانة إلى أي لغة من لغات العالم لكان لها في ناطقيها وَقْعٌ مثل وقعها في العربية... ولو كان إعجاز القرآن في فصاحته وبلاغته في العربية فحسب كيف

---

(١) ينظر محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم ٧٩، ومناع القطان: مباحث في علوم القرآن ٢٦٤.

(٢) محمود محمد شاكر: فصل في إعجاز القرآن (وهو تقديم لكتاب الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي) ص٢٤-٢٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

آمن غير العرب به؟ فالقرآن معجزة لما في رسالته من تعليمات عليا، وإرشادات وغايات نبيلة، وأغراض شريفة، وأهداف قيمة، تزيد الإيمان وتحث المؤمنين على الأعمال الصالحة ومكارم الأخلاق»[1].

(١) عبد الرحمن الطاهر بن محمد السورتي: مقدمة تحقيق تفسير مجاهد ص١٢-١٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المبحث الثالث

ملامح المنهج الأمثل

إن كثرة الوجوه التي ذكرها العلماء في بيان الإعجاز تساعد قرَّاء القرآن في كثير من الأحيان في الوقوف على جوانب من أسراره، كما أنها قد تكون سبباً في حجب تلك الأسرار الباهرة، وذلك حين يقف المرء على بعض الأقوال المتعارضة في تحديد وجوه الإعجاز، وقد جعل ذلك السيوطي يقول: «وقد خاض الناس في ذلك كثيراً، فبين مُحْسِنٍ ومُسِيءٍ»[1].

ونحن نعتقد أن كثرة تلك الوجوه وتباينها في بعض الأحيان لا تغير من حقيقة إعجاز القرآن، وإنما هي تعكس تفاوت العلماء في إدراك ذلك الإعجاز، وقد أخبر كل واحد منهم بما عرف، لأن أمر القرآن عجيب «يراه الأديب معجزاً، ويراه اللغوي معجزاً، ويراه أرباب القانون والتشريع معجزاً، ويراه علماء الاقتصاد معجزاً، ويراه المربون معجزاً، ويراه علماء النفس والمعنيون بالدراسات النفسية معجزاً، ويراه علماء الاجتماع معجزاً، ويراه المصلحون معجزاً، ويراه كل راسخ في علمه معجزاً»[2].

ونحن نعتقد أيضاً أن تلك الوجوه يمكن أن تُسلك في منهج يزيل ما قد يبدو بينها من تعارض، ويكون كل وجه كاشفاً عن جانب من أسرار القرآن، أو مقدِّماً الدليل على صدق الرسول ﷺ في ما أخبر به من أنه يَتَلَقَّى القرآن من لدن حكيم عليم. وتتلخص ملامح هذا المنهج في أمرين:

---

(١) الإتقان ٤/ ٦.

(٢) فاضل صالح السامرائي: التعبير القرآني ٢٠، طبع دار عمار، الأردن.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

الأول: تحديد الوجه الذي أعجز العرب عن الإتيان بمثل القرآن أو معارضته، في عصر النبوة.

الثاني: تحديد ما جاء في القرآن من الأمور التي تدل على أنه لا يمكن أن يكون من عند أحد سوى الله تعالى.

وهذا المنهج في دراسة إعجاز القرآن ليس من وضعنا، فقد أشار إليه بعض العلماء السابقين، كما ذكره عدد من المحدثين، ولكنا نريد أن نقف عنده، ونوضح جوانبه، ونؤكد عليه، لأنه هو المنهج المناسب في اعتقادنا لدراسة إعجاز القرآن على نحو مؤثر ومفيد، وإليكم البيان:

١- كان علم الدين السخاوي (ت٦٤٣هـ) أو عالم يَفْرِقُ بين الأمرين السابقين في دراسة الإعجاز، فيما اطلعت عليه، وقد ألمحتُ إلى رأيه من قبل، ونقف عنده هنا، لأهمية الفكرة التي عرضها في الموضوع، يقول في مطلع الباب الذي عقده عن الإعجاز في كتابه الكبير «جمال القراء وكمال الإقراء»: «لا ريب في عجز البلغاء وقصور الفصحاء عن معارضة القرآن العظيم، وعن الإتيان بسورة من مثله في حديث الزمان والقديم، وذلك ظاهر مكشوف ومتيقن معروف، لا سيما القوم الذين تحداهم رسول الله ﷺ، فإنهم كانوا ذوي حرص على تكذيبه والرد عليه، وحالهم معه معروفة في معاداته ومعاندته، وإظهار بغضه وأذاه، وقذفه بالجنون والشعر والسحر، فكيف يَتْرك مَن هذه حاله معارضته وهو قادر عليها... فلا ريب في أنهم راموا ذلك فما أطاقوه، وجاولوه فما استطاعوا، وأنهم رأوا نظماً عجيباً خارجاً عن أساليب كلامهم، ورصفاً بديعاً مبايناً لقوانين بلاغتهم ونظامهم، فأيقنوا بالقصور عن معارضته، واستشعروا العجز عن مقابلته وهذا هو الوجه في إعجاز القرآن.

«وأما ما تضمنه القرآن العزيز من الإخبار عن المغيَّب، فليس ذلك مما تحداهم به، ولكنه دليل على صدق الرسول ﷺ في كونه أمِّيّاً لا معرفةَ له ولا يحسن أن يقرأ، ولا وقف على شيء من أخبار الأمم السالفة، حتى إنه لا يقول

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

الشعر، ولا ينظر في الكتب، ثم إنه قد أتى بأخبار القرون الماضية والأمم الخالية، وبما كان من أول خلق الأرض والسماء إلى انقضاء الدنيا، وهم يعلمون ذلك من حاله، ولا يشكون فيه، فهذه الحال دليل قاطع بصدقه ﷺ.

«ولكن إعجاز القرآن مِن قِبَلِ أنه خارجٌ في بديع نظمه وغرابة أساليبه عن معهود كلام البشر، مختصٌّ بنمط غريب، لا يشبه شيئاً من القول في الرصف والترتيب، لا هو من قبيل الشعر، ولا من ضروب الخطب والسجع، يعلم من تأمله أنه خارج عن المألوف مباين للمعروف متناسب في البلاغة، متشابه في البراعة، بريء من التكلف، منزه عن التصنع والتعسف»[1].

وقد أكد علم الدين هذا المعنى في موضع آخر حيث قال: «فإن قيل: فهل في إقامته البراهين، وإيراد الدلائل على الوحدانية بذكر السماوات والأرض وتصريف الرياح والسحاب، وبأنه لو كان فيهما إله آخر لفسدتا، وعلى البعث بإنزال الماء وإحياء الأرض بعد موتها، وبالنشأة الأولى إلى غير ذلك - إعجاز؟ قلت: الإعجاز من جهة إيراد هذه الحجج في الأساليب العجيبة والبلاغة الفائقة، فهو راجع إلى ما قدمناه من نظم القرآن وإعجازه، وأما كونها براهين قاطعة، فهو دليل على صدق النبي ﷺ...»[2].

٢- وتحدث الأستاذ محمود محمد شاكر عن ذلك أيضاً، في (فصل في إعجاز القرآن) وهو تقديم لكتاب «الظاهرة القرآنية»، فقال: «ولا مناص لمتكلم في (إعجاز القرآن) من أن يتبين حقيقتين عظيمتين... وأن يفصل بينهما فصلاً ظاهراً لا يلتبس، وأن يميز أوضح التمييز بين الوجوه المشتركة التي تكون بينهما.

أولاهما: أن (إعجاز القرآن) كما يدل عليه لفظه وتاريخه... إنما هو تحدٍّ بلفظ القرآن ونظمه وبيانه لا بشيء خارج عن ذلك، فما هو بتحدٍّ بالإخبار بالغيب المكنون، ولا بالغيب الذي يأتي تصديقه بعد دهر من تنزيله، ولا بعلم ما لا

---

(١) جمال القراء ١/ ٤٣-٤٤.

(٢) المصدر نفسه ١/ ٤٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

يدركه علم المخاطبين به من العرب، ولا بشيء من المعاني مما لا يتصل بالنظم والبيان.

ثانيهما: أن إثبات دليل النبوة، وتصديق دليل الوحي، وأن القرآن من عند الله... لا يكون شيء منها يدل على أن القرآن معجز، ولا أظن أن قائلاً يستطيع أن يقول إن التوراة والإنجيل والزبور كتب معجزة، بالمعنى المعروف في شأن إعجاز القرآن، من أجل أنها كتب منزَّلة من عند الله، ومن البيِّن أن العرب قد طُولِبُوا بأن يعرفوا دليل نبوة رسول الله ﷺ، ودليل صدق الوحي الذي يأتيه، بمجرد سماع القرآن نفسه، لا بما يجادلهم به... فالقرآن المعجز هو البرهان القاطع على صحة النبوة، أما صحة النبوة فليست برهاناً على إعجاز القرآن.

«والخلط بين هاتين الحقيقتين، وإهمال الفصل بينهما في التطبيق والنظر وفي دراسة (إعجاز القرآن) قد أفضى إلى تخليط شديد في الدراسة قديماً وحديثاً...»[1].

وبناء على هذا فقد ذهب الأستاذ محمود شاكر إلى: «أن الإعجاز كائن في رصف القرآن وبيانه ونظمه... وأن ما في القرآن من مكنون الغيب، ومن دقاق التشريع ومن عجائب آيات الله في خلقه، كل ذلك بمعزل عن هذا التحدي المفضي إلى الإعجاز، وإن كان ما فيه من ذلك كله يعد دليلاً على أنه من عند الله تعالى...»[2].

٣- واتخذ الشيخ محمد أبو زهرة في فهم الإعجاز موقفاً مقارباً لذلك، حيث قال وهو يعلق على الوجوه الكثيرة التي يذكرها الدارسون في بيان إعجاز القرآن: «إن بعض هذه الوجوه تحدَّى بها القرآن الكريم... والوجوه الأخرى لم يتحد بها القرآن الكريم، وإن كانت من عند الله تعالى العليم الحكيم، مثل إخباره عن أمور مغيبة في المستقبل، ثم وقوعها كما أخبر الله سبحانه وتعالى في كتابه،

---

(١) فصل في إعجاز القرآن ص١٧-١٨.

(٢) المصدر نفسه ص٢٤-٢٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وإخباره عن الأمم السابقة... فذكرُ هذا في القرآن الذي نزل على أُمِّي لا يقرأ ولا يكتب، ولم يجلس إلى معلم، دليل على أنه من عند الله سبحانه وتعالى... فكان التحدي للعرب ابتداء بالمنهج البياني للقرآن...»[1].

ثم يقول الشيخ أبو زهرة: «وعلى ذلك نقسم وجوه الإعجاز التي اشتمل عليها القرآن إلى قسمين:

أولهما: ما يتعلق بالمنهاج البياني، وهذا النوع من الإعجاز أول من يخاطب به العرب.

القسم الثاني: الإعجاز بما اشتمل عليه من ذكر لأخبار السابقين، ولأخبار مستقبلة، وقعت كما ذكر، واشتماله على علوم كونية وحقائق لم تكن معروفة في عصر محمد ﷺ وقد أتى بها القرآن وتقررت حقائقها من بعد، وكذلك ما اشتمل عليه من شرائع أثبت الوجود الإنساني أنها أصلح من غيرها وأنها وحدها العادلة، وأن هذا النوع معجزة للأجيال كلها»[2].

يمكن أن نقرر من خلال العرض السابق الأمور الآتية:

أولاً: إن إعجاز القرآن تحقق في ذات الوقت الذي كان رسول الله ﷺ يتلو فيه القرآن على من حوله من العرب، ويدعوهم إلى الإيمان به، وأن القرآن حين تحدَّى المشركين إلى الإتيان بمثله فإنه ما كان قد اكتمل نزوله، لكنهم عجزوا، ولجأوا بدلاً عنه إلى القتال وما جَرَّ ذلك عليهم من الويلات، وهذا يقتضي أن الإعجاز كائن في كل سورة منه، مهما كان موضوعها، وتتفق كلمة الدارسين على أن الذي أدهش العرب وأعجزهم حين سمعوا تلاوة القرآن إنما هو نظمه وطريقة تعبيره، وقد دلت الشواهد التاريخية على أن العربي من عُتاةِ المشركين كان إذا سمع القرآن رَقَّ له وربما آمن، كما حصل لعمر بن الخطاب - رضي الله

(١) المعجزة الكبرى ص٩٠-٩١.

(٢) المصدر نفسه ٩٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

عنه -[1] أو أعرض وفي نفسه الحيرة من أمره، كما وقع للوليد بن المغيرة[2]، وعتبة بن ربيعة[3]، وغيرهما[4].

ثانياً: إن ما جاء في القرآن من الإخبار بالمغيبات والأمور المستقبلية التي تحققت فيما بعد، وقصص الأمم الماضية، وما جاء فيه من ذكر أسرار الكون وبديع الصنع في الخلائق، لم يكن من وجوه الإعجاز الظاهرة التي أعجزت العرب في عصر النبوة، وذلك لأن وقوف الناس على ما في هذه المعاني من الحكمة الباهرة التي يعجز عنها البشر كان متراخياً عن زمن التحدي، و«لا يصح أن يكون شاهد المعجزة متراخياً في الزمن عنها، واقعاً في أعقابها»[5] ولكن ذلك يعطي الدليل المستمر على صدق النبي ﷺ وأن هذا القرآن من عند الله تعالى.

ثالثاً: إننا إذا أردنا أن نقدم منهجاً لدراسة الإعجاز في القرآن وجدنا أن أقربها إلى الواقع ما رسمه علم الدين السخاوي ومحمود محمد شاكر وأبو زهرة، لكن الأوَّلَيْن يُخرجان كل ما عدا النظم وبديع التأليف من دائرة الإعجاز، بل إن محموداً يرى أن ما عدا ذلك «هو أقرب إلى أن يكون باباً من علم التوحيد»[6].

رابعاً: ويظهر لي أننا في عصرنا هذا بنا حاجة إلى منهج يوضح لنا حقيقة الإعجاز الذي أحس به العرب في عصر النبوة كما يوضح لنا الجوانب التي تقدم الأدلة العلمية المحسوسة على أن القرآن لا يمكن أن يكون من تأليف بشر وأنه من عند الله العليم الحكيم، ليزداد الذين آمنوا إيماناً، وليكون ذلك عنصراً في دعوة الناس إلى الإيمان.

---

(١) ينظر ابن هشام: السيرة النبوة ١/ ٣٤٣، وأبو نعيم: دلائل النبوة ١٩٤.

(٢) ينظر: ابن هشام: السيرة النبوة ١/ ٢٧٠، والطبري: جامع البيان ٢٩/ ١٥٦.

(٣) ينظر: ابن هشام: السيرة النبوية ١/ ٢٩٣، وأبو نعيم: دلائل النبوة ١٨٧.

(٤) ينظر: ابن هشام: السيرة النبوية ١/ ٣١٥.

(٥) عبد الكريم الخطيب: الإعجاز في دراسات السابقين ١/ ٣٣٥.

(٦) فصل في إعجاز القرآن ١٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

فالوقوف على سر الإعجاز المتعلق بتعبير القرآن مباشرة أمر يعجز عنه جمهور الناس اليوم لأن «كثيراً من الناس ليس لديهم اطلاع على المسلمات اللغوية وليس لديهم معرفة بأحكام اللغة وأسرارها، ومن الصعب أن يهتدي هؤلاء إلى أمثال هذه المواطن بأنفسهم من غير دليل يأخذ بأيديهم يدلهم على مواطن الفن والجمال ويبصِّرهم بأسرار التعبير ويوضح لهم ذلك بأمثلة يعونها ويفهمونها»[1].

أما الأسرار العلمية المتعلقة بنظام الكون وخلق الإنسان وما حوله مثلاً، فإنها مما يمكن أن يدركه القراء عامة، وأن يقف عليه العربي وأن يعرفه غير العربي إذا وُضِّحَت تلك الأسرار وتُرجمت إلى لغته، وكثيراً ما نقرأ عن أناس من أهل الديانات الأخرى قرأوا ترجمة لمعاني القرآن أو وقفوا على بعض أسراره فكان ذلك سبباً لهدايتهم وإيمانهم.

خامساً: إن هذا المنهج في دراسة الإعجاز لا يهمل التراث الكبير الذي خلفه العلماء السابقون في موضوع الإعجاز، لكنه يعيد تنظيمه على نحو أكثر وضوحاً، وتناسقاً، في إطار يضم ما كان أصلاً سرّاً للإعجاز، وما ظهر بعد ذلك من دلائل صدق النبوة وربانية القرآن. وبهذا تصبح كلمة الإعجاز ذات دلالة أوسع مما وُضِعَت له في أول الأمر من بيان سر عجز العرب عن محاكاته، لتدل على ذلك، ثم على ما وقف عليه العلماء بعد ذلك من أسرار القرآن التشريعية والعلمية والتاريخية.

وبعد، فهذا ما تيسر لي من الكلام عن مناهج العلماء في دراسة إعجاز القرآن وأسأل الله تعالى أن يُفَقِّهَنا في القرآن لندرك شيئاً من أنوار إعجازه، وأن يجعل أعمالنا خالصة له، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

---

(١) فاضل صالح السامرائي: التعبير القرآني ١٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

(٢)

الإعجازُ العَدَدِيُّ في القرآنِ
حقيقةٌ أو تَوَهُّمٌ؟[١]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

الحمدُ للهِ، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، أما بعد:

فإن البحث في إعجاز القرآن الكريم لم يتوقف، منذ أن صار الحديثُ عنه عِلْماً كَتَبَ فيه العلماء مؤلفات كثيرة، إلى وقتنا الحاضر، ولم يزل الباحثون يقفون على أسرارٍ جديدةٍ تضمنتها آيات القرآن الكريم، لم يتنبه لها السابقون.

وقد أتاح التقدم العلمي في عصرنا وسائل جديدة بأيدي الدارسين للحديث عن وجوه الإعجاز، لاسيما الإعجاز العلمي الذي تعددت اتجاهاته وتنوعت موضوعاته.

وكان ما يُسَمَّى بالإعجاز العددي أحد الموضوعات التي حَظِيَتْ بعناية عدد من المهتمين بإعجاز القرآن من الباحثين المحدثين. ولعل هذا النوع من وجوه الإعجاز من أكثر الموضوعات إثارة للنقاش، فتعددت وجهات النظر فيه، وانقسم

(١) منشور في مجلة الحكمة، العدد الثامن والعشرون، محرم ١٤٢٥هـ، ص٢٥٣- ٢٨٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

الدارسون بين مؤيد له ورافض، ولكن النقاش قد انتهى إلى بلورة اتجاهين حوله:

الأول: اتجاه يقوم الإعجاز العدد فيه على الرقم (١٩)، وكان رائد هذا الاتجاه الدكتور رشاد خليفة، المصري الأصل، والأمريكي الجنسية والوفاة.

والثاني: اتجاه يقوم على اكتشاف التوافق بين عدد مرات ورود لفظ في القرآن الكريم، ولفظ قرآني آخر، فيتطابق عدد مرات ورود اللفظين، وكان رائد هذا الاتجاه الأستاذ عبد الرزاق نوفل - رحمه الله -.

وكان الجدل والنقاش بين الباحثين قد انتهى بهم على شبه إجماع على رفض الاتجاه الأول، لما ظهر فيه من جوانب الضعف، وعدم الدقة والموضوعية، وإلى شبه إجماع على قبول الاتجاه الثاني وعَدِّه أحد وجوه الإعجاز الدالة على أن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون من تأليف بشر، وإنما هو وحي إلهي مقدس، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

وكادت نظرية العدد (١٩) في إعجاز القرآن تُنسى وتُطْوى، ولكن الشهور الأخيرة حملت إلى القراء كتاباً جديداً عن الإعجاز العددي في القرآن، مبني في أساسه على نظرية العدد (١٩)، وتطبيقها على فواصل القرآن الكريم، ذلك الكتاب يحمل عنوان «كمال الإعجاز في القرآن الكريم» للأستاذ الدكتور عادل كمال جميل، الأستاذ في كلية العلوم، بجامعة بغداد.

فأخذتُ الكتابَ أَقرأُ فيه، وأَبحثُ عن الفكرة التي بنى عليها المؤلف كتابه، والنتائج التي توصل إليها، والإضافات التي قدَّمها في موضوع الإعجاز، لكني فوجئت أن المؤلف قد أخذَ بنظرية العدد (١٩) في الإعجاز، ولم يكن ما عرفتُهُ من قبل عن هذه النظرية بمانعٍ لي من قراءة الكتاب، والحكم عليه بما فيه، لا من خلال ما كان قد قيل عن المحاولات السابقة في هذا الاتجاه، لكن النتيجة التي خرجتُ بها من قراءتي هي أن الكتاب قد انبنى على أساس واهٍ، وأن النتائج التي خلص إليها المؤلف تثير تساؤلات عدة، تحملنا على مناقشة ذلك الأساس

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وهذه النتائج، منطلقين من حقيقة هي أن إعجاز القرآن ليس موضع نقاش من جهة ثبوته، أو شموله، لكن التعبير عن وجوهه قد يشوبها القصور، بسبب العجز البشري عن إدراك الحقيقة المطلقة، كما أنني في هذه المناقشة لا أشكك في نية المؤلف، ولا أطعن في حماسته لإبراز إعجاز القرآن الكريم: «وإنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى».

ووجدت أنه من المفيد الحديث بإيجاز عن الجهود التي سبقت المؤلف في ميدان الإعجاز العددي، قبل مناقشة ما ورد في كتابه. ومن ثم جاء هذا البحث في أربعة مباحث، هي:

المبحث الأول: علم العدد القرآني.

المبحث الثاني: نظرية العدد (١٩) في إعجاز القرآن.

المبحث الثالث: التوافق العددي في القرآن.

المبحث الرابع: كتاب «إكمال الإعجاز في القرآن الكريم» وتطبيق نظرية العدد (١٩) على الفواصل القرآنية.

وأرجو أن أُوَفَّقَ فيما قَصَدْتُ، وأن أُحْسِنَ التعبير عما أردت، حسبنا الله ونعمَ الوكيلُ.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المبحث الأول

علم العدد القرآني

لم يكن الإحصاء وجمع أعداد آيات القرآن أو كلماته أو حروفه بالأمر الجديد، فقد بدأ ذلك منذ عصر الصحابة - رضوان الله عليهم - وواصله التابعون، ثم لمَّا صارت المعارف علوماً، وظهرت المؤلفات في العلوم الإسلامية، كان علم العدد القرآني أحد علوم القرآن التي حظيت بعدد كبير من المؤلفات.

كان رسول الله ﷺ يُرَتِّلُ قراءته إذا قرأ، وكان يقطِّعُ قراءته ويقف عند رؤوس الآيات، وكتب الصحابة - رضي الله عنهم - القرآن في المصاحف على نحو ما كانوا يسمعون من قراءة رسول الله ﷺ وكتبوه في المصاحف مقتصرين على ألفاظ الوحي، فلم يكن في المصاحف الأولى أسماء السور وأرقام الآيات، ولا علامات الأجزاء وأعدادها، كما كان مجرداً من علامات الحركات ونقاط الإعجام.

واعتنى علماء قراءة القرآن من الصحابة والتابعين بتعيين رؤوس الآيات، وإن لم تكن مرسومة في المصحف، فكانوا يعلِّمُون الناس القرآن ويوقِّفُونهم على رؤوس الآيات، وقد وضعوا أول الأمر ثلاث نقاط عند رأس الآية (أي آخرها)، ثم تطورت فصارت دائرة، ثم كتبوا رقم الآية في داخل الدائرة في العصور المتأخرة.

وكان مما اعتنى به علماء القرآن من الصحابة والتابعين معرفة عدد الآيات لكل

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

سورة، وعدد كلماتها، وعدد حروفها، وعدد ذلك في القرآن كله. وأفردوا لذلك مؤلفات خاصة، ذكر منها ابن النديم قريباً من عشرين كتاباً من أول عصر التأليف إلى زمن تأليف كتابه «الفهرست» سنة ٣٧٧هـ[١]. وكنت قد تتبعت تلك المؤلفات بعد عصر ابن النديم حتى بلغ ما أحصيته منها، مع ما ذكره ابن النديم، ستة وثلاثين كتاباً[٢]. لعل من أشهرها وأكبرها في زماننا كتاب أبي عمرو الداني (عثمان بن سعيد ت٤٤٤هـ) المسمى «البيان في عَدِّ آي القرآن»[٣].

وكانت الأمصار الخمسة الرئيسة في صدر الإسلام: مكة والمدينة والبصرة والكوفة والشام (دمشق)، التي استقبلت كل واحدة منها مصحفاً من المصاحف العظيمة التي كُتِبَت في خلافة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - قد شهدت أقدم المحاولات لإحصاء عدد آي القرآن وكلماته وحروفه، كما شهدت أقدم المؤلفات التي اعتنت بهذا الجانب من تاريخ القرآن الكريم.

قال الداني: «اعلم - أيَّدَك الله بتوفيقه - أن الأعداد التي يتداولها الناس بالنقل ويعدون بها في الآفاق قديماً وحديثاً ستة: عدد أهل المدينة الأوَّل، والأخير، وعدد أهل مكة، وعدد أهل الكوفة، وعدد أهل البصرة، وعدد أهل الشام»[٤].

ويمكن أن نستخلص أصول تلك الأعداد من خلال ما ذكره الداني وابن وثيق الأندلسي (ت٦٥٤هـ) على النحو الآتي[٥]:

المدنيُّ الأوَّلُ: ما رواه نافع بن أبي نعيم (ت١٦٩هـ) عن أبي جعفر يزيد بن القعقاع (ت١٣٢هـ) وشيبة بن نصاح (ت١٣٠هـ).

المدني الأخير: ما رواه إسماعيل بن جعفر المدني (ت١٨٠هـ) عن

---

(١) ينظر: الفهرست ص٣٠.

(٢) ينظر: مقدمة تحقيق كتاب البيان في عَدِّ آي القرآن للداني ص٤-٧.

(٣) حَقَّقْتُ الكتاب ونُشِرَ سنة ١٩٩٤م.

(٤) البيان ص٦٧.

(٥) البيان ص٦٧-٧٠، والجامع ص٨٥-٨٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

سليمان بن مسلم بن جَمَّاز (ت بعد ١٧٠هـ) عن أبي جعفر يزيد بن القعقاع وشيبة بن نصاح.

والمكي: ما رواه عبد الله بن كثير المكي (ت١٢٠هـ) عن مجاهد بن جبر (ت١٠٢هـ)، عن عبد الله بن عباس (ت٦٨هـ).

والكوفي: ما رواه حمزة بن حبيب الزيات (ت١٥٦هـ) عن أبي عبد الرحمن السُّلَمي (ت٧٤هـ) عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -.

والبصري: ما رواه المعَلَّى بن عيسى الوراق (القرن الثاني الهجري) عن عاصم الجَحْدري (ت١٢٨هـ).

والشامي: ما رواه أيوب بن تميم الدمشقي (ت١٩٨هـ) عن يحيى بن الحارث الذِّمَاريّ (ت١٤٥هـ).

ومن الروايات المشهورة في تاريخ عَدِّ القرآن ما رُوِيَ من أن الحجاج بن يوسف الثقفي جَمَعَ - أيام ولايته على العراق - الحفاظ والقراء، وكان فيهم الحسن البصري (ت١١٠هـ)، وأبو العالية الرياحي (ت٩٣هـ)، ونصر بن عاصم (٩٠هـ)، ومالك بن دينار (ت١٣١هـ)، وقال لهم: عُدُّوا لي حروف القرآن، فعملوا في ذلك أربعة أشهر، يَعُدُّون بالشعير، فكان عدد جميع حروف القرآن ثلاثَ مئةِ ألف حرف، وأربعين ألف حرف، وسبعَ مئة حرف، ونيفاً وأربعين حرفاً، وتحكي تتمة الرواية تجزئة القرآن إلى أجزاء[١]:

وقد وردت روايات كثيرة في عدد آي القرآن وكلماته وحروفه عن علماء العدد، ولا يتسع المقام للوقوف على تفصيلها، وسوف أنقل خلاصة ما قالوه في تلك الأعداد[٢].

---

(١) ينظر: ابن أبي داود: كتاب المصاحف ص١١٩، والداني: البيان ص٧٤، والأندرابي: الإيضاح ص٢١٧.

(٢) ينظر في تلك الأعداد:

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

١- عدد آيات القرآن:

المدني الأول: ٦٢١٧.

المدني الأخير: ٦٢١٤.

المكي: ٦٢١٩.

الكوفي: ٦٢٣٦.

البصري: ٦٢٠٤.

الشامي: ٦٢٢٦.

٢- عدد كلمات القرآن:

في قول عطاء بن يسار المدني (ت١٠٣هـ): ٧٧٢٧٧.

وفي قول مجاهد بن جبر المكي (ت١٠٢هـ): ٧٧٤٣٧.

وفي قول محمد بن عمر الرومي البصري (من الطبقة العاشرة): ٧٦٦٤١.

٣- عدد حروف القرآن:

في قول ابن عباس ومجاهد: ٣٢٣٦٧١.

وفي قول حمزة الزيات: ٣٢١٢٥٠.

وفي قول يحيى بن الحارث الذماري: ٣٢١٥٣٣.

والخلاف السابق في الأعداد خلاف في الظاهر دون الحقيقة، وهو راجع إلى اختلاف الأُسس التي استند إليها العادُّون. يقول الأندرابي: «لقد عُنِيَ صدر هذه

= الداني: البيان ص٧٣-٧٤، وص٧٩-٨١. والأندرابي: الإيضاح ص٢١٤-٢١٨. وابن الجوزي: فنون الأفنان ص٩٩-١٠٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

الامة بالقران عناية آكيدة، حتى عدّوا ايَهَ وكلماتهِ وحروفهُ، وقد وقع لهم في ذلك اختلاف ليس باختلاف على الحقيقة، وإن كان اختلافاً في اللفظ، وذلك أن أهل الكوفة عَدُّوا قوله: ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١﴾ [ص] آية... وغيرهم يعد تمام الآية ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢﴾ [ص]... فهذا ونحوه اختلاف في التسمية، وليس اختلافاً في القرآن، وعلى حسب ذلك يخالف بعضهم بعضاً، حتى إن الواحد منهم يقول: عدد آي القرآن كذا وكذا، وآخر يقول: بل كذا وكذا، من غير أن يكون أحد منهم ادعى في القرآن زيادة ينكرها الآخر، وكذلك في الكلمات والحروف...»[1].

ويمكن تقريب ما ذكره الأندرابي إلى القارىء، وذلك بتطبيقه على سورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص] فالسورة خمس آيات في عدد المكي والشامي، وذلك باعتبار ﴿لَمْ يَلِدْ ۝٣﴾ آية، وهي أربع آيات عند الباقين. وألفاظ السورة واحدة عند الجميع[2].

وذكر الداني أن من أسباب الاختلاف في عدد حروف القرآن أن من العادِّين من يستند في العدّ إلى رسم الحروف، ومنهم من يستند إلى التلفظ بها، لا على صورتها في الكتابة[3].

والاختلاف في عدد آي القرآن أو كلمه أو حروفه لا ينعكس على نص القرآن الكريم، فالنص واحد، لكن العادِّين يختلفون في الأعداد على حسب الاعتبارات التي يراعونها في العدِّ.

ولعل من تمام الكلام على علم العدد القرآني الإشارة إلى جهود العلماء في مجال تجزئة القرآن الكريم، فقد قسموا القرآن على أجزاء مبتدئين من تقسيمه

---

(١) الإيضاح ص٢١٤.

(٢) ينظر: الداني: البيان ص٢٩٦.

(٣) ينظر: البيان ص٧٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

على نصفين، أي جزءين - ثم ثلاثة، ثم أربعة، ثم خمسة، ثم ستة ثم سبعة، إلى أن يبلغوا الثلاثين جزءاً، ثم الستين، ثم مئة وعشرين[1]. ولعل هذه التجزئة هي أحد أهدافهم من علم العدد القرآني.

ولموضوع علم العدد القرآني تفصيل لا يستوعبه المقام[2]، وفي ما ذكرناه كفاية لتوضيح ما نحن بصدده، من الحديث عن الإعجاز العددي في القرآن، الذي لم نجد له في كلام علماء السلف أثراً، فقد كانت جهودهم منصبة على عَدِّ مكونات القرآن من السور وآياتها وكلمها وحروفها.

(١) ينظر: الداني: البيان ص٣٠٠-٣٢٠، والأندرابي: الإيضاح ص٢٦٥- ٢٧٢، وابن الجوزي: فنون الأفنان ص١٠٧-١٢٩.

(٢) مما تجدر الإشارة إليه هنا أن المأخوذ به في زماننا في عَدِّ آي القرآن هو عدد أهل الكوفة (٦٢٣٦ آية). وأن المشهور في تجزئة القرآن هو ثلاثون جزءاً، مع تقسيم كل جزء إلى أنصاف وأرباع.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المبحث الثاني

نظرية العدد (تسعة عشر)

في إعجاز القرآن

تُنْسَبُ هذه النظرية إلى الدكتور رشاد خليفة، ويصفها بعض الدارسين بأنها خُدْعَةً، أو فِرْيَةً، أو فِتنة، ويُسَمِّيها مبدعها والمروِّجُون لها معجزة، ونُسَمِّيها في هذه المرحلة من البحث نظرية، حتى تتضح للقارىء معالمها ليختار ما يراه مناسباً في وصفها.

مَن هو رشاد خليفة[1].

وُلِدَ الدكتور رشاد خليفة[2] في (كفر الزيات) في مصر عام ١٩٣٥م، وكان أبوه شيخاً لإحدى الطرق الصوفية[3]، درس رشاد في مصر حتى نال شهادة البكالوريوس في الزراعة عام ١٩٥٧م، ثم سافر إلى أمريكا، وحصل من جامعة (كاليفورنيا) على الدكتوراة في الكيمياء الحيوية عام ١٩٦٤م، وصار مدرساً في جامعة كاليفورنيا وجامعة أريزونا، وعمل خبيراً للتنمية الصناعية في الأمم المتحدة.

---

(١) ينظر: الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي: البيان في إعجاز القرآن ص٣٦٨- ٣٦٩، ط. دار عمار.

(٢) يُسَمِّيه البعض الدكتور رشاد خليفة، ولكني وجدته يسمي نفسه رشاد خليفة، وكذلك يسميه حَوَارِيُّهُ صدقي بيك.

(٣) ينظر: فضل حسن عباس: إعجاز القرآن الكريم ص٣٥٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وقد تزوج من امرأة أمريكية، وحصل على الجنسية الأمريكية، واستقر في مدينة (توسان) بولاية أريزونا. وكان يقوم بالإمامة في مسجد المدينة، لكن أفكاره الشاذة جعلت المصلين في ذلك المسجد يطردونه من المسجد على صورة مهينة[١].

وأخيراً وَفَّرَتْ له أمريكا في مدينة (توسان) مسجداً، أو مركزاً، أو معبداً، أو وكراً، لينطلق منه بدعوته التي تبلورت لديه على صورةٍ جعلت عارفيه يذكرون أنه تحوَّل إلى الديانة البهائية التي يَعُدُّ المسلمون أتباعها كفَّاراً مرتدين عن الإسلام[٢]. ويبدو أن ذلك الانحراف في عقيدته وسلوكه قد أدَّى به إلى أن يُقْتَلَ[٣].

متى ظهرت نظريته وكيف تطوَّرت؟

أعلن الدكتور رشاد خليفة عن نظريته في العدد تسعة عشر في السبعينات من القرن الماضي، وألقى محاضرات، ونشر مقالات، في مصر وفي عدد من أقطار الخليج العربي[٤].

وطُبعت محاضرته التي ألقاها في الكويت سنة ١٩٧٨م في كل من دمشق، وبيروت، وكان عنوان طبعة دمشق (تسعة عشر: دلالات جديدة في إعجاز القرآن)، وكان عنوان طبعة بيروت (عليها تسعة عشر: الإعجاز العددي في

---

(١) ينظر: حسين ناجي: فتنة القرن العشرين ص٨.

(٢) البهائية حركة باطنية، نشأت في إيران على يد الميرزا حسين علي المازندراني (ت١٨٩٢ في عكا) وابنه عباس الملقب بعبد البهاء، وكتب الميرزا حسين الملقب بالبهاء كتابه الذي سماه «الأقدس» وضمنه أفكاره المنحرفة التي انتهت بأتباعه إلى الانسلاخ من الإسلام والتحلل من أحكامه وآدابه، والتقت أهداف البهائية باهداف الماسونية والصهونية، وصارت مطية لهما. (ينظر: حقيقة البابية والبهائية، للدكتور محسن عبد الحميد).

(٣) ينظر: فضل حسن عباس: إعجاز القرآن الكريم ص٣٥٧.

(٤) ينظر: المصدر السابق، وحسين ناجي: فتنة القرن العشرين ص٣٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

القرآن) مع تعليقات لصدقي بيك، سَمَّاها (هوامش على الإعجاز العددي في القرآن الكريم)[1].

وردَّد الدكتور رشاد خليفة أفكاره في نشرات أُخرى، مثل كراسة (نهاية العالم)، وكراسة (معجزة القرآن الكريم)[2]، كما نشر مؤيده في نظريته صدقي بيك كتابه «معجزة القرآن العددية» في دمشق سنة ١٩٨١م[3].

وتقوم نظرية الدكتور رشاد خليفة على مجموعة من الأفكار التي تبلورت في عدة نقاط، أهمها:

١- إن الحروف المقطعة في أوائل عدد من سور القرآن مثل (ألم) و(حم) وغيرها تحمل سراً من أسرار إعجاز القرآن، وهو أنها تشير إلى أن كل حرف منها يدل على أن نسبة تكرره في السورة أعلى من نسبة تكرره في أي سورة أخرى من سور القرآن، وأن عدد مرات وروده في السورة هو عدد يقبل القسمة على (١٩).

٢- إن الرقم (١٩) يعد في نظر رشاد خليفة بمثابة القاسم المشترك الأعظم في القرآن الكريم كله، وأنه يمثل الثابت القرآني الذي ينبني عليه كثير من مظاهر العد والإحصاء في القرآن الكريم، فهو رقم مقدَّس لذلك.

٣- إن اتخاذ العدد (١٩) هذا الموقع المتميز من بين الأعداد كلها في القرآن الكريم أَمْرٌ يقرره القرآن نفسه في نظر رشاد خليفة، وذلك في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ [المدثر] التي أجمع مفسرو القرآن الكريم على أنها تشير إلى خَزَنَةِ جهنم من الملائكة، لكن رشاد خليفة يفسرها على أنها حروف البسملة، وأن الآية تدل على أن البسملة حِرْزٌ من نار جهنم، وأن البسملة مكتوبة على أبواب جهنم.

---

(١) ينظر: حسين ناجي: فتنة القرن العشرين ص٥٦ و٩٨.

(٢) ينظر: حسين ناجي: فتنة القرن العشرين ص١٧٠، والخالدي: البيان ص٣٦٨.

(٣) ينظر: الخالدي: البيان ص٣٨٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

٤- وانتهى المطاف برشاد خليفة إلى ادعاء معرفته تاريخ نهاية العالم، وقيام الساعة، وذلك بالاعتماد على الحروف المقطعة في أوائل السور، وقيمها العددية في حساب الجُمَّل (أبجد هوز... إلخ).

٥- وهو في ذلك كله يحاول أن يثبت في عقول القراء والسامعين له أن ما توصل إليه من نتائج يستند إلى عمليات حسابية قام بها على الكمبيوتر، وأنها فتح جديد في تفسير القرآن وإظهار جوانب الإعجاز فيه[١].

وقد تعرضت نظرية رشاد خليفة لانتقادات شديدة بسبب ما ظهر من عدم دقة تعاملها مع الأعداد، وارتكاب التحريف من أجل الوصول إلى الرقم (١٩) في أحيان كثيرة، وما جاءت به من تفسير غريب مضطرب لآية سورة المدثر ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝٣٠﴾. ومن أشهر الردود التي نشرت حول تلك النظرية التي اطلعت عليها:

١- ما كتبه الأستاذ إدريس الكلاك في رسالته (ليس في الإسلام تقديس للأرقام) [١٩٨٠].

٢- ما كتبه الأستاذ حسين ناجي محمد محيي الدين في كتابيه: «تسعة عشر ملكاً» و«فتنة القرن العشرين» [١٩٨٥م].

٣- ما كتبه الدكتور فضل حسن عباس في كتابه «إعجاز القرآن الكريم» [١٩٩١].

٤- ما كتبه الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي في كتابه «البيان في إعجاز القرآن» [١٩٩٢].

وهناك كتابات أُخرى في نقض نظرية رشاد خليفة[٢].

---

(١) ينظر: حسين ناجي: فتنة القرن العشرين ص١٩، وفضل حسن عباس: إعجاز القرآن الكريم ص٣٤٩، والخالدي: البيان ص٣٦٨- ٣٧٢.

(٢) ينظر: الخالدي: البيان ص٣٧٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وتتلخص تلك الردود في ما يأتي:

١- إن الرقم (١٩) واحد من أرقام كثيرة ورد ذكرها في القرآن الكريم، ولا يحمل دلالة أكثر من دلالته العددية، ولا يشير إلى أسرار خارج تلك الدلالة.

٢- إن عدد حروف البسملة المكتوبة تسعة عشر حرفاً، لكنها تكون ثمانية عشر صوتاً في النطق المتصل، هذا عدا أصوات الحركات التي تبلغ ستة أصوات في الأقل، وللعلماء طريقتان في عد حروف القرآن:

الأولى تعتمد على الرسم، والأخرى تعتمد على النطق[١].

ومن الدارسين من يرى أن «العبرة في عد حروف كلمة من كلمات القرآن إنما يكون حسب نطقها وتلفظها، لا حسب كتابتها الإملائية في المصحف»[٢]. ومهما كانت الطريقة المتبعة في العد، فإن رشاد خليفة ومن تابعه يعتمدون على الرسم ما دام يحقق غرضهم، ويتحولون إلى النطق إذا وجدوا فيه بغيتهم.

٣- أجمع المفسرون في القديم والحديث على أن قوله تعالى في وصف جهنم: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ يدل على خزنة جهنم من الملائكة[٣]، وقد صرحت الآيات التي جاءت بعد هذه الآية بذلك: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴿٣١﴾﴾ [المدثر].

ويؤكد ذلك ما جاء في سورة التحريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ ﴿٦﴾﴾ [التحريم].

٤- لاحظ الدارسون لنظرية رشاد خليفة أنه يقوم بتحريف الأرقام على نطاق

---

(١) ينظر: الداني: البيان ص٧٥.

(٢) حسين ناجي: فتنة القرن العشرين ص١٩٧.

(٣) قال النسفي في تفسيره (٢/ ٣١٠): «تسعة عشر: أي يلي أمرها تسعة عشر ملكاً عند الجمهور، وقيل صنفاً من الملائكة...».

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

واسع ليجعلها تقبل القسمة على (١٩)، يقول الأستاذ إدريس الكلاك: «لقد قمتُ بتدقيق ومراجعة الجداول المنشورة في مجلة آخر ساعة... فتبين لنا أن أغلب الأعداد التي أعطاها كانت خاطئة ومخالفة لما هي عليه في العقل الإلكتروني»[١].

ويمكن أن نذكر للقارىء مثالاً على عدم دقة رشاد خليفة في طريقة عدِّه لكلمات القرآن أو حروفه، هو ما ذكره في مجلة (روز اليوسف) المصرية (سنة ١٩٨٥ ص٢٦):

- أول ما نزل من القرآن ١٩ كلمة: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق].

- أول ما نزل من السور، العلق، تتركب من ١٩ آية.

هذا نص كلامه، وهو مخطىء في الفقرة الأولى، وغير مصيب في الفقرة الثانية، فعدد كلمات الآيات الخمس الأولى من سورة العلق عشرون كلمة، وليس تسع عشرة كلمة، وذلك بعَدِّ كل من: (من - ما - لم) كلمات، وهو ما لا خلاف فيه، وإذا عددنا حرف الجر وواو العطف كلمات كان العدد (٢٤) كلمة!

أما قوله: إن عدد آيات سورة العلق تسع عشرة آية فهذا في عدد أهل الكوفة والبصرة فقط، وهي عشرون آية في عدد أهل مكة وأهل المدينة، وثماني عشرة آية في عدد أهل الشام[٢]. وهي قضية لم يتنبه لها رشاد خليفة.

٥- لاحظ الدارسون أن رشاد خليفة - إلى جانب ما في نظريته من نقاط ضعف - كان ينفخ في بوق الدعاية للفرقة البهائية التي تقدِّس الرقم (١٩)

---

(١) ليس في الإسلام تقديس للأرقام ص٢٦.

(٢) ينظر: الداني: البيان ص٢٨٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وجعلت منه شعاراً لها[١]. وقد صرَّح عدد من الدارسين أنه اعتنق الديانة البهائية[٢]. وانتهى الأمر به إلى ادعاء النبوة[٣].

وقد أدرك الدارسون لنظرية رشاد خليفة منذ أن أعلنها أنه اعتمد على التضليل والخداع في إقناع القراء بصدقها[٤]. فاستحق بذلك لقب مسيلمة الكذاب[٥]، واستحقت نظريته أن توصف بأنها أكذوبة[٦]، وأنها فرية[٧]، لم تَعُد تنطلي على أحد، ولم يَعُدْ يصدقها أحد.

---

(١) ناجي حسين: فتنة القرن العشرين ص٢ و٢٢.

(٢) فضل حسن عباس: إعجاز القرآن الكريم ص٣٥٣، والخالدي: البيان ص٣٦٩.

(٣) ينظر: الخالدي: البيان ص٣٧١.

(٤) ينظر: إدريس الكلاك: ليس في الإسلام تقديس للأرقام ص٣٢.

(٥) ينظر: الخالدي: البيان ص٣٧١.

(٦) المصدر نفسه ص٣٥٦.

(٧) ناجي حسين: فتنة القرن العشرين ص١٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المبحث الثالث

التوافق العددي في القرآن

كان الأستاذ عبد الرزاق نوفل - رحمه الله - مكتشف ظاهرة التوافق العددي في القرآن الكريم، فقد استطاع من خلال دراسته لبعض الموضوعات القرآنية أن يلمح توافقاً في ورود عدد من الكلمات في القرآن الكريم، وجعله ذلك يتتبع ألفاظاً أُخرى حتى وقف على عشرات الأمثلة التي تشكل حقيقة باهرة، وتكشف عن سر من أسرار الإعجاز القرآني، وواصل أبحاثه حتى أصدر سلسلة من الكتب تحمل عنوان (الإعجاز العددي في القرآن الكريم) بلغت ثلاثة كتب.

يقول الأستاذ عبد الرزاق نوفل في الجزء الأول من الكتاب: «ومن آيات توفيق الله - جل شأنه - أَنْ هداني عند إعداد كتاب «الإسلام دين ودنيا» الذي صدر في عام ١٩٥٩م إلى أن أجد أن (الدنيا) تكررت في القرآن الكريم قدر ما تكررت (الآخرة). وأن أجد أن (الشياطين) تكررت قدر ما تكررت (الملائكة) عندما كنت أُعد كتابي «عالم الجن والملائكة» الذي صدر عام ١٩٦٨م، ولقد أشرت إلى ذلك في كل منهما.

وما كنت أدري أن التناسق والاتزان يشمل كل ما جاء في القرآن الكريم، فكلما بحثت في موضوع وجدت عجباً وأي عجب، تماثل عددي، وتكرار رقمي، أو تناسب وتوازن في كل الموضوعات التي كانت موضع البحث، الموضوعات المتماثلة أو المتشابهة أو المتناقضة أو المترابطة، إنها معجزة وأي معجزة، وإنها لصورة من صور الإعجاز التي لا يمكن لأي باحث أو دارس أو قارىء أن يستعرضها إلا ويؤمن الإيمان الكامل المطلق أن هذا القرآن لا يمكن

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

إلا أن يكون وحي الله سبحانه وتعالى لآخر أنبيائه وخاتم رسله، لأنه شيء فوق القدرة، وأعلى من الاستطاعة، وأبعد من حدود العقل البشري.

ولقد وجدت أن ما هداني ربي إليه في هذا الشأن لابد أن يُنشر وأن يُذاع، وأن يُعْرَضَ على أوسع نطاق، وإلى أبعد حد، ليحمل الوجه الجديد للإعجاز القرآني، إنه الإعجاز العددي للقرآن الكريم»[1].

ثم أورد عشرات الأمثلة التي توضح هذه الحقيقة، أنقل منها ثلاثة أمثلة، وهي[2]:

الدنيا والآخرة: تكررتا في القرآن ١١٥ مرة لكل منهما.

الملائكة والشياطين: تكررتا في القرآن ٨٨ مرة لكل منهما.

الحياة والموت: تكررتا في القرآن ١٤٥ مرة لكل منهما.

وختم هذا الجزء من الكتاب بقوله: «ويكون بذلك هذا التساوي والتناسق والتوازن وجهاً جديداً من أوجه الإعجاز العديدة التي يكشف عنها التدبُّرُ والتفكرُ والتأمل، إلا أنه وجه لا تختلف في نتيجته الآراء، ولا تتعدد الاتجاهات، فهو ليس بتفسير أو تأويل تتعارض فيه الاجتهادات، وتتباين النظريات، ولكنه حساب وأرقام، وحقائق الحساب دائماً قاطعة، وشواهد الأرقام أبداً دامغة»[3].

وأصدر الأستاذ عبد الرزاق نوفل جزءاً ثانياً في الاتجاه نفسه، أورد فيه عشرات الأمثلة الجديدة، ثم قال في خاتمته: «ما نريد إعلانه هو أن هذا التساوي الرهيب والتناسق العجيب في كل موضوعات القرآن الكريم وألفاظه يقطع بلا أدنى شك أو جدل أن هذا القرآن وحي الله سبحانه وتعالى، فما كان لرسول الله

---

(١) الإعجاز العددي في القرآن الكريم ص١٠-١١.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ص١٥ و١٩ و٢٥.

(٣) المصدر نفسه ١/ ١٩٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وهو الأمي، ولا للعلماء في زمانه، ولا لكل علماء العالم، ولو اجتمعوا في مختلف الأجيال، إيجاد هذا التساوي في هذه الموضوعات بهذا القدر وهذا الإعجاز»[1].

ثم أصدر جزءاً ثالثاً في الموضوع ذاته، والمنهج نفسه، وقال في خاتمته: «إن الإعجاز العددي للقرآن الكريم هو الوجه الذي لا بد أن ندعو به إليه، إنه الدليل على وجود الموحِي، ورسالة المُوحَى إليه، وإنه لأسلوب الجيل بلغة العصر، فنحن في جيل الأرقام وعصر الإحصاء. وسيجد كل باحث ودارس في القرآن الكريم، وفي موضوعاته، في ألفاظه، بل في حروفه، من أوجه الإعجاز العددي تساوياً أو تناسباً أو توازناً، بما يجعله يقدم للعالمين آية حديثة على إعجاز القرآن الكريم، ودليلاً جديداً على نبوة سيدنا محمد النبي العظيم ﷺ»[2].

وحظي هذا الاكتشاف القرآني باهتمام الدارسين لإعجاز القرآن وعنايتهم، فنقل الدكتور فاضل السامرائي خلاصة لمجموعة من الألفاظ التي ذكرها الأستاذ عبد الرزاق نوفل في كتابه «التعبير القرآني» بعد أن قال: «أفلم نقرأ الإحصاءات الأخرى في كتاب الله العزيز لترى العجب؟! لقد تبين أنه لم توضع الألفاظ عبثاً، ولا من غير حساب، بل هي موضوعة وضعاً دقيقاً بحساب دقيق دقيق»[3].

وقال الدكتور صلاح الخالدي: «ومن خير من تكلم على (التناسق العددي) المرحوم عبد الرزاق نوفل، فقد أصدر كتابه «الإعجاز العددي في القرآن» في ثلاث حلقات. وقدَّم فيه أرقاماً حسابية لطيفة شيقة ممتعة، كما أصدر حول نفس الموضوع كتاب «معجزة الأرقام والترقيم في القرآن الكريم». إن معظم كلام المرحوم نوفل عن الموضوع صحيح، ومعظم أرقامه وحساباته صادقة،

---

(١) المصدر نفسه ٢/ ١٥٩.

(٢) المصدر نفسه ٣/ ١٧٣.

(٣) التعبير القرآني ص١٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

ومعظم نتائجه طيبة، وإن كنا لا نوافقه على تسمية التناسق العددي بالإعجاز العددي»[1].

(١) البيان ص٣٥٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المبحث الرابع

كتاب «كمال الإعجاز في القرآن الكريم»

وتطبيق نظرية العدد (١٩) على الفواصل القرآنية

كتاب «كمال الإعجاز في القرآن الكريم» تأليف الأستاذ الدكتور عادل كمال جميل[١]، صدر في آخر عام ٢٠٠١م، في بغداد[٢]، وجاء في مئة وخمسين صفحة.

يتألف الكتاب من خمسة أقسام رئيسة هي:

١- التمهيد: تحدث فيه عن موضوع الفاصلة القرآنية، والهدف من تأليف الكتاب، والدراسات السابقة (ص١-١٦).

٢- الفاصلة الأولى: فاصلة الواو والنون، والياء والنون في القرآن الكريم، وتطبيق نظرية العدد (١٩) عليها (ص١٨-٩٤).

٣- الفاصلة الثانية: فاصلة الألف المنصوبة بتنوين الفتح، في القرآن الكريم،

---

(١) أثبت المؤلف في صفحة الغلاف الأخيرة ترجمة موجزة له، ذكر فيها أنه من مواليد بغداد عام ١٣٥٥هـ= ١٩٤٦، وأنه حاصل على شهادة الدكتوراة في الجيوكيمياء من جاء ليدز، ويعمل أستاذاً في كلية العلوم بجامعة بغداد، وله عدد من المؤلفات والبحوث المنشورة في اختصاصه.

(٢) لم يثبت اسم الناشر على الكتاب، وذكر اسم المطبعة وهي الديوان، ولم يثبت سنة الطبع لكن رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد يحمل تاريخ ٢٠٠١/١١/١٠، وجاء تقديم الكتب مذيلاً بـ١ كانون الأول ٢٠٠١م.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وتطبيق نظرية العدد (١٩) عليها (ص٩٥-١٢٣).

٤- الفاصلة الثالثة: فاصلة الألف المقصورة، وتطبيق نظرية العدد (١٩) عليها (ص١٢٤- ١٣٧).

٥- العدد (١٩) عدد سماوي، تحدث فيه عن استناد التقويمات الثلاثة العالمية: الميلادي واليهودي والهجري على العدد (١٩).

أولاً: التمهيد:

وضع المؤلف عناوين صغيرة في هذا القسم من الكتاب، بدأ بعنوان (وصف القرآن الكريم) نقل فيه نصاً من رسالة الغفران للمعري[١]، والمعري ليس المصدر الأساس في هذا الموضوع.

ثم وضع عنواناً آخر هو (نظام الفواصل في القرآن)، نقل فيه نصوصاً عن سيد قطب وفاضل السامرائي، أردفه بعنوان (الفواصل الرئيسة في القرآن)، ابتدأه بقوله: «يُقصد بنظام الفواصل اتفاق أواخر المفردات التي تأتي في خواتيم الآيات القرآنية، والفاصلة كمصطلح سبق وأن (كذا) استخدم من قبل (كذا) سيد قطب (١٩٥٢م) في كتابه «التصوير الفني في القرآن»...»[٢].

ولا نريد الإطالة في مناقشة قضايا جزئية وردت في الكتاب، بقدر ما نريد مناقشة تطبيق نظرية العدد (١٩) على الفواصل القرآنية، لكن ما ورد في النص السابق يقتضينا أن نذكّر للقارىء أن (علم الفاصلة القرآنية) علم قديم في تراثنا. فقد ذكره الزركشي (ت٧٩٤هـ) في كتابه «البرهان في علوم القرآن» في النوع الثالث (معرفة الفواصل ورؤوس الآي) في خمسين صفحة تقريباً[٣]، وذكر

---

(١) ينظر: كمال الإعجاز ص١.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ص٣.

(٣) ينظر: البرهان ١/٥٣-١٠١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

السيوطي (ت٩١١هـ) في كتابه «الإتقان في علوم القرآن» في النوع التاسع والخمسين (في فواصل الآي) في خمسة وعشرين صفحة[١]. وسماه طاش كبري زاده (ت٩٦٨هـ) «علم معرفة فواصل الآي»[٢].

وكتب عن الفاصلة من المعاصرين الأستاذ محمد الحسناوي كتابه «الفاصلة في القرآن» استقصى فيه كل ما يتعلق بالفاصلة القرآنية من الناحية التاريخية واللغوية والفنية، وجاء هذا الكتاب في (٤٣٢ صفحة). ويبدو أن مؤلف كتاب «كمال الإعجاز» لم يطلع على هذه المصادر، وليت الأمر يقف عند إغفال مصدر وعدم الوقوف على آخر، ولكن الأمر يتعلق بهدف الكتاب ومنهجه في الوصول إليه.

تحدث المؤلف عن (هدف الكتاب) فقال: «إن الهدف الأساسيَ لهذا الكتاب هو الكشف عن إعجاز خفي غير ظاهر في القرآن الكريم يكمن في فواصل أو خواتيم آياته، إعجاز لا يقل شأناً عن البلاغة الظاهرة والفصاحة اللغوية والتناسق الفني الموجود فيه، ويتضمن الإعجاز الفواصل الثلاثة (كذا) الرئيسة في القرآن والتي سبق ذكرها، حيث كل فاصلة من هذه الفواصل الثلاث تحقق بعدد الآيات المختتمة بها تكاملاً عددياً لمضاعفات العدد (١٩)...»[٣].

وفي (دراسات سابقة) أشار المؤلف إلى نظرية رشاد خليفة، واكتشاف عبد الرزاق نوفل، وتعليق الدكتور فاضل السامرائي عليهما. وأكتفي هنا بنقل ما قاله عن رشاد خليفة: «تبيَّن رشاد خليفة (١٩٨٣) في كتابه الموسوم «معجزة القرآن الكريم» وباستخدام الحاسب الإلكتروني وجود نظام حسابي مذهل، وكشف عن

---

(١) ينظر: الإتقان ٣/ ٢٩٠-٣١٥.

(٢) مفتاح السعادة ٢/ ٤٦٩.

(٣) كمال الإعجاز ص١٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

معجزة مادية ملموسة في القرآن الكريم، من خلال عدد كبير من الإحصاءات تتضمن العدد ١٩ ومضاعفاته، بالاستناد إلى الآية الكريمة: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ [المدثر][1].

وواضح منذ بدء الكتاب أن المؤلف قد ربط عجلته بعربة رشاد خليفة، وسار في الدر الذي سار فيه، واتخذ من نظريته أساساً بنى عليه الكتاب، وكأنه لم يطلع على المناقشات التي أثيرت حول تلك النظرية، والردود التي كتبت عليها، والجوانب الخفية وراءها.

وأنا حين أناقش ما ورد في هذا الكتاب لا أنطلق من المناقشات السابقة حول نظرية رشاد خليفة، ولكني أنطلق من مادة الكتاب ذاته، والأسس التي استند إليها المؤلف، والحجج التي أوردها لتأكيد محاولته في تطبيق تلك النظرية على الفواصل القرآنية.

ثانياً: تطبيق النظرية على الفواصل القرآنية:

يستغرق تطبيق نظرية العدد (١٩) على الفواصل القرآنية معظم كتاب «كمال الإعجاز» (من صحيفة ١٨- ١٣٧)، وشمل ذلك ثلاث فواصل، هي:

١- فاصلة الواو والنون والياء والنون.

٢- فاصلة الألف المنصوبة بتنوين الفتح.

٣- فاصلة الألف المقصورة.

والمؤلف يعتقد أن مجموع مرات ورود الفاصلة من تلك الفواصل الثلاث في

---

(١) كمال الإعجاز ص١٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

القرآن الكريم يقبل القسمة على العدد (١٩). يقول عن فاصلة الواو والنون والياء والنون: «تتبوأ هذه الفاصلة بعدد الآيات المختتمة بها في القرآن الكريم المرتبة الأولى بين الفواصل الأخرى، وحققت آياتها تكاملاً عددياً لمضاعفات العدد ١٩ يساوي ٢٧٥٥ آية (١٩×١٤٥) آية...»[١].

وقال عن فاصلة الألف المنصوبة بتنوين الفتح: «تأتي هذه الفاصلة بعدد الآيات المختتمة بها في القرآن الكريم بالمرتبة الثانية بعد فاصلة الواو والنون والياء والنون، وحققت آياتها تكاملاً عددياً لمضاعفات العدد ١٩ يساوي ٩١٢ آية، كما هو موضح في جدول الفاصلة ٩١٢ = ١٩×٤٨»[٢].

وقال المؤلف عن فاصلة الألف المقصورة: «تتبوأ هذه الفاصلة بعدد الآيات المختتمة بها في القرآن الكريم المرتبة الثالثة بعد فاصلة الواو والنون والياء والنون، وفاصلة الألف المنصوبة بتنوين الفتح، حققت آيات هذه الفاصلة تكاملاً عددياً لمضاعفات العدد ١٩ يساوي ٢٢٨ آية، كما هو موضح في جدول الفاصلة ٢٢٨= ١٩×١٢»[٣].

ويعتقد مؤلف الكتاب أن النَّظْمَ القرآنيَّ يقوم على أساس تحقيق تكامل أعداد الفواصل لتقبل القسمة على العدد (١٩) وأن ترتيب القرآن مبني على ذلك، من خلال[٤]:

١- إضافة آيات مكية إلى السور المدنية، أو إضافة آيات مدنية إلى السور

---

(١) كمال الإعجاز ص١٨.

(٢) كمال الإعجاز ص٩٥.

(٣) كمال الإعجاز ص١٢٤.

(٤) ينظر: كمال الإعجاز ص٢٥ و٤٦ و٦٥ و٨١ و١٠٢ و١٠٦ و١١٥ و١٢٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المكية.

٢- التغيير في الفاصلة.

٣- التكرار في الآيات وخواتيمها.

أما إضافة آيات مكية أو مدنية، فهذا قضية تنبني على أساس تقسيم السور إلى مكية، وهي ما نزل من القرآن قبل الهجرة، ومدنية وهي ما نزل من القرآن بعد الهجرة، وكانت السورة تنزل في مكة ولا يكتمل نزولها إلا في المدينة، فتوجد آيات مدنية في السور المكية، أو آيات مكية في السور المدنية. لكن المعوَّل عليه هو ترتيب السور في المصحف، الذي انبنى على ما كان الصحابة يسمعون من قراءة رسول الله ﷺ وقد اختلف العلماء في تحديد صفة عدد من سور القرآن من هذه الناحية، كما اختلفوا في نسبة آيات معينة في السور المدنية والمكية[1]، على نحو لا يسمح بالجزم بأن هذه الآية أُدرجت في سورة معينة ليبلغ عدد فواصلها رقماً يقبل القسمة على (١٩)، ولم يحسن مؤلف الكتاب التعبير عن هذه القضية حين استخدم عبارة: الآيات المكية المضافة، والآيات المدنية المضافة.

وأما التغيير في الفاصلة حتى يتكامل عدد الفواصل ليقبل القسمة على (١٩) فيسوق له المؤلف أمثلة كثيرة، من ذلك ما ذكره من سبب مجيء قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ [البقرة] بهذا الترتيب، ومجيء قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾، ويعزو المؤلف ذلك إلى المحافظة على فواصل الياء والنون حتى لا يختل عددها الذي يقبل القسمة على

(١) ينظر: السيوطي: الإتقان ٣٠-٣٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

(١٩)[١].

وكان العلماء قد لاحظوا أن نظم القرآن الكريم يقوم على مراعاة توافق الفواصل، وذكروا عدداً من الحالات التي أدَّى فيها الحرص على ذلك إلى مجيئها على نحو معين، ليستمر التوافق الصوتي في الفواصل، وما يشيعه ذلك من تأثير في نفوس السامعين[٢]. وليس لأجل المحافظة على رقم متخيل.

أما التكرار في الآيات حتى تأتي الفواصل موافقة للعدد (١٩) فمن الأمثلة التي ساقها المؤلف على ذلك تكرار الآية ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾ في سورة المرسلات عشر مرات، فهو يفسر ذلك التكرار من أجل المحافظة على عدد معين للفواصل التي تنتهي بالياء والنون[٣]. بينما يحمله جمهور المفسرين على أنه جاء لتقرير أمر معنوي «فكل ما كُرِّرَ في القرآن الكريم من آية أو قصة إنما يشتمل على معنى جديد وعبرة جديدة»[٤].

وقد تجمعت لديَّ جملة ملاحظات في أثناء قراءتي لكلام المؤلف عن الفواصل الثلاث وتطبيقه لنظرية العدد (١٩) عليها، تجعلنا نتردد في قبول النتائج التي توصل إليها المؤلف، بل نرفضها، فمن ذلك:

١- إن الفواصل المثبتة في المصاحف المطبوعة المتداولة في زماننا تقوم على عدد أهل الكوفة للآيات، وهو مذهب من خمسة مذاهب في عدِّ الآيات، وليس واحد منها بأولى من الآخر، على نحو ما أشرنا في المبحث الأول. وسوف أذكر هنا أمثلة لآيات انفرد بعدِّها الكوفي، ولآيات انفرد بإسقاطها من العدد:

﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأعراف] عدَّها الكوفي، ولم يعدها الباقون[٥].

---

(١) ينظر: كمال الإعجاز ص٢٦-٢٧.

(٢) ينظر: السيوطي: معترك الأقران ١/٢٦-٣١.

(٣) كمال الإعجاز ص٨٢.

(٤) النورسي: المعجزات القرآنية ص١٨٥.

(٥) ينظر: الداني: البيان ص١٥٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

﴿أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [هود] عدَّها الكوفي ولم يعدها الباقون[١].

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الشعراء] لم يعدَّها الكوفي وعدَّها الباقون[٢].

﴿فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾﴾ [الزمر] عدَّها الكوفي ولم يعدها الباقون[٣].

﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي ﴿١٤﴾﴾ [الزمر] عدَّها الكوفي ولم يعدها الباقون[٤].

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الزمر] عدَّها الكوفي ولم يعدها الباقون[٥].

وهناك عشرات الأمثلة من هذا النحو من الاختلاف في عدِّ الآيات، مما يترتب عليه اختلاف عدد الفواصل بصورة لا تسمح بالقول إن الإعجاز العددي يتحقق على أساس عدد أهل الكوفة ولا يتحقق على أساس عدد غيرهم. ولم ينتبه مؤلف الكتاب إلى هذه القضية الخطيرة في نتائجها على بحثه.

٢- لاحظت أن المؤلف حين يتحدث عن فاصلة من الفواصل الثلاث التي بنى عليها بحثه، فإنه لا يستند إلى أساس واضح يقوم عليه العد، فإنه في فاصلة الياء والنون لم يعدَّ مجموعة كبيرة من الفواصل المنتهية بياء ونون، لأنها نون أصلية، وليست نون الجمع المذكر السالم، وذلك مثل: مبين، والمبين، ومعين ومكين والمهين واليمين وللجبين وغير ذلك كثير، كما أنه أسقط من فاصلة الواو والنون عدداً كبيراً من الفواصل، مثل: فيكون ولمجنون وهارون والعيون والمشحون ومكنون والبطون وغير ذلك.

ولا يتضح لي سبب للتفريق بين هذه الفواصل والفواصل التي تكون فيها الواو والنون والياء والنون علامة للجمع، وقد جاءت هذه الفواصل التي أخرجها

---

(١) المصدر نفسه ص١٦٥.

(٢) المصدر نفسه ص١٩٦.

(٣) المصدر نفسه ص٢١٦.

(٤) المصدر نفسه ص٢١٦.

(٥) المصدر نفسه ص٢١٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المؤلف من العدد متداخلة مع الفواصل التي عدَّها، وكلها يشترك في تحقيق التناسق الصوتي لرؤوس الآيات الكريمة، وحصل ذلك في فاصلة الألف الواقعة عوضاً عن التنوين المنصوب، وفاصلة الألف المقصورة.

٣- وإذا كان المؤلف قد اتبع منهجاً في عدِّ الفواصل، وإن لم يقم على أساس واضح، فإن القارىء للكتاب يمكن أن يقف على فواصل كان يجب أن تعدَّ لكنه أسقطها سهواً أو عن عمد، وبذلك ينهار البناء الذي أراد أن يشيده، فمن ذلك أنه أسقط (عِضين) في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الحجر] و(عزين) في قوله تعالى: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [المعارج][1]. وكلتا الكلمتين مما جُمعَ بالواو والنون، فعِزون جمع عِزَة بمعنى الجماعة[2]، وكذلك عِضَةٌ وعِضُون[3]، وهما مما أُلحق بجمع المذكر السالم.

وإذا كان في (عزين وعضين) من الغرابة التي منعت المؤلف من إدراجهما فيما يُعَدُّ بالياء والنون، فما الذي حمله على إسقاط فاصلة (الكافرون) في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [غافر][4]، وهي مما ليس فيه اختلاف بين أهل العدد، وثابتة في المصحف المطبوع الذي اعتمد عليه المؤلف في العدِّ؟ وبإضافة هذه الفاصلة إلى الفواصل التي عدَّها مما ينتهي بواو ونون يصبح العدد لا يقبل القسمة على (١٩).

وفَعَلَ الشيء نفسه في الفواصل المقصورة في سورتي طه والنجم، فقد أثبت أولاً في سورة طه: ﴿ٱلْعُلَىٰ ﴿٤﴾﴾ و﴿وَأَخْفَى ﴿٧﴾﴾ و﴿ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾﴾ و﴿وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾، وأثبت في سورة النجم: ﴿بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٣١﴾﴾، ثم محا هذه الفواصل بالحبر الأبيض، وبقيت أماكنها خالية، وغيَّرَ الأرقام على وفق مجموع الفواصل

---

(١) كمال الإعجاز ص٤٥ و٨٨.

(٢) ابن منظور: لسان العرب ١٩/ ٢٨٢ (عزا).

(٣) المصدر نفسه ١٩/ ٢٩٩ (عضا).

(٤) كمال الإعجاز ص٧٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

بعد المحو[1].

ويتساءَل القارىء عن سر هذا الأمر، فيجده في الصفحة نفسها، فيبدو لي أن المؤلف فاته أن يذكر الفواصل في سورتي الطلاق والمعارج، ومجموعها خمس فواصل، فألحقها في صحيفة (١٣٣) وذلك بلصق ورقة صغيرة تتضمن تلك الفواصل، فزاد مجموع الفواصل المقصورة خمسة فواصل مما يجعل العدد لا يقبل القسمة على (١٩)، فلجأ المؤلف إلى رفع خمس فواصل من سورتي طه، والنجم حتى يستقيم له الأمر.

والعجيب أن الفواصل المرفوعة من سورتي طه والنجم قد عَدَّ المؤلف مثيلاتها في سور أخرى، ففاصلة (بالحسنى) المرفوعة في فواصل سورة النجم أثبتها المؤلف في فواصل سورة الليل مرتين[2]. وفاصلة (الكبرى) التي رفعها المؤلف من فواصل سورة طه أثبتها مرتين أيضاً في سورة النازعات[3].

فإذا كانت لغة الأرقام لا تقبل الاجتهاد فإن الفكرة التي قام عليها الكتاب، وهي أن مجموع الفواصل القرآنية يقبل القسمة على العدد (١٩)، ليس لها وجود، وإنما هي تلفيق أو توهم لم يُبْنَ على أساس صحيح، ولس سقوط نظرية العدد (١٩) بمؤثر شيئاً على إعجاز القرآن الكريم الذي يزداد كلما يوم وضوحاً وجلاءً من غير حاجة إلى السير وراء أقاويل ملفقة ومشبوهة.

ثالثاً: العدد (١٩) عدد سماوي:

ختم المؤلف كتابه بهذا العنوان، ليقول للقارىء إن هذا العدد هو أساس بناء الكون كما أنه أساس نظم القرآن. وهو يعتبر ذلك إضافة جديدة على نظرية رشاد خليفة حول هذا العدد، حيث يقول: «منذ أن كشف رشاد خليفة (١٩٨٣) في كتابه الموسوم «معجزة القرآن الكريم» عن وجود نظام حسابي مذهل، وعن

---

(١) كمال الإعجاز ص١٣٢-١٣٣.

(٢) كمال الإعجاز ص١٣٦.

(٣) كمال الإعجاز ص١٣٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

معجزة مادية من خلال عدد من الإحصاءات تتضمن العدد ١٩ ومضاعفاته، وبالاستناد إلى الآية الكريمة ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝٣٠﴾ [المدثر] نُطلق على العدد ١٩ مصطلح (الثابت القرآني)، إلا أن البحث العلمي يكشف بأن العدد ١٩ هو عدد يربط بين حركة ثلاثة أجرام سماوية، هي الشمس والأرض والقمر، والتي استخدمها الإنسان منذ القدم كظواهر طبيعية لعدِّ الزمن وحسابه بواسطة ما يعرف بالتقويم، وأن العدد (١٩) هو ليس ثابتاً قرآنياً حسب، بل هو عدد سماوي، ولا غرابة في ذلك، فالقرآن الكريم أساساً هو كتاب سماوي أولاً وآخراً...»[١].

وقال المؤلف، بعد أن أورد عدداً من الآيات الكريمة تشير إلى تنزيل القرآن: «وفيما يأتي شرح مفصل للعلاقة بين حركة الأجرام السماوية الثلاثة: الشمس والقمر والأرض، والتقاويم المعتمدة عليها لعد الزمن وحسابه وعلاقته بالعدد ١٩ لبيان كونه عدداً سماوياً»[٢].

وتحدَّث المؤلف عن التقويم والأسس التي يستند إليها، وتحدَّث عن الشهر القمري والسنة الشمسية، وعن الدورة الميتونية (نسبة إلى ميتون الفلكي الأثيني الذي عاش في أثينا في القرن الخامس قبل الميلاد)، وذكر أن الدورة الميتونية تعني أن كل ١٩ سنة شمسية تتضمن ٢٣٥ دورة قمرية أو شهراً قمرياً، وفي بداية كل دورة شمسية جديدة تتكرر أوجه القمر وتعاود الظهور في نفس أيام السنة، وأشار إلى أن هذه الدورة كانت معروفة عند البابليين والآشوريين، «وكما استخدمت من قبل اليهود بعد عودتهم من المنفى إلى فلسطين، وثم (كذا) استخدمت بدرجة كبيرة من قبل المسيحيين، والذين (كذا) أطلقوا على العدد ١٩ أسم العدد الذهبي، كما استخدمت من قبل العرب قبل الإسلام وبعده بمدة قصيرة»[٣].

---

(١) كمال الإعجاز ص١٣٨.

(٢) كمال الإعجاز ص١٣٩.

(٣) كمال الإعجاز ص١٤١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

ولا يتضح كيف استخدم العرب الدورة الميتونية قبل الإسلام وبعده، لكن المؤلف يمضي في الحديث عن التقويم العبري أو اليهودي وعن التقويم الميلادي (المسيحي)، ثم يتحدث عن التقويم الهجري أو الإسلامي، ويذكر أن أهل الديانات الثلاث يعتمدون على التقويم القمري في تحديد شعائرهم الدينية، وإن كان المسيحيون يعتمدون التقويم الشمسي في حياتهم العملية[1].

وبعد أن ينتهي المؤلف من الحديث عن التقاويم الثلاثة، وعن طول اليوم الشمسي واليوم القمري، وعن العلاقة بين السنة الشمسية والسنة القمرية يخلص إلى النتيجة الآتية: «ومن هذه الدراسة للتقاويم العبري والميلادي والهجري يتبين بوضوح أن اليهود في تقويمهم يتبعون التقويم الهجري (كذا) من خلال كون أشهر السنة العبرية أشهر (كذا) قمرية، وإن التوفيق بين الأشهر القمرية والسنوات الشمسية تتوافق بدورة ١٩ سنة شمسية، وكذلك بالنسبة للتقويم الميلادي، وحيث رجال الكنيسة المسيحية يحددون مواعيد عيد الفصح برؤية هلال الشهر الذي يقع في آذار أو نيسان، وتكراره كل ١٩ سنة. ومن هنا تظهر أهمية وجوهر التقويم الهجري الإسلامي والعدد ١٩ كعدد سماوي»[2].

ولا تعليق لديَّ على ما ذكره المؤلف عن الدورة الميتونية، وأترك ذلك لأهل الاختصاص بعلم الفلك، ولكني أتوقف عند محاولة المؤلف الربط بين التقاويم الثلاثة، وقوله: بأن اليهود يتبعون التقويم الهجري، وكذلك بالنسبة للتقويم الميلادي، فلا يكفي أن تتخذ أمم متعددة أو أتباع ديانات مختلفة حركة الشمس أو القمر أساساً لتحديد الزمن وبناء التقويم، لكي نقول إنهم يتبعون التقويم الهجري أو الإسلامي، فملاحظة حركة الشمس والقمر متاحة للجميع وفي كل الأماكن والأزمان، ولا يجد الإنسان بديلاً عنها في تحديد الوقت والتقويم.

وشواهد التاريخ وحقائق الواقع المر اليوم للعلاقة بين أتباع التقاويم الثلاثة لا

---

(١) ينظر: كمال الإعجاز ص١٤٢-١٤٨.

(٢) كمال الإعجاز ص١٤٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

تسمح باعتماد مثل هذه النظرة الإنسانية الوادعة، وإذا كان الجميع يتطلعون إلى الشمس أو القمر حين يحددون الزمن فإن ذلك لا يحمل على القول بأنهم يتبعون تقويماً واحداً.

أما محاولة الربط بين التقويم الهجري والعدد ١٩ فلا سند لها من التاريخ ولا دليل عليها من الواقع، فإذا صح أن منازل القمر تتكرر كل ١٩ سنة شمسية فإن ذلك ليس كافياً للقول إن العدد ١٩ هو عدد سماوي، كما أنه عدد قرآني! فهذا التهويل والتطبيل حول العدد (١٩) كأنه أمر مقصود تحركه غاية واحدة.

وهناك جوانب في كتاب «كمال الإعجاز في القرآن الكريم» تستحق المناقشة، ولكني اكتفيت بمناقشة القضية الأساسية فيه، وهي الأخطر في تلك الجوانب، حتى لا يخرج البحث عن حجمه المعقول، والله تعالى يقول الحق وهو يهدي السبيل.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

خاتمة

في الختام أحسب أن القارىء يشاركني القول: إن الإعجاز العددي حقيقة واضحة في جانب، وتوهم أو تلفيق في جانب آخر، فما جاء في القرآن من توافق مرات ورود كثير من الكلمات المتقابلة أمر واضح لا غبار عليه، ولا شك فيه، وهو دليل على صدق النبي ﷺ في تلقيه القرآن الكريم عن الله عز وجل، إلى جانب الأدلة الأخرى الكثيرة التي تحدَّث عنها العلماء، وسواء سَمَّيْنا ذلك إعجازاً أم دليلاً على صدق النبوة، فإنه أمر ثابت لا ينكره إلا مكابر.

أما الإعجاز العددي المرتبط بنظرية العدد (١٩) فإنه أمر زائف وشيء ملفق، سلك القائلون به طرقاً مُعْوَجَّة، وارتكبوا تحريفات كثيرة، ليس من أجل إبراز إعجاز القرآن، ولكن من أجل أن تظل لهذا الرقم دلالته السحرية، ودعايته الخادعة، التي يربط الباحثون بينها وبين عقيدة البهائية المنحرفة.

أما كتاب «كمال الإعجاز في القرآن الكريم» فإني لا أملك ما يحملني على التشكيك في صدق نوايا كاتبه، ولكني أجده قد جانب الصواب حين اتخذ من نظرية رشاد خليفة المردودة أساساً للكتاب، وعلى الرغم من النقاط الكثيرة التي تحتمل النقاش فيه إلا أنني أردت أن أُبَيِّن لقارىء الكتاب ضعف الأساس الذي استند إليه، واضطراب المنهج الذي سار عليه. وسمو الهدف لا يسوِّغُ الخروج على أُصول البحث العلمي. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

(٤)

حكمةُ التكرار في القرآنِ الكريمِ
مِن خلالِ رسائلِ النور[١]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

الحمدُ للهِ، والصلاةُ والسلامُ على سَيِّدِنا محمدٍ رسولِ اللهِ، وبعد:

فإنَّ التكرار أسلوب شائع في التعبير القرآني، وظنَّ بعض مَن لا معرفة له بأساليب الكلام أن التكرار يُخِلُّ بفصاحة الكلام ولا ضرورة له في بيان المعاني. وكان ذلك الظن المخطوء سبباً لاعتناء المفسرين ودارسي علوم القرآن ببيان حكمة التكرار في التعبير القرآني، وإظهار أن التكرار أسلوب شائع في العربية يلجأ إليه المتكلم لتأكيد الكلام وتقرير المعاني، وأنه مظهر من مظاهر الفصاحة، وصورة من صور البلاغة.

وكان الأستاذ سعيد النُّورسي - رَحِمَهُ اللهُ تعالى - شديدَ العناية بإظهار إعجاز القرآن من وجوهه المختلفة، وكان أحد تلك الوجوه ما سمَّاه بمعجزة التكرار في القرآن الكريم، فقد تحدث عن هذه القضية في مواضع متعددة من مؤلفاته ورسائله، حديثاً يتميز بالنظرة العميقة الشاملة التي تجعلُ القارئَ يشارك المؤلف

---

(١) منشور في وقائع المؤتمر العالمي الرابع لبديع الزمان سعيد النورسي (نحو فهم عصري للقرآن الكريم: رسائل النور أنموذجاً) ١٩٩٨م.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

رأيه بأنَّ: القرآن الكريم يُظْهِرُ نوعاً من إعجازه البديع في تكراره البليغ.

وتناولت في هذا البحث ظاهرة التكرار في القرآن الكريم بالدراسة والتحليل، وجاء في مبحثين:

المبحث الأول: ظاهرة التكرار في القرآن الكريم وموقف المفسرين والدارسين منها.

المبحث الثاني: ظاهرة التكرار في القرآن الكريم والحكمة منها من خلال رسائل النور.

وقد جعلتُ المبحث الأول بمثابة التمهيد لدراسة الظاهرة من خلال رسائل النور، عسى أن يسهم ذلك في إبراز جانب من فكر النورسي في فهم هذه الظاهرة في التعبير القرآني بما يزيل ما يكون قد علق ببعض الأذهان من شبهات حولها. والله والموافق للصواب، وإليه المرجع والمآب.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المبحث الأول

ظاهرةُ التكرار في القرآن الكريم، وموقفُ المفسرين والدارسين منها

التكرار[1] في اللغة معناه إعادة الشيء مرة بعد أخرى، ويقال: كرَّرتُ الشيء تكريراً، وتكراراً[2].

أما في الاصطلاح فقد عَرَّفه بدر الدين الزركشي (ت٧٩٤هـ) بقوله: «وحقيقتُه إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى»[3].

ويمكن أن نقسم التكرار في القرآن من خلال الآيات التي ورد فيها على الأقسام الآتية:

١- التكرار اللفظي، وهو أن يعاد اللفظ الواحد بنصه، وكذا العبارة أو الآية. ويمكن أن نقسم التكرار اللفظي على قسمين أيضاً، هما:

أ- التكرار اللفظي المتصل، وهو ما كُرِّرَ فيه اللفظ أو العبارة من غير فاصل بين الأول والثاني.

---

(١) قياس مصدر الفعل كرَّر هو التكرير، أما التَّكرار - بفتح التاء - فقيل: هو محوَّلٌ عن التكرير، وقيل هو مأخوذ من كرَّر للمبالغة والتكثير. (ينظر: سيبويه: الكتاب ٤/ ٧٩، والرضي: شرح الشافية ١/ ١٦٧).

(٢) ينظر: ابن منظور: لسان العرب ٦/ ٤٥٠ مادة كرر.

(٣) البرهان ٣/ ١٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

ب- التكرار اللفظي المنفصل، وهو ما كُرِّرت فيه العبارة مفصولة عن الموضع الأول الذي وردت فيه بفاصل قد يطول وقد يقصر.

٢- التكرار المعنوي، وهو تكرار المعنى الواحد، أو القصة الواحدة بألفاظ مترادفة أو عبارات متباينة.

وسوف أعرض ما ورد في القرآن الكريم من التكرار أولاً، ثم أُتبع ذلك بذكر جهود المفسرين والدارسين في دراسة تلك الظاهرة، وتلخيص ما قالوه في تفسيرها.

أولاً: صور التكرار في القرآن الكريم:

١- **التكرار اللفظي المتصل**: وهو يشمل تكرار كلمة، وتكرار جملة أو آية[١].

فمما وقع في القرآن الكريم من تكرار الكلمة قوله تعالى:

١- ﴿ ۞ هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [المؤمنون].

٢- ﴿ كَانَتۡ قَوَارِيرَاْ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [الإنسان].

٣- ﴿ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الفجر].

ومما وقع في القرآن الكريم من تكرار الجملة قوله تعالى:

١- ﴿ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [المدثر].

٢- ﴿ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ﴿٣٥﴾ ﴾ [القيامة].

٣- ﴿ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [النبأ].

٤- ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ ﴾ [الانفطار].

٥- ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ﴿٦﴾ ﴾ [الشرح].

---

(١) ينظر: الزركشي: البرهان ٣/ ٩، والسيوطي: الإتقان ٣/ ١٩٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

٦- ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ ﴾ [التكاثر].

٢- **التكرار اللفظي المنفصل**: وهو يشمل تكرار جملة أو آية أو عدة آيات. ومما وقع في القرآن الكريم منه قوله تعالى:

١- ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝٩ ﴾ [الشعراء] تكررت هاتان الآيتان سبع مرات بعد هذا الموضع في السورة ذاتها(١).

٢- ﴿ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ ۝٦٠ ﴾ النمل] تكررت هذه الجملة في سورة النمل أربع مرات بعد هذا الموضع [الآيات ٦١-٦٥].

٣- ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧ ﴾ [القمر] تكررت هذه الآية ثلاث مرات بعد هذا الموضع [الآيات ٢٢، ٣٢، ٤٠].

٤- ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝١٦ ﴾ [القمر] تكررت أربع مرات [١٦، ١٨، ٢١، ٣٠].

٥- ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣ ﴾ [الرحمن] تكررت هذه الآية في سورة الرحمن بعد هذا الموضع ثلاثين مرة.

٦- ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٥ ﴾ [المرسلات] تكررت هذه الآية تسع مرات بعد هذا الموضع في السورة ذاتها.

٧- ﴿ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٣ ﴾ [الكافرون] [٣ و٥].

٣- **التكرار المعنوي**:

ورد في القرآن الكريم الحديث عن عدد من الموضوعات في سورة متعددة، مثل قِصَص عدد من الأنبياء - عليهم السلام - كآدم ونوح وإبراهيم وموسى،

---

(١) وهي الآيات: ٦٧-٦٨، ١٠٣-١٠٤، ١٢١-١٢٢، ١٣٩-١٤٠، ١٥٨-١٥٩، ١٧٤-١٧٥، ١٩٠-١٩١ من سورة الشعراء.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

ومثل الحديث عن مشاهد القيامة والجنة والنار، والحديث عن الظواهر الكونية ودلائل التوحيد.

وحديث القرآن عن هذه الموضوعات لم يتكرر بصورة متطابقة في كل المواضع، فهناك تنوع في العبارات، وهناك تنوع في المعاني، مما يُخْرِجُ هذه الموضوعات عن ظاهرة التكرار اللفظي المحض. والذي جعلني أضع عنوان (التكرار المعنوي) هو حديث علماء السلف عن تكرار القصص في القرآن الكريم، واعتناء الأستاذ النورسي بهذا الموضوع ومعالجته المتكررة له في عدد من رسائله ومؤلفاته.

وأمثلة هذا النوع من التكرار يضيق المقام عن استيعابها، وسوف نشير إلى أمثلة منها في أثناء الحديث عن الحكمة منها، في هذا البحث، إن شاء الله.

ثانياً: جهود علماء السلف في دراسة ظاهرة التكرار في القرآن الكريم:

لفتت ظاهرة التكرار في القرآن الكريم نظر عدد كبير من علماء السلف، فتناولها المفسرون والباحثون في إعجاز القرآن وعلماء البلاغة والبيان، ويبدو أن ما أثاره بعض الملاحدة من تساؤل حول تلك الظاهرة قد حملهم على الاعتناء بها، والبحث عن تعليل لها، والسعي لإظهار حكمتها.

أشار ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) إلى أن بعض الطاعنين في القرآن من الملاحدة تعلقوا بظاهرة التكرار في الكلام مثل قوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ [الرحمن] وتكرار القصص والأنباء[1]. وذكر الخطابي (ت٣٨٨هـ) أنهم قالوا: «قد يوجد في القرآن الحذف الكثير والاختصار الذي يُشْكِل معه وجه الكلام ومعناه... ثم قد يوجد فيه على العكس منه التكرار المضاعف كقوله سبحانه في سورة الرحمن: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾، وفي سورة المرسلات: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾، وليس واحد من المذهبين بالمحمود عند أهل اللسان»[2]. وقال

(١) تأويل مشكل القرآن ص٣٢.

(٢) بيان إعجاز القرآن ص٣٩-٤٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

السكاكي (ت٦٢٦هـ) وهو يتحدث عن مطاعن الضالين والرد عليهم: «ومنها أنهم يقولون: لا شبهة في أن التكرار شيءٌ معيبٌ خالٍ عن الفائدة، وفي القرآن من التكرار ما شئت، ويعدون قصة فرعون ونظائرها ونحو: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ [الرحمن] و﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾ [المرسلات] وغير ذلك مما ينخرط في هذا السلك»[1].

كانت تلك الشبهات قد زادت من عناية المفسرين ببيان حكمة ما تكرر من آيات القرآن، كما أنها نبهت غيرهم إلى الاعتناء بهذا الموضوع، فصار الدارس يجد جماعات من علماء السلف ممن درس هذه الظاهرة واعتنى ببيان أسرارها ودلالاتها في القرآن الكريم وفي اللغة العربية، ومن أهم تلك الجماعات:

١- **المفسرون**: كان مفسرو القرآن الكريم أكثر عناية من غيرهم بتفسير الآيات المكررة وإبراز حكمة التكرار فيها. ويبدو أن ذلك ظهر عندهم في وقت مبكر، فكان الفراء (ت٢٠٧هـ) قد وقف عند عدد من الآيات المكررة في تفسيره المسمى (معاني القرآن)[2]. ويتفاوت المفسرون في مقدار عنايتهم بهذا الموضوع، وكان البغوي (ت٥١٦هـ) والقرطبي (ت٦٧١هـ) من أكثرهم عناية به في تفسيرهما «معالم التنزيل» و«الجامع لأحكام القرآن».

٢- **المؤلفون في المتشابه**: لكلمة المتشابه دلالتان في الدراسات القرآنية، الأولى: بمعنى المُشْكِل في معناه. والثانية: المتناظر في مبناه. وقد اعتنى المؤلفون في المَعْنَيَيْنِ جميعاً بظاهرة التكرار، وأشهر تلك المؤلفات «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، و«درة التنزيل وغرة التأويل» للخطيب الإسكافي (ت٤٢٠هـ)، و«البرهان في متشابه القرآن» المطبوع باسم «أسرار التكرار في القرآن» لمحمود بن حمزة الكرماني (ت نحو ٥٠٥هـ)، و«ملاك التأويل» لأحمد بن إبراهيم الزبيري (ت٧٠٨هـ).

---

(١) مفتاح العلوم ص٥٩٢.

(٢) معاني القرآن ٣/ ٢٨٧-٢٨٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

٣- **المؤلفون في البلاغة العربية**: فقد صارت ظاهرة التكرار لوناً من ألوان أسلوب الإطناب، يتناوله المؤلفون في البلاغة العربية ويعرضون أمثلته من آيات القرآن الكريم، على نحوما نجد عند أبي الهلال العسكري (ت٣٩٥هـ) في كتابه «الصناعتين»[١]، وعند جلال الدين القزويني (ت٧٣٩هـ) في كتابه «الإيضاح في علوم البلاغة»[٢].

٤- **المؤلفون في إعجاز القرآن**: تعرض بعض المؤلفين في موضوع إعجاز القرآن لظاهرة التكرار بوصفها صورة من صور البلاغة ولوناً من ألوان البديع، لكن ذلك كان على نحو موجز، كما نجد عند الخطابي (ت٣٨٨هـ) في كتابه «بيان إعجاز القرآن»[٣]، وعند الباقلاني (ت٤٠٣هـ) في كتابه «إعجاز القرآن»[٤].

٥- **المؤلفون في خصائص العربية من اللغويين**: أشار عدد منهم إلى ظاهرة التكرار في الكلام العربي وأوردوا لها أمثلة من أشعار العرب وآيات القرآن الكريم، على نحو ما نجد عند ابن فارس (ت٣٩٥هـ) في كتابه «الصاحبي في فقه اللغة»[٥]، والثعالبي (ت٤٣٠هـ) في كتابه «فقه اللغة وسر العربية»[٦].

٦- **المؤلفون في علوم القرآن**: ظهر مصطلح (علوم القرآن) منذ وقت مبكر من تاريخ التأليف في موضوعات القرآن الكريم للدلالة على جملة تلك الموضوعات، على نحو ما نجد عند ابن النديم في كتابه «الفهرست» الذي ألفه سنة ٣٧٧هـ. وقد اتخذت المؤلفات في علوم القرآن شكلها المتميز بعد أن ألَّف بدر الدين الزركشي (ت٧٩٤هـ) كتابه «البرهان في علوم القرآن»، وألَّف السيوطي (ت٩١١هـ) كتابه «الإتقان في علوم القرآن». وجمع هذان العالمان في كتابيهما

---

(١) الصناعتين ص١٩٩.

(٢) الإيضاح ص١٩٨.

(٣) بيان إعجاز القرآن ص٥٢.

(٤) إعجاز القرآن ص١٠٦.

(٥) الصاحبي ص٣٤١، وينظر: السيوطي: المزهر ١/ ٣٣٢.

(٦) فقه اللغة ص٣٥٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

أكثر ما كتب عن ظاهرة التكرار في القرآن الكريم ونقلا نصوصاً وأقوالاً من مؤلفات لم يبق لها ذكر في زماننا حول تلك الظاهرة[1].

تلك هي أهم ما وقفت عليه من جهود علماء السلف الذين درسوا ظاهرة التكرار قبل الأستاذ سعيد النورسي، من خلال ما تيسر لي من المصادر، ولا أستبعد أن يكون قد فاتني ذكر جهود أُخرى لم أقف عليها. لكن مما تجب الإشارة إليه هو أن تلك الجهود قد تعمقت وتنوعت حتى أثمرت مؤلفات مستقلة حفظ لنا التاريخ من أسمائها كتاب «المقتنص في فوائد تكرار القصص» لبدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة (ت٧٣٣هـ)[2]، وكتاب «نخبة الأذهان فيما وقع من التكرير في القرآن» لمحمد بن عبد العظيم المعروف بابن عتيق (ت١٠٨٨هـ)[3].

ثالثاً: موقف علماء السلف من تفسير ظاهرة التكرار في القرآن الكريم:

تناول علماء السلف - رحمهم الله تعالى - كل آية فيها تكرار بالتفسير والتحليل، وعَرْضُ كلِّ ما قالوه في ذلك أمر لا يتسع له هذا البحث، كما أن الغرض من الحديث عن موقفهم من ظاهرة التكرار هو التمهيد للحديث عن حكمة التكرار لدى الأستاذ النورسي، ومن ثَمَّ سوف أكتفي بعرض الاتجاهات الرئيسة في تفسير الظاهرة ملخصاً ما قالوه في ما سميناه بالتكرار اللفظي المتصل، والمنفصل، والتكرار المعنوي.

١- التكرار اللفظي المتصل:

إنَّ دلالة التكرار العامة هي التوكيد، وقد صرح الفراء (يحيى بن زياد ت٢٠٧هـ) بذلك في أثناء حديثه عن الآيات التي فيها هذا النوع من التكرار في كتابه «معاني القرآن»، فقال، وهو يتحدث عن قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝

(١) البرهان ٣/٨-٣٤، والإتقان ٣/١٩٣-٢٠٦.

(٢) ينظر: السيوطي: الإتقان ٣/٢٠٤، والبغدادي: هدية العارفين ٢/١٤٨.

(٣) ينظر: الزركلي: الأعلام ٦/٢١٠، ومحمد الحسناوي: الفاصلة في القرآن ص٢٦٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ [التكاثر]: «والكلمةُ قد تُكَرِّرُهَا العربُ على التغليظ والتخويف، فهذا من ذاك»(١)، وجعل منه أيضاً قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ [الشرح]، ثم قال: «ومن التغليظ قوله في سورة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾ [الكافرون] مكرَّرٌ، كُرِّرَ فيها، وهو معنى واحد»(٢).

وكان لأبي العباس ثعلب (أحمد بن يحيى ت٢٩١هـ) رأي آخر في تفسير هذا النوع من التكرار، فهو يحمله على تعدد معاني العبارات، وإن اتحدت ألفاظها، فَيُرْوَى أنه قال وهو يتحدث عن قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾ [الكافرون]: «إنما حَسُنَ التكرارُ لأن تحت كل لفظة معنى ليس هو تحت الأخرى»(٣).

وحمل ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) التكرار اللفظي المتصل على التوكيد، فقال: «وأما تكرار الكلام من جنس واحد وبعضه يُجْزِىء عن بعض كتكراره في ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون]... فقد أعلمتُكَ أن القرآن نزل بلسان قوم وعلى مذاهبهم، ومن مذاهبهم التكرار إرادة التوكيد والإفهام... قال الله عز وجل: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ [التكاثر]، وقال: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ [الشرح]، وقال: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٤ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٥﴾ [القيامة]، وقال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٨﴾ [الانفطار]، كل هذا يُرادُ به التأكيد للمعنى الذي كُرِّرَ به اللفظ»(٤).

وكان المؤلفون في تأويل ما تشابه من القرآن الكريم أكثر ميلاً إلى الأخذ برأي ثعلب في تفسير هذا النوع من التكرار، فقال الخطيب الإسكافي (ت٤٢٠هـ) عن قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥﴾ [الشرح]: «وإذا لم يكن ذاك لم يكن

(١) معاني القرآن ٣/ ٢٨٧.
(٢) معاني القرآن ٣/ ٢٨٨.
(٣) نقلاً عن: أمالي المرتضى ١/ ٨٣.
(٤) تأويل مشكل القرآن ص٢٣٥-٢٣٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

تكراراً»[1]، وقال الكرماني (ت نحو ٥٠٥هـ) عن الآية ذاتها: «ليس بتكرار..»[2].

وقال الخطيب الإسكافي في تفسير التكرار في سورة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون]: «إن سأل سائل عن التكرار في هذه السورة؟ فالجواب أن يقال: إنا قد أجبنا في جامع التفسير عن ذلك بأجوبة كثيرة، فنذكر منها واحداً في هذا الموضع... فلم يقع (تكراراً) على هذا الوجه، ولا على (الوجوه الأخرى) التي ذكرنا في جامع التفسير»[3]. وقال أبو جعفر الزبيري (ت٧٠٨هـ) عنها أيضاً: «للسائل أن يسأل عن تكرير ما ورد فيها؟ والجواب أنها لم تتكرر فيها آية واحدة إذا اعتبرت أن كل آية منها تفيد من المعنى وتُحَرِّرُ ما لا تفيده الأخرى بذلك التحرير، فكأنها متباينة الألفاظ لتباين معانيها مع جليل التشاكل وعَلِيِّ التلاؤم والتناسب... فَعَبَّرَ عن هذه الآية بأربع آيات فلا تكرار»[4].

أما المفسرون المتأخرون فإنهم صاروا يجمعون أقوال مَن سبقهم في تفسير الآيات المذكورة، فتعددت الآراء وتشعبت المناقشات وصار على القارىء أن يطيل النظر ليصل إلى الرأي الراجح من خلال ما يورده أولئك المفسرون من أقوال واحتجاجات.

وسوف أقف عند تفسيرهم للتكرار في سورة (الكافرون) وسورة الشرح، وأنقل ما قالوه باختصار شديد لا لتوضيح الآراء ولكن لإظهار المنهج.

قال الخازن (ت٧٢٥هـ): ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾ [الكافرون] في معنى الآية قولان:

---

(١) درة التنزيل ص٥٣٣.

(٢) أسرار التكرار ص٢٢١.

(٣) درة التنزيل ص٥٣٦.

(٤) ملاك التأويل ص١١٥٠-١١٥١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

أحدهما: أنه لا تكرار فيها...

القول الثاني: حصول التكرار في الآية...»[1].

وقال أبو حيان: «وللمفسرين في هذه الجمل أقوال:

أحدها: أنها للتوكيد...

والثاني: أنه ليس للتوكيد، واختلفوا: فقال الأخفش: المعنى لا أعبدُ الساعةَ ما تعبدون، ولا أنتم عابدون السنة ما أعبد، ولا أنا عابدٌ في المستقبلِ ما عبدتم، ولا أنتم عابدون في المستقبل ما أعبد، فزال التوكيد، إذ قد تَقيَّدت كل جملة بزمان مغاير.

وقال أبو مسلم: (ما) في الأُولَيَيْنِ بمعنى الذي، والمقصود المعبود، وفي الأُخْرَيَيْنِ مصدرية، أي: لا أعبد عبادتكم...

وقال ابن عطية:

وقال الزمخشري:

والذي أختاره في هذه الجمل...»[2].

وقال البغوي (ت٥١٦هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝﴾ [الشرح]: «... فالعسر في الآية مكرر بلفظ التعريف فكان عسراً واحداً، واليسر مكرر بلفظ النكرة فكان يسرين، كأنه قال: فإن مع العسر يسراً، إن مع ذلك العسر يسراً آخر.

وقال أبو علي الحسين بن يحيى بن نصر الجرجاني، صاحب النظم: تكلم الناس في قوله: لن يغلب عسر يسرين فلم يحصل منه غير قولهم: إن العسر

---

(١) لباب التأويل ٧/ ٢٥٤.

(٢) البحر المحيط ٨/ ٥٢١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

معرفة واليسر نكرة فوجب أن يكون عسر واحد ويسران. وهذا قول مدخول، إذا قال الرجل إن مع الفارس سيفاً، إن مع الفارس سيفاً، فهذا لا يوجب أن يكون الفارس واحد (كذا) والسيف اثنان (كذا)... فقال: إن مع العسر يسراً، مجازه لا يحزنك ما يقولون فإن مع العسر يسراً في الدنيا عاجلاً... ثم ابتدأ فضلاً آخر من أمر الآخرة فقال: «إن مع العسر يسراً...»[1].

وقال الزمخشري (ت٥٣٨هـ): «... يحتمل أن تكون الجملة الثانية تكريراً للأولى... وأن تكون الأولى عِدَة بأن العسر مردوف بيسر لا محالة، والثانية عِدَةٌ مستأنفة بأن العسر متبوع بيسر، فهما يسران على تقدير الاستئناف»[2].

وقال أبو حيان (ت٧٤٥هـ) في تفسير الآية ذاتها: «والظاهر أن التكرار للتوكيد، كما قلنا.

وقيل: تكرر اليسر باعتبار المحل، فيسر في الدنيا، ويسرٌ في الآخرة.

وقيل: مع كل عسر يسران، من حيث إن العسر معرَّف بالعهد واليسر منكر، فالأول غير الثاني، وفي الحديث: لن يغلب عسر يسرين»[3].

٢- التكرار اللفظي المنفصل:

كان الاتجاه البارز لدى العلماء في تفسير هذا النوع من التكرار، إلى جانب ما يؤديه من معنى التوكيد والتقرير، هو أن السياق استدعى تكرار الآية المكررة، وأنها تتعلق بغير ما تعلقت به الآية الأولى. فهو تكرار في الظاهر فقط، أما في الحقيقة فإنه تأسيس لمعنى جديد.

قال ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ): «وأما تكرار ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾ [الرحمن] فإنه عدَّدَ في هذه السورة نعماءَه، وأذكرَ عباده آلاءَه، ونَبَّهَهُم على

---

(١) معالم التنزيل ٧/ ٢١٩-٢٢٠.

(٢) الكشاف ٤/ ٢٦٧.

(٣) البحر المحيط ٨/ ٤٨٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

قدرته ولطفه بخلقه، ثم أتبعَ ذكر كل خَلَّة وَصَفَها بهذه الآية، وجعلها فاصلة بين كل نعمتين ليفهمهم النعم ويقررهم بها. . . ومثل ذلك تكرار ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٥﴾ [القمر] في سورة اقتربت الساعة، أي هل من معتبر ومتعظ؟»[١].

وقال الخطيب الإسكافي (ت٤٢٠هـ): «وإذا كان قوله: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٥﴾ [المرسلات] رِدْفَ كلامٍ يدل على ما يجب تصديقه وترك التكذيب به، وكانت المعاني مختلفة، سَلِمَ من التكرار»[٢].

وقال النسفي (ت٧١٠هـ) حول قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٩﴾ [الشعراء]: «وقد كُرِّرَ في هذه السورة في أول كل قصة وآخرها ما كُرِّرَ تقريراً لمعانيها في الصدور، ليكون أبلغ في الوعظ والزجر، ولأن كل قصة منها كتنزيل برأسه، وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها، فكانت جديرة بأن تُفْتَتَحَ بما افتتحت به صاحبتها، أن تُختتم بما اختتمت به»[٣].

وقال القاضي البيضاوي (ت٧٩١هـ) وهو يفسر قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧﴾ [القمر]: «كُرِّرَ ذلك في كل قصة إشعاراً بأن تكذيب كل رسول مقتضٍ لنزول العذاب، واستماع كل قصة مستدع للأدِّكار والاتعاظ. واستئنافاً للتنبيه والاتعاظ لئلا يغلبهم السهو والغفلة، وهكذا تكرير قوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾ [الرحمن] و﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٥﴾ [المرسلات] ونحوهما»[٤].

وحاول عدد من العلماء تعليل الأعداد التي تكررت فيها آيات معينة، مثل تكرر ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾ [الرحمن] إحدى وثلاثين مرة[٥]، لكن

---

(١) تأويل مشكل القرآن ص٢٣٩.

(٢) درة التنزيل ص٥١٣، وينظر: الكرماني: أسرار التكرار ص٢١٣.

(٣) مدارك التنزيل ٣/ ١٩٥.

(٤) أنوار التنزيل ٢/ ٤٤٩.

(٥) ينظر: الخطيب الإسكافي: درة التنزيل ص٤٦٣، والكرماني: أسرار التكرار ص١٩٨، =

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

الفخر الرازي (ت٦٠٤هـ) لم يجد في تلك التعليلات ما يقوم دليلاً على صحتها، ومن ثم قال: «وأما هذا العدد الخاص فالأعداد توقيفية، لا تطلع على تقدير المقدَّرات أذهانُ الناس، والأولى ألَّا يبالغ الإنسان في استخراج الأمور البعيدة في كلام الله تعالى»[١].

٣- التكرار المعنوي:

وهو ذكر القصة الواحدة أو الموضوع الواحد في أماكن متعددة بألفاظ مختلفة، فكأن القصة أو الموضوع يعتاد ذكرهما المرة بعد الأخرى، فيكون في الظاهر نوعاً من التكرار، وكان علماء السلف قد تعرضوا له بالتفسير والتعليل ضمن معالجتهم لظاهرة التكرار في القرآن الكريم.

قال ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ): «وأما تكرار الأنباء والقِصص فإن الله تبارك وتعالى أنزل القرآن نجوماً في ثلاث وعشرين سنة... وكانت وفود العرب ترد على رسول الله ﷺ للإسلام، فيقرئهم المسلمون شيئاً من القرآن، فيكون ذلك كافياً لهم. وكان يبعث إلى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة، فلو لم تكن الأنباء والقصص مُثَنَّاة ومُكَرَّرَةً لوقعت قِصة موسى إلى قوم، وقصة عيسى إلى قوم، وقصة نوح إلى قوم، وقصة لوط إلى قوم، فأراد الله بلطفه ورحمته أن يُشْهِرَ هذه القصص في أطراف الأرض، ويُلقيها في كل سمع، ويثبتها في كل قلب، ويزيد الحاضرين في الإفهام والتحذير»[٢].

وقال ابن فارس (ت٣٩٥هـ): «فأما تكرير الأنباء والقِصص في كتاب الله - جَلَّ ثناؤه - فقد قِيلَت فيه وجوه. وأصحُّ ما يقال فيه: إن الله - جل ثناؤه - جعل هذا القرآن وعَجْزَ القوم عن الإتيان بمثله آيةً لصحةِ نبوةِ محمد ﷺ ثم بَيَّن وأوضح الأمر في عجزهم بأن كَرَّرَ ذكر القصة في مواضع، إعلاماً أنهم عاجزون

= والنسفي: مدارك التنزيل ٤/ ٢١٤.

(١) التفسير الكبير ٢٩/ ٩٧.

(٢) تأويل مشكل القرآن ص٢٣٢-٢٣٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

عن الإتيان بمثله، بأي نظم جاء، وبأي عبارة عَبَّر عنه، فهذا أولى ما قيل في هذا الباب»[1].

وتحدث كل من الزركشي (ت٧٩٧هـ) في كتابه «البرهان» والسيوطي (ت٩١١هـ) في كتابه «الإتقان» عن تكرار قِصص الأنبياء في القرآن، وقد ذكر الزركشي فوائد عدة لذلك، وأعاد السيوطي ذكر معظمها لكنه صَرَّح أنه اقتبسها من كتاب «المقتنص في فوائد تكرار القِصص» لبدر الدين بن جماعة (ت٧٣٣هـ) المذكور سابقاً.

ويمكن تلخيص ما ذكراه بالنقاط الآتية[2]:

١- إن في كل موضع تكررت فيه القصة زيادة شيء لم يذكر في الذي قبله، فكأن القصة تتكرر والحقيقة أنها لا تتكرر، ولكن يرد في كل موضع جانب منها بحسب ما يقتضيه السياق.

٢- مراعاة أحوال الصحابة في تباعد منازلهم، وعدم تمكن كثير منهم من متابعة تعلم سور القرآن كلها، فلولا تكرار القِصص لوقعت قصة موسى إلى قوم وقصة عيسى إلى قوم آخرين، وكذا سائر القصص، فأراد الله اشتراك الجميع فيها، فيكون فيه إفادة لقومٍ وزيادة تأكيد لآخرين.

٣- ما سبق أن ذكره ابن فارس من أن الله تعالى جعل القرآن آية لصحة نبوة محمد ﷺ وأنه كرر ذكر القصة الواحدة بأساليب مختلفة، وأن القوم عَجَزوا عن الإتيان بمثله مع تنوع أساليبه، فكان ذلك أظهر لعجزهم.

☆ ☆ ☆

وفي نهاية هذا البحث يمكن أن نلخص أهم ملامح معالجة علماء السلف لظاهرة التكرار في القرآن الكريم بما يأتي:

---

(١) الصاحبي ص٣٤٣.

(٢) ينظر: البرهان ٣/ ٢٥، والإتقان ٣/ ٢٠٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

١- أنهم تناولوا بالبحث ثلاث صور من التكرار، وهي ما سميناه التكرار اللفظي المتصل، والمنفصل، والتكرار المعنوي.

٢- تعددت التفسيرات التي أعطوها للظاهرة الواحدة، لاسيما المتأخرين منهم، مما يدع القارىء في موقف يصعب عليه فيه ترجيح تفسير واحد منها.

٣- انقسموا في تعليل التكرار المتصل بين القول بدلالته على التوكيد والقول بأنه يدل على معنى جديد غير ما يدل عليه الأول. وكان الغالب عليهم في تعليل المنفصل أنه يدل على معنى جديد، فهو تكرار في الظاهر فقط. أما التكرار المعنوي فمنهم من عالله بمراعاة حال الصحابة وأنه تكرار على الحقيقة، ومنهم من عالله بتضمن كل موضع زيادة ليس في الموضع الآخر، فيخرج بذلك عن كونه تكراراً.

٤- لم نفصِّل آراءَهم في تعليل ظاهرة التكرار لأن ذلك لا يتسع له المجال في هذا البحث، واكتفيت بإبراز الاتجاهات العامة لدراستهم لهذه الظاهرة، حتى يكون ذلك تمهيداً لبحثها في كتابات الأستاذ النورسي.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المبحث الثاني
ظاهرة التكرار في القرآن الكريم
من خلال رسائل النور

أولاً: استناد كتابات النورسي إلى القرآن الكريم:

تجدر الإشارة أولاً إلى أن النورسي قد اتخذ من القرآن مصدراً للإلهام وموضوعاً للدراسة والبحث في الوقت نفسه، ففي مرحلة مبكرة من حياته الفكرية وجد نفسه في حيرة شديدة أمام تعدد الطرق التي يمكن أن يسلكها حتى اهتدى إلى طريق القرآن، يقول في كتابه «مكتوبات»: «وحينما كنت أتقلب في هذه الحيرة الشديدة، إذا بخاطر رحماني من الله سبحانه وتعالى يخطر على قلبي ويهتف بي: إن بداية هذه الطرق جميعها، ومنبع هذه الجداول كلها، وشمس هذه الكواكب السيارة، إنما هو (القرآن الكريم)، فتوحيد القبلة الحقيقي إذن لا يكون إلا في القرآن الكريم، فالقرآن هو أسمى مرشد، وأقدس أُستاذ على الإطلاق، ومنذ ذلك اليوم أقبلت على القرآن، واعتصمت به، واستمددت منه»[1].

وصار النورسي يصرح: «إن الأستاذ الحقيقي إنما هو القرآن ليس إلاَّ»[2] ويقول: «اعلم: أني أقول ما دمت حياً، كما قال مولانا جلال الدين الرومي، قُدِّس سره: [ما دمت حياً فأنا خادم القرآن، وأنا ترابُ سبيلِ محمد المختار،

---

(١) نقلاً عن مقدمة المثنوي ص٢٥.

(٢) المثنوي ص٤٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

ﷺ] لأني أرى القرآن منبع كل الفيوض، وما في آثاري من محاسن الحقائق ما هو إلا من فيض القرآن، فلهذا لا يرضى قلبي أن يخلو أثر من آثاري من ذكر نُبَذٍ من مزايا إعجاز القرآن»[١].

وقد أدَّت أستاذية القرآن للنورسي إلى أن يعلن أن رسائل النور ما هي إلا تفسير معنوي قيِّم للآيات القرآنية[٢]، وأن كل ما في تلك الرسائل من محاسن ما هو إلا من فيض القرآن[٣].

وكان من مظاهر عناية النورسي بالقرآن حرصه الشديد على إظهار إعجاز القرآن وإثباته من وجوهه المتعددة التي بلغت عنده أربعين وجهاً[٤]، وأفرد لها كتاب «المعجزات القرآنية» الذي فصَّل فيه خمساً من تلك الوجوه[٥]. ومن هنا جاء حديث النورسي عن التكرار في القرآن الكريم، فإنه عدَّهُ معجزة من معجزات القرآن، الذي هو (بحر المعجزات)[٦].

وممَّا يصوِّرُ لك مقدار شمولية القرآن لدى النورسي وجامعيته التي تستغرق عالمي الغيب والشهادة، والدنيا والآخرة، والإنس والجن، تعريفه للقرآن الذي حرص على إيراده في كل كتاب تحدث فيه عن القرآن ووجوه إعجازه، كما أنه أورده حين تحدث عن معجزة التكرار في القرآن، ولولا ضيق المجال لأوردته بنصه[٧].

---

(١) المثنوي ص١٥٦.

(٢) المعجزات القرآنية ص١٦٦.

(٣) المثنوي ص٢٠٦.

(٤) ينظر: المعجزات الأحمدية ص٢٥ و١٥٥ و١٨٦ و٢٠١، والمثنوي ص٧٧ و١٥٦ و٢٣٠ و٣٧٤.

(٥) المعجزات القرآنية ص٧.

(٦) المعجزات الأحمدية ص١٨٦.

(٧) ينظر: المعجزات القرآنية ص٨، والمثنوي ص٣٧٤، وإشارات الإعجاز ص٢٨، والمعجزات الأحمدية ص١٨٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

ثانياً: أسس دراسة ظاهرة التكرار عند النورسي:

«يبدو أن النورسي واجه من دعاة الانسلاخ من الدين ومن الثقافة الإسلامية مَنْ يُشكِّك في بلاغة أساليب القرآن، ويثير الشبهات حول تكرار الآيات في القرآن، فكان ذلك سبباً لعنايته بإظهار حكمة التكرار، كما كانت شبهات قدماء الملاحدة سبباً لعناية علماء السلف بهذا الموضوع.

وكان من أسس منهج النورسي في كتاباته أنه لا يطيل في إبراز الشبهات التي تثار بقدر حرصه على رد تلك الشبهات، يقول في كتابه «إشارات الإعجاز»: «ومن المعلوم أن نهج رسائل النور هو أنه لا يترك أثراً سيئاً، مهما كان، في ذهن القارىء، إذ تجيب أجوبة قاطعة على الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام من دون أن تذكر الشبهة نفسها - بخلاف سائر العلماء - فتسدُّ بهذا دخولَ أية شبهة كانت في ذهن القارىء»[1]. وقال في كتابه «المعجزات القرآنية»: «أما الشبهات فقد أُجيب عنها أجوبة قاطعة من دون ذكر الشبهة نفسها... ذلك لئلا تتكدر الأذهان»[2].

ومن ثَمَّ نجد النورسي حين تحدث عن التكرار في القرآن لم يطل الوقوف عندما أثير حول هذا الموضوع من شبهات، فقال في كتابه «المعجزات الأحمدية»: «فانظر إلى بيان لمعة الإعجاز في تكريرات القرآن التي يتوهمها القاصرون نقصاً في البلاغة»[3].

وقال حين تحدث عن الموضوع في كتاب «الثمرة» في المسألة العاشرة في الهامش: «فهي تزيل بإذن الله ما ينفثه أهل الضلالة من سموم الأوهام العفنة حول ظاهرة التكرار في القرآن»[4].

---

(١) إشارات الإعجاز ص٢٣.

(٢) المعجزات القرآنية ص٥.

(٣) المعجزات الأحمدية ص١٨٧.

(٤) الثمرة ص٨١، وينظر: المعجزات القرآنية ص١٨٠ هامش (١).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن حديثنا عن الموضوع يعتمد على ما اطلعت عليه من مؤلفات النورسي العربية أو ما ترجم منها إلى العربية، وعلى الرغم من أن ما اطلعت عليه لا يشكل إلا جزءاً يسيراً من كتاباته التي تبلغ آلاف الصفحات إلا أني أحسب أن المادة التي وقفت عليها حول ظاهر التكرار توضح الملامح الرئيسة للموضوع عنده.

إن حديث النورسي عن ظاهرة التكرار في القرآن الكريم جاء في عدة كتب من مؤلفاته التي وقفت عليها، منها:

١- ما كتبه في «المثنوي النوري العربي»، وهو خلاصة مركزة في تفسير ظاهرة التكرار جاءت في ست نقاط[١]. وأورد هذه النقاط أيضاً في كتابه «المعجزات الأحمدية»[٢].

٢- ما كتبه في المسألة العاشرة من كتابه «الثمرة من شجرة الإيمان»، تحت عنوان: (زهرة أمير داغ)، وكتب تحت العنوان: «معجزة التكرار في القرآن الكريم: ردٌّ شافٍ ومقنع على اعتراضات ترد حول التكرار في القرآن الكريم»[٣].

وقد جعل هذه المسألة الذيل الثاني لكتاب «المعجزات القرآنية»[٤].

٣- ما ورد من إشارات موجزة أخرى متناثرة في «المثنوي النوري العربي» و«المعجزات الأحمدية» و«إشارات الإعجاز» و«المعجزات القرآنية»[٥].

---

(١) المثنوي ص٣٧٥.

(٢) المعجزات الأحمدية ص١٨٧.

(٣) الثمرة ص٨١-٩٨.

(٤) المعجزات القرآنية ص١٧٩-٢٠٤.

(٥) ورد في المثنوي (ص٢٣٠ و٢٣١) إشارة إلى أن النورسي بحث موضوع إعجاز القرآن وأشار إلى حكمة التكرار في كتابه «لمعات» لكني لم أتمكن من الاطلاع عليه.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وتتسم معالجة الأستاذ النورسي للموضوع بالتركيز والإجمال على نحو ما يتضح في النقاط الست، وعلى نحو ما صرَّح به هو نفسه في «زهرة أمير داغ» حيث قال: «كنت أعاني من حالة مضطربة بائسة حينما تناولت هذه المسألة بالكتابة، لذا اكتنفها شيء من الغموض لكونها بقيت كما جاءت عفو الخاطر... ولقد اضطررت إلى كتابتها في غاية الإجمال والاقتضاب، لما كنت أكابد من سوء التغذية وأوجاع الأمراض»[1].

ويبدو أن عرض الموضوع من خلال التقسيمات التي مرت في المبحث الأول المتمثلة بتقسيم التكرار إلى لفظي ومعنوي، واللفظي إلى متصل ومنفصل - أمر غير متيسر، لأن الأستاذ النورسي كان مشغولاً بالتفسير الشامل للظاهرة عن معالجة الأمثلة الجزئية، إلا ما وردت الإشارة إليه عَرَضاً من الآيات القرآنية المكررة، فعلماء السلف أُتيح لهم استقصاء دراسة الآيات المكررة من خلال تفاسيرهم الشاملة للقرآن التي لا تدع آية من غير الوقوف عندها وبحث ما يتعلق بها، ولم يتح مثل هذا الأمر للنورسي الذي كتب تفسيراً لسورة الفاتحة وثلاثين آية من سورة البقرة فقط في تفسيره «إشارات الإعجاز في مظان الإعجاز»، ومن ثم فإننا سوف نواكب النورسي في عرضه للموضوع من خلال تحليل ما ورد في النقاط الست، وربط ذلك بما جاء في «زهرة أمير داغ» وغيرها من كتاباته.

ثالثاً: الفكرة الأساسية لتفسير ظاهرة التكرار لدى النورسي:

يمكن للدارس أن يستخلص الفكرة الأساسية التي استند إليها النورسي في إظهار حكمة التكرار في القرآن الكريم من خلال كتاباته المتعددة، وتقوم هذه الفكرة على تحديد وظيفة التكرار في الكلام بشكل عام. وهو يحصرها في وظيفتين: التوكيد والتأسيس، أي أن اللفظ الثاني المكرر إما أن يؤكد معنى اللفظ الأول، وإما أن يؤسس معنى جديداً.

يتضح ذلك من حديث الأستاذ النورسي عن الكلمات التي تتكرر بعد الصلوات

---

(١) الثمرة ص٨١، والمعجزات القرآنية ص١٧٩-١٨٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

ثلاثاً وثلاثين مرة، وهي: سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، يقول: «هذه الكلمات المباركة التي تتكرر بعد الصلوات شاهدتُ أنها ليست تكراراً، بل تأسيس، كما أشير إليه في الأبواب - أو تأكيد في تأسيس معانيها متساندة لا متحدة»[1]، فالذاكر حين يردد: اللهُ أكبر، اللهُ أكبر، اللهُ أكبر، يردد الألفاظ ذاتها، لكن دلالتها في نظر النورسي تتجدد، فمعانيها في نفس الذاكر ليست متحدة، وقد عبر عن هذه الفكرة بعبارة أخرى في أنها «تأكيد في المعنى، تأسيس في المقاصد والثمرات»[2].

ولعل مما يوضح فكرة النورسي هذه التأمل في قول من ينادي رجلاً اسمه (زيد) مثلاً، يقول: زيد، زيد، زيد. فاللفظ الثاني والثالث لا يفيدان معنى جديداً، وإنما يدلان على ذات المعنى الذي يدل عليه اللفظ الأول، والنطق بهما يقصد به توكيد دلالة اللفظ الأول، لا تأسيس معنى جديد، ومثل ذلك من يطرق الباب ثلاث طرقات، فالطرقتان الثانية والثالثة هما مثل الطرقة الأولى شكلاً وغاية، فهذا تكرار يفيد التوكيد.

أما التكرار الذي يفيد التأسيس فمثل رجل يضرب الأرض بالمعول، فالضربة الثانية والثالثة وما بعدهما تشبه الضربة الأولى في الشكل، لكنها تحقق شيئاً جديداً غير ما حققته الضربة الأولى: ومثل ذلك من يأكل الطعام بالملعقة فهو حين يرفعها إلى فيه يرفعها على نحو متماثل لكن ما يحققه من الرفعة الثانية والثالثة وما بعدهما هو غير ما يحققه في الرفعة الأولى.

واستناداً إلى هذه الفكرة صرح الأستاذ النورسي أنه «لا تكرار إلا في الصورة»[3]. وقال: «فكلُّ ما كُرِّرَ في القرآن الكريم إذن من آية أو قصة إنما تشتمل على معنى جديد وعبرة جديدة»[4].

---

(١) المثنوي ص١٤١.

(٢) المثنوي ص١٤٢.

(٣) المعجزات الأحمدية ص١٨٨، والمثنوي ص٣٧٦.

(٤) المعجزات القرآنية ص١٨٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

هذا هو الاتجاه العام لتفسير ظاهرة التكرار في رسائل النور، لكن المتأمل يمكن أن يلمح المعنى الثاني للتكرار وهو التوكيد في تفسير بعض صور التكرار في القرآن الكريم، على نحو ما قال النورسي: «ومن هذا السر الترداد للتثبيت، والتكرير للتقرير في القرآن الحكيم»[1].

ولعل إشارة النورسي هذه تستند إلى بعض أمثلة التكرار في القرآن التي قُصِدَ بها التوكيد، أو إلى معنى التوكيد الذي يوحيه التكرار في نفس السامع إلى جانب دلالاته الأخرى التي تحدَّث عنها.

رابعاً: حكمة التكرار في رسائل النور:

احسب أن في عرض النقاط الست التي ذكرها النورسي في تفسير ظاهرة التكرار وتحليل مضامينها في ضوء ما أورده في «زهرة أمير داغ» وغيرها ما يؤكد ما ذكرناه عن الفكرة الأساسية لتفسير الظاهرة، ويكشف عن بُعْدِ نظر النورسي في ربط الأمثلة الجزئية للظاهرة بالتصور الكلي الشامل لأسرارها وحكمتها، على نحو يزيل ما قد علق في بعض الأذهان من شبهات حولها، ويظهر ما في التكرار القرآني من حكمة وبلاغة وإعجاز.

(**النقطة الأولى**): قال الأستاذ سعيد النورسي: «اعلم أن القرآن لأنه كتابُ ذِكْرٍ، وكتابُ دُعاءٍ، وكتابُ دَعْوَةٍ، يكون تكراره أحسن وأبلغ بل ألزم، وليس كما ظنه القاصرون، إذ الذكرُ يُكَرَّرُ، والدعاءُ يُرَدَّدُ، والدعوةُ تُؤَكَّدُ.

إذ في تكرير الذكر تنوير، وفي ترديد الدعاء تقرير، وفي تكرار الدعوة تأكيد»[2].

هذه النقطة تشير إلى أن طبيعة موضوع القرآن تقتضي تكرار مضامينه، فلا عجب إذا ما جاءت بعض آياته أو جملة مكررة.

---

(١) المثنوي ص٣١٦.

(٢) المعجزات الأحمدية ص١٨٧، والمثنوي ص٣٧٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وكانت هذه الفكرة التي تضمنتها النقطة الأولى حاضرة في ذهن النورسي يذكرها كلما سنحت له فرصة، فقال في المثنوي: «اعلم أن ما اقتضى تكرار بعض أجزاء القرآن ما اقتضى تكرار الأذكار والأدعية، إذ القرآن كما أنه كتاب حقيقة وشريعة، وكتاب معرفة وحكمة، كذلك هو كتاب ذكر ودعاء ودعوة، والذكر يُرَدَّدُ، والدعاء يُكَرَّرُ، والدعوة تُؤَكَّدُ»(١).

وقال في «زهرة أمير داغ»: «إن القرآن الكريم يُظْهِرُ نوعاً من إعجازه البديع في تكراره البليغ لجملة واحدة أو لقصة واحدة، وذلك عند إرشاده طبقات متباينة من المخاطبين إلى معان عدة، وعِبَرٍ كثيرة في تلك الآية أو القصة، فاقتضى التكرار حيث إنه كتاب دعاء ودعوة، كما أنه كتاب ذكر وتوحيد، وكلٌّ من هذا يقتضي التكرار. فكلُّ ما كُرِّرَ في القرآن الكريم إذن من آية أو قصة إنما تشتمل على معنى جديد وعبرة جديدة»(٢).

(**النقطة الثانية**): «اعلم أَنَّ القرآن خطاب ودواء لجميع طبقات البشر من أذكى الأذكياء إلى أغبى الأغبياء، ومن أتقى الأتقياء إلى أشقى الأشقياء، ومن الموفقين المُجِدِّين الفارغين من الدنيا التاركين لَهْوَها إلى المخذولين المتهاونين المشغولين بالدنيا. فإذن لا يمكن لكل أحد في كل وقت قراءة تمام القرآن الذي هو دواء وشفاء لكل أحد في كل وقت. فلهذا أدرج الحكيم الرحيم أكثر المقاصد القرآنية في أكثر سوره، لاسيما الطويلة منها، حتى صارت كل سورة قرآناً صغيراً، فَسَهَّلَ السبيل لكل أحد، وينادي مشوِّقاً: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر] دون أن يَحْرِمَ أحداً، فكرَّر التوحيد والحشر وقصة موسى عليه السلام»(٣).

حكمة التكرار في هذه النقطة ترتبط بمراعاة حال المخاطبين، وهي تشير إلى

---

(١) المثنوي ص٤١٤.

(٢) المعجزات القرآنية ص١٨٤.

(٣) المعجزات الأحمدية ص١٨٧، والمثنوي ص٣٧٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

ما سميناه بالتكرار المعنوي، وجاءت هذه النقطة موضحة في مواضع أخرى من رسائل النور، فقد قال الأستاذ النورسي في «المثنوي»: «اعلم أن تضمين كل سورةٍ سورةٍ من القرآن مجمل ما في كل القرآن وسائر السور من المقاصد وأهم القصص، لأجل أن لا يَحْرِمَ من يقرأ سورة فقط كما أُنزل له التنزيل، إذ في المكلفين الأُميُّ والغبيُّ، ومَن لا يتيسر له إلا قراءة سورة قصيرة فقط، فمن هذه اللمعة الإعجازية تصير السورة قرآناً تاماً لمن قرأها»[1].

وعاد النورسي إلى هذه النقطة في «زهرة أمير داغ» موضحاً لها بقوله: «ثم إن كثيراً من الناس لا يستطيعون كل حين ولا يوفقون إلى تلاوة القرآن كله، بل يكتفون بما تيسر لهم منه، ومن هنا تبدو الحكمة واضحة في جعل كل سورة مطولة ومتوسطة بمثابة قرآن مصغر ومن ثم تكرار القصص فيها بمثل تكرار أركان الإيمان الضرورية، أي أن تكرار هذه القصص هو مقتضى البلاغة ولس فيه إسراف قط. زد على ذلك فإن فيه تعليماً بأن حادثة ظهور محمد ﷺ أعظم حادثة للبشرية وأجل مسألة من مسائل الكون»[2].

(النقطة الثالثة): «اعلم أنه كما أن الحاجات الجسمانية مختلفة في الأوقات، فإلى بعضٍ في كل آنٍ كالهواء، وإلى قسم في كل وقتِ حرارةِ المعدة كالماء، وإلى صنفٍ في كل يوم كالغذاء، وإلى نوعٍ في كل أسبوع كالضياء، وإلى طائفة في كل شهر، وإلى بعض في كل سنة كالدواء، كلها في الأغلب، وقس عليها.

كذلك إن الحاجات المعنوية الإنسانية أيضاً مختلفة الأوقات، فإلى قسم في كل آنٍ كـ(هو الله)، وإلى قسم في كل وقت كـ(بسم الله)، وإلى قسم في كل ساعة كـ(لا إله إلا الله) وهكذا فقِسْ.

فتكرار الآيات والكلمات للدلالة على تَكَرُّر الاحتياج، وللإشارة إلى شدة الاحتياج إليها، ولتنبيه عرق الاحتياج وإيقاظه، وللتشويق على الاحتياج،

---

(١) المثنوي ص٢٠٨.

(٢) الثمرة ص٩٣، والمعجزات القرآنية ص١٩٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

ولتحريك اشتهاء الاحتياج إلى تلك الأغذية المعنوية»[1].

إن حكمة التكرار التي تشير إليها هذه النقطة هو حاجة المقام إلى التكرار، فالتكرار هو ما تقتضيه البلاغة وما يتطلبه حال المخاطبين. وقد زاد النورسي هذه النقطة إيضاحاً في مواضع أخرى من رسائل النور. فقال في «المثنوي» بألفاظ مقاربة لما في هذه النقطة، لكني أنقل قوله لما فيه من زيادة إيضاح لمعنى بعض العبارات: «وكما أن الإنسان في حياته المادية يحتاج في كل آنٍ إلى الهواء، وفي كل وقت إلى الماء، وفي كل يوم إلى الغذاء، وفي كل أسبوع إلى الضياء، في الأكثر، فتتكرر هذه الأمور لتكرر الحاجات، فلا تكون تكراراً، كذلك إن الإنسان بجهة حياته الروحانية أيضاً، يحتاج إلى أنواع ما في القرآن: فإلى بعض في كل دقيقة في آنٍ سَيَّالٍ كـ(هو الله) فيه يتنفس الروح، وإلى بعضٍ في كل ساعة كـ(بسم الله)، وإلى بعض في كل وقت، وإلى بعض في كل زمان مندرجاً بدرجات الاحتياج، فيكرر القرآن على ما تقتضيه حياة القلب تكراره»[2].

وقال في «زهرة أمير داغ»، وهو يُبَيِّنُ هذه الحكمة ويوضحها بإيراد عدد من الآيات القرآنية المكررة، ونحن مضطرون لإيراد هذا النص بطوله، حتى تتضح للقارىء وجهة نظر الأستاذ النورسي في تفسير ظاهرة التكرار من كلامه مباشرة، من غير أن يلقي عليها نظر الباحث ظلالاً إضافية، وذلك لما في كلامه من دقة وما في تعبيره من إجمال، قال: «إن تكرر الحاجة يستلزم التكرار، هذه قاعدة ثابتة، لذا فقد أجاب القرآن الكريم عن أسئلة مكررة كثيرة خلال عشرين سنة، فأرشد بإجاباته المكررة طبقات كثيرة متباينة من المخاطبين، فهو يكرر جملاً تملك ألوف النتائج، ويكرر إرشادات هي نتيجة لأدلة لا حَدَّ لها، وذلك عند ترسيخه في الأذهان وتقريره في القلوب ما سيحدث من انقلاب عظيم وتبدل رهيب في العالم، وما سيصيبه من دمار وتفتت الأجزاء، وما سيعقبه من بناء الآخرة الخالدة الرائعة بدلاً من هذا العالم الفاني.

---

(١) المعجزات الأحمدية ص١٨٧-١٨٨، والمثنوي ص٣٧٥-٣٧٦.

(٢) المثنوي ص٢٣١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

ثم إنه يكرر تلك الجمل والآيات أيضاً عند إثباته أن جميع الجزئيات والكليات ابتداء من الذرات إلى النجوم إنما هي في قبضة واحدٍ أحَدٍ سبحانه وضمن تصرفه جل شأنه.

ويكررها أيضاً عند بيانه الغضب الإلهي والسخط الرباني على الإنسان المرتكب للمظالم عند خرقه الغاية من الخلق، تلك المظالم التي تثير هيجان الكائنات والأرض والسماء والعناصر، وتؤجج غضبها على مقترفيها.

لذا فإن تكرار تلك الجمل والآيات عند بيان أمثال هذه الأمور العظيمة الهائلة لا يُعدُّ نقصاً في البلاغة قط، بل هو إعجاز في غاية الروعة والإبداع، وبلاغة في غاية العلو والرفعة. وجزالة - بل فصاحة - مطابقة تطابقاً تاماً لمقتضى الحال، فعلى سبيل المثال:

☆ إن جملة ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ هي آية واحدة تتكرر مئة وأربع عشرة مرة في القرآن الكريم، ذلك لأنها حقيقة كبرى تملأ الكون نوراً، وضياء، وتشد الفرش بالعرش برباط وثيق، فما من أحد إلا وهو بحاجة مسيسة إلى هذه الحقيقة في كل حين، فلو تكررت هذه الحقيقة العظمى ملايين المرات فالحاجة ما زالت قائمة باقية لا ترتوي. إذ ليست هي حاجة يومية كالخبز، بل هي أيضاً كالهواء، والضياء الذي يضطر إليه ويشتاق كل دقيقة.

☆ وإن الآية الكريمة: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٩﴾ [الشعراء] تتكرر ثماني مرات في سورة الشعراء، فتكرار هذه الآية العظيمة التي تنطوي على ألوف الحقائق في سورة تذكر نجاة الأنبياء، عليهم السلام، وعذاب أقوامهم، إنما هو لبيان أن مظالم أقوامهم تمس الغاية من الخلق، وتتعرض إلى عظمة الربوبية المطلقة، فتقتضي العزة الربانية عذاب تلك الأقوام الظالمة، مثلما تقتضي الرحمة الإلهية نجاة الأنبياء، عليهم السلام. فلو تكررت هذه الآية ألوف المرات لما انقضت الحاجة والشوق إليها، فالتكرار هنا بلاغة راقية ذات إعجاز وإيجاز.

☆ وكذلك الآية الكريمة: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾ [الرحمن] المكررة في

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

سورة الرحمن، والآية الكريمة: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾ [المرسلات] المكررة في سورة المرسلات، تصرخ كل منهما في وجه العصور قاطبة وتعلن إعلاناً صريحاً في أقطار السماوات والأرض أنَّ كفر الجن والإنس وجحودهم بالنعم الإلهية، ومظالمهم الشنيعة، يثير غضب الكائنات، ويجعل الأرض والسماوات في حنق وغيظ عليهم، ويُخِلُّ بحكمة خلق العالم والقصد منه، ويتجاوز حقوق المخلوقات كافة ويتعدى عليها، ويستخف بعظمة الألوهية وينكرها، لذا فهاتان الآيتان ترتبطان بألوف من أمثال هذه الحقائق، ولهما من الأهمية ما لألوف المسائل وقوتها، لو تكررتا ألوف المرات في خطاب عام موجه إلى الجن والإنس لكانت الضرورة قائمة بعد، والحاجة إليها ما زالت موجودة باقية، فالتكرار هنا بلاغة موجزة جليلة ومعجزة جميلة...

وهكذا نرى أمثال هذه الأسس فيما تشتمل عليه أنواع التكرار في القرآن الكريم، حتى نرى أنه يُعَبِّرُ أكثر من عشرين مرة عن حقيقة التوحيد - صراحة أو ضمناً - في صحيفة واحدة من المصحف وذلك حسب اقتضاء المقام، ولزوم الحاجة إلى الإفهام، وبلاغة البيان، فيهيج بالتكرار الشوق إلى تكرار التلاوة، ويمد به البلاغة قوة وسُمُوّاً من دون أن يورث سأماً أو مللاً»[1].

(**النقطة الرابعة**): «اعلم أن القرآن مُؤَسِّسٌ لهذا الدين العظيم المتين ولأساساته، وأساسات لهذا العالم الإسلامي، ومقلب لاجتماعيات البشر ومحوِّلها ومبدِّلها، ولا بد للمؤسس من التكرير للتثبيت، ومن الترديد للتأكيد، ومن التكرار للتقرير والتأييد.

وكذا إن القرآن فيه أجوبة لمكررات أسئلة الطبقات المختلفة البشرية بألسنة الأقوال والأحوال»[2].

(**النقطة الخامسة**): «اعلم أن القرآن يبحث عن مسائل عظيمة ويدعو القلوب

---

(١) الثمرة ص٨٥-٨٨، والمعجزات القرآنية ص١٨٥-١٨٨.

(٢) المعجزات الأحمدية ص١٨٨، والمثنوي ص٣٧٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

إلى الإيمان بها، وعن حقائق دقيقة ويدعو العقول إلى معرفتها. فلا بد لتقريرها في القلوب وتثبيتها في أفكار العامة من التكرار في صورة مختلفة وأساليب متنوعة»[1].

إن بين النقطتين الرابعة والخامسة نوع من الترابط في المقصد والتكامل في المعنى، فهما تفسران التكرار من خلال بيان دور القرآن الكريم وموقعه في تثبيت حقائق الدين، من خلال طبيعة المسائل العظيمة التي يسعى إلى تثبيتها في قلوب الناس وترسيخها في عقولهم.

وأحسب أن إجابة النورسي عن تساؤل ورد في «زهرة أمير داغ» توضح مراده مما ورد في النقطتين السابقتين، وهو قوله: «ما حكمة سَوْق القرآن ألوف الدلائل لإثبات أمور الآخرة، وتلقين التوحيد وإثابة البشر؟ وما السر في لفته الأنظار إلى تلك الأمور صراحة وضمناً وإشارة في كل سورة، بل في كل صحيفة من المصحف، وفي كل مقام؟

الجواب: لأنَّ القرآن الكريم يُنَبِّهُ الإنسان إلى أعظم انقلاب يحدث ضمن المخلوقات ودائرة الممكنات في تأريخ العالم، وهو الآخرة. ويرشده إلى أعظم مسألة تخصه وهو الحامل للأمانة الكبرى وخلافة الأرض، تلك هي: مسألة التوحيد الذي تدور عليه سعادته وشقاوته الأبديتان. وفي الوقت نفسه يزيل القرآن سيل الشبهات الواردة دون انقطاع، ويحطم أشد أنواع الجحود والإنكار المقيت.

لذا لو قام القرآن بتوجيه الأنظار إلى الإيمان بتلك الانقلابات المدهشة وحمل الآخرين على تصديق تلك المسألة العظيمة الضرورية للبشر، نعم لو قام به آلاف المرات وكرَّر تلك المسائل ملايين المرات لا يُعَدُّ ذلك منه إسرافاً في البلاغة قط، كما أنه لا يُوَلِّدُ سأماً ولا مللاً البتة، بل لا تنقطع الحاجة إلى تكرار تلاوتها في القرآن الكريم حيث ليس هناك أهم ولا أعظم مسألة في الوجود من التوحيد

---

(١) المعجزات الأحمدية ص١٨٨، والمنثوي ص٣٧٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

والآخرة.

فمثلاً: إن حقيقة الآية الكريمة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ١١﴾ [البروج] هي بشرى السعادة الخالدة تزفها هذه الآية الكريمة إلى الإنسان المسكين الذي يلاقي حقيقة الموت كل حين، فتنقذه هذه البشرى من تصور الموت إعداماً أبدياً، وتنجيه وعالمه وجميع أحبته من قبضة الفناء، بل تمنحه سلطة أبدية، وتكسبه سعادة دائمة، فلو تكررت هذه الآية الكريمة ملياراً من المرات لا يعد تكرارها من الإسراف قط، ولا يمس بلاغته شيء!

وهكذا ترى أن القرآن الكريم الذي يعالج أمثال هذه المسائل القيمة ويسعى لإقناع المخاطبين بها بإقامة الحجج الدامغة يعمِّق في الأذهان والقلوب تلك التحولات العظيمة والتبدلات الضخمة في الكون، ويجعلها أمامهم سهلة واضحة كتبدل المنزل وتغير شكله. فلا بد أن لفت الأنظار إلى أمثال هذه المسائل، صراحة وضمناً وإشارة، بألوف المرات ضروري جداً بل هو كضرورة الإنسان إلى نعمة الخبز والهواء والضياء التي تتكرر حاجته إليها دائماً.

ومثلاً: إن حكمة تكرار القرآن الكريم ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ ٣٦﴾ [فاطر]، ﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٢﴾ [إبراهيم] وأمثالها من آيات الإنذار والتهديد، وسوقها بأسلوب في غاية الشدة والعنف، هي - مثلما أثبتناها في رسائل النور إثباتاً قاطعاً: إن كفر الإنسان إنما هو تجاوز - أي تجاوز - على حقوق الكائنات وأغلب المخلوقات، مما يثير غضب السماوات والأرض، ويملأ صدور العناصر حنقاً وغيظاً على الكافرين، حتى تقوم تلك العناصر بصفع أولئك الظالمين بالطوفان وغيره، بل حتى الجحيم تغضب عليهم غضباً تكاد تتفجر من شدته كما هو صريح الآية الكريمة: ﴿إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ ٨﴾ [الملك]. فلو يكرر سلطان الكون في أوامره تلك الجناية العظمى (الكفر) وعقوبتها بأسلوب في غاية الزجر والشدة ألوف المرات، بل ملايين المرات، بل مليارات المرات لما عُدَّ ذلك إسرافاً مطلقاً ولا نقصاً في البلاغة،

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

نظراً لضخامة تلك الجناية العامة وتجاوز الحقوق غير المحدودة، وبناء على حكمة إظهار أهمية حقوق رعيته سبحانه وإبراز القبح غير المتناهي في كفر المنكرين وظلمهم الشنيع. إذ لا يكرر ذلك لضآلة الإنسان وحقارته، بل لهول تجاوز الكافر وعظم ظلمه...

فلأجل هذه الحكم كلها يكرر القرآن الكريم ما يكرر في غاية الحكمة، مُظْهِراً أن النذر القرآنية الكثيرة إلى هذا القدر، وبهذه القوة والشدة والتكرار حقيقة عظمى، ينهزم الشيطان من توهمها باطلاً، ويهرب من تخيلها عبثاً. نعم إن عذاب جهنم لهو عينُ العدالة لأولئك الكفار الذين لا يعيرون للنُذُر سمعاً»[1].

(**النقطة السادسة**): «اعلم أن لكل آية ظهراً وبطناً وحدّاً ومطلعاً، ولكل قصة وجوهاً وأحكاماً وفوائد ومقاصد، فَتُذْكَرُ في موضع لوجه، وفي آخر لأخرى، وفي سورة لمقصدٍ وفي أخرى لآخر، وهكذا.

فعلى هذا لا تكرار إلا في الصورة»[2].

إن حكمة التكرار التي تشير إليها هذه النقطة تتعلق بما سميناه بالتكرار المعنوي، وهو يشمل قِصص الأنبياء خاصة، وكان الأستاذ سعيد النورسي قد أشار إلى حكمة تكرار قِصص الأنبياء في مواضع أخرى من كتاباته، فقال في تفسيره: «فيجوز أن تكون قصة موسى مثلاً مذكورة في كل مقام لوجه مناسبٍ من الوجوه المشتملة هي عليها، فإن قصة موسى... أخذها القرآن بيده البيضاء فضة فصاغها ذهباً، فَخَرَّتْ سَحَرَةُ البيان ساجدين لبلاغته»[3].

وقال في «زهرة أمير داغ»: «ومن المكررات القرآنية (قصص الأنبياء) عليهم السلام، فالحكمة في تكرار قصة موسى عليه السلام - مثلاً - التي لها من الحكم والفوائد ما لعصا موسى، وكذا الحكمة في تكرار قصص الأنبياء، إنما

---

(١) الثمرة ص٩٠-٩٤، والمعجزات القرآنية ص١٩٣-١٩٦.

(٢) المعجزات الأحمدية ص١٨٨، والمثنوي ص٣٧٦.

(٣) إشارات الإعجاز ص٥٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

هي لإثبات الرسالة الأحمدية، وذلك بإظهار نبوة الأنبياء جميعهم حجة على أحقية الرسالة الأحمدية وصدقها، حيث لا يمكن أن ينكرها إلا من ينكر نبوتهم جميعاً، فذِكْرُها إذن دليل على الرسالة»[١].

☆ ☆ ☆

ويلمح الدارس، فضلاً عما ورد في النقاط الست وما تعلق بها حول التكرار في القرآن، عناية الأستاذ سعيد النورسي بتكرار التلاوة، وملاحظته أن من مظاهر الإعجاز في القرآن الاشتياق إلى تلاوته وعدم السأم من تكرارها، يقول: «بل إن العامي الجاهل الذي لا يفهم شيئاً من معاني القرآن الكريم يشعر بإعجاز القرآن من عدم سأمه في التلاوة، فيحاور ذلك العامي الجاهل: إن الاستمرار على تلاوة القرآن لا يولد السأم قط، بل تزيد كثرة تلاوته حلاوتَهُ»[٢]. وذكر أن من خواص القرآن: «حرص الملايين من الناس في كل عصر على حفظه عن ظهر قلب بشوق ومتعة، وعدم السأم من تلاوته الكثيرة رغم تكراراته»[٣]. فالقرآن الكريم «كلما شاب الزمان شبَّ، وكلما تكرَّر حَلا»[٤]. و«كلما تكرر تلألأ وفارت أشعة الحق والحقيقة من أطرافه»[٥].

---

(١) الثمرة ص٩٣، والمعجزات القرآنية ص١٩٦.

(٢) المعجزات الأحمدية ص١٥٧.

(٣) الثمرة ص٨٤، والمعجزات القرآنية ص١٨٣-١٨٤.

(٤) إشارات الإعجاز ص٢٧٧.

(٥) إشارات الإعجاز ص٤٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

خاتمة البحث ونتائجه

١- دَرَسَ علماءُ السلف - رحمهم الله تعالى - ظاهرة التكرار في القرآن الكريم، لبيان حكمة التكرار، وإظهار أن التكرار أسلوب شائع في العربية ومظهر من مظاهر الفصاحة فيها، والرد من خلال ذلك على الشبهات التي أثارها الملاحدة حول تلك الظاهرة.

٢- وتناولوا بالتفسير والتعليل التكرار اللفظي بنوعيه المتصل والمنفصل والتكرار المعنوي، وعللوا التكرار اللفظي المتصل بدلالته على التوكيد أو الدلالة على معنى جديد يحدده السياق، وعَلَّلوا التكرار المنفصل بتعدد المُتَعَلَّقِ، والتكرار المعنوي بالدلالة على معنى جديد لم يرد في سياق المعنى الأول.

٣- تناول الأستاذ سعيد النورسي - رحمه الله تعالى - ظاهرة التكرار بالدراسة والبحث، رغم ما كانت تزدحم به حياته من مشكلات، وما كان يعانيه من متاعب في جهاده الطويل في تثبيت حقائق الإيمان في النفوس، وقد جاءت معالجته للموضوع تتسم بالتركيز والإجمال بشكل عام.

٤- وَضَع الأستاذ النورسي تفسيراً عاماً لظاهرة التكرار في القرآن الكريم وفي ألفاظ العبادة والذكر، يقوم على أن كل تكرار إنما يؤسِّسُ معنىً جديداً، وأن كل ما كُرِّرَ في القرآن الكريم من آية أو قصة إنما تشتمل على معنى جديد وعبرة جديدة.

٥- بَيَّن الأستاذ النورسي أن طبيعة موضوع القرآن وغايته والمقاصد الأساسية التي يسعى إلى ترسيخها في القلوب وتثبيتها في النفوس تستوجب إعادة ذكرها

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وتكرارها مرات ومرات، فلو تكررت ألوف المرات، بل ملايين المرات، بل مليارات المرات لما عُدَّ ذلك إسرافاً مطلقاً، ولا نقصاً في البلاغة!

٦- أشار الأستاذ النورسي إلى أن حال المخاطبين، وتنوع استعداداتهم، يستدعي تضمين سور القرآن مقاصده الأساسية من التوحيد والنبوة والآخرة، حتى يحظى كل منهم بنصيب منها إذا لم تُتحْ له ظروفه إلا قراءة بعض سور القرآن.

٧- إن من دواعي التكرار الأساسية في القرآن الكريم لدى الأستاذ النورسي تجدد حاجات الإنسان الروحية فكما أن له حاجات مادية تتطلبها حياته في أوقات متكررة؛ فكذلك له حاجات معنوية تتطلبها حياته الروحية، قد استجاب القرآن لها فهو يكررها للدلالة على شدة الاحتياج إليها.

٨- فَسّر الأستاذ النورسي تكرر قصص الأنبياء في القرآن الكريم بتنوع المعاني التي تدل عليها القصة الواحدة في كل موضع ترد فيه، فتُذْكرُ في موضع لوجهٍ، وفي آخر لوجوه أخرى، وفي سورة لمقصد وفي سورة لآخر، وهكذا.

٩- لقد أوضحت أجزاء رسائل النور حكمة التكرار في القرآن الكريم، وبينت حججها وأثبتت مدى ملاءمة التكرار وانسجامه مع البلاغة، ومدى حسنه وجماله الرائع... وهكذا فلأنَّ حقائق القرآن المكررة تملك هذه القيمة الراقية وفيها من الحكم ما فيها، فالفطرة السليمة تشهد أن في تكراره معجزة معنوية قوية وواسعة، إلا مَن مَرِضَ قلبه وسَقُمَ وجدانه بطاعون المادية، فتشمله القاعدة المشهورة:

قد تُنكِرُ العين ضوءَ الشمس مِن رَمَدٍ ويُنكِرُ الفمُ طَعْمَ الماءِ من سَقَمِ[1]

١٠- وأخيراً فإن طريقة النورسي في معالجة ظاهرة التكرار في القرآن تتجاوز بالإنسان عتبة التردد والحيرة في تفهم حكمة التكرار، وتضعه أمام تصور شامل للتكرار في القرآن الكريم وفي ألفاظ الأدعية والأذكار أيضاً، وتجعله يردد معه: لو تكررت هذه الآية أو تلك العبارة ألوف المرات ما كان ذلك نقصاً في البلاغة

(١) المعجزات القرآنية ص١٨٨ وص١٩٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

ولا مُخِلاً بالفصاحة. كما أن الاستمرار على تلاوة القرآن لا يُوَلِّدُ السأمَ ولا يبعث على الملل. فكلما تكرر القرآن تلألأ وحلا، وفارت أشعة الحق والحقيقة من أطرافه، لأنه ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝﴾ [النجم].

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المصادر

أولاً: المصاحف:

١- مصحف ابن البوَّاب (علي بن هلال)، نسخة مصورة عن المصحف المخطوط المحفوظ في مكتبة جستريتي (رقم ك/ ١٦).

٢- المصحف الشريف بخط حافظ عثمان، نشرته مكتبة المثنى في بغداد، بدون تاريخ.

٣- المصحف الشريف بخط حافظ محمد أمين الرشدي، الطبعة الثانية، نشرته وزارة الأوقاف، بغداد ١٣٨٦هـ= ١٩٦٧م، وطبعة ١٤٠١هـ= ١٩٨١م.

٤- المصحف الشريف بخط الحاج حسن رضا، نشرته وزارة الأوقاف، بغداد ١٣٩٢هـ= ١٩٧٢م.

٥- مصحف الأزهر (القاهرة)، بخط الشيخ محمد علي خلف الحسيني الشهير بالحداد، الطبعة الرابعة، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة ١٣٩٠هـ= ١٩٧٠م.

٦- مصحف المدينة النبوية، بخط عثمان طه، نشره مجمَّع الملك فهد في المدينة المنورة، طبعة ١٤١٨هـ.

ثانياً: المؤلفات:

١- الآجري (محمد بن الحسين): أخلاق حملة القرآن، تحقيق د. غانم قدري الحمد، مطبعة الخلود، بغداد ١٤٠٩هـ= ١٩٨٩م.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

٢- ابن الأبّار (محمد بن عبد الله): التكلمة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام النرسي، دار الفكر، بيروت ١٩٩٥م.

٣- إبراهيم جمعة (دكتور): دراسة في تطور الكتابات الكوفية، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٦٩م.

٤- أتابكي (يوسف بن تغري بردي): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة.

٥- ابن الأثير (علي بن محمد): الكامل في التاريخ، الطبعة المنيرية، القاهرة.

٦- ابن الأثير (المبارك بن محمد): النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر محمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية بيروت.

٧- أحمد بن حنبل: المسند، المطبعة الميمنية، القاهرة.

٨- إدريس الكلاك: ليس في الإسلام تقديس للأرقام، الموصل ١٩٨٠م.

٩- الأزهري (أبو منصور محمد بن أحمد): تهذيب اللغة، القاهرة ١٩٦٤-١٩٦٧م.

١٠- إسرائيل ولفنسون: تاريخ اللغات السامية، دار القلم، بيروت ١٩٨٠م.

١١- ابن الأنباري (أبو البركات عبد الرحمن بن محمد): نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ط٣، تحقيق د. إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء ١٤٠٥هـ= ١٩٨٥م.

١٢- ابن الأنباري (أبو بكر محمد بن القاسم):

أ- كتاب الأضداد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الكويت ١٩٦٠م.

ب- إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، تحقيق محيي الدين

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

رمضان، دمشق ١٩٧١م.

جـ- الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، بغداد ١٩٧٩م.

د- كتاب المذكر والمؤنث، تحقيق د. طارق عبد عون، بغداد ١٩٧٩م.

١٣- الأندرابي (أحمد بن أبي عمر): الإيضاح في القراءات العشر، تحقيق منى عدنان غني، رسالة دكتوراة، جامعة تكريت ٢٠٠٢م.

١٤- الباقلاني (أبو بكر محمد بن الطيب):

أ- إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، ط٥، دار المعارف بمصر ١٩٨١م.

ب- نكت الانتصار لنقل القرآن، اختصره محمد بن عبد الله الصيرفي، تحقيق د. محمد زغلول سلام، الاسكندرية ١٩٧١م.

١٥- البخاري (محمد بن إسماعيل): الجامع الصحيح، طبع محمد علي صبيح، القاهرة.

١٦- بروكلمان (كارل): تأريخ الأدب العربي، ج١، ترجمة عبد الحليم النجار، دار المعارف بمصر ١٩٥٩، وط٤، القاهرة ١٩٧٧م.

١٧- البسوي (يعقوب بن سفيان): المعرفة والتاريخ، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٣٩٤هـ= ١٩٧٤م.

١٨- البغدادي (إسماعيل باشا): هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، تصحيح محمد شرف الدين يالتقايا ورفعت بيلكه الكليسي، استانبول ١٩٤٥- ١٩٤٧م.

١٩- البغوي (الحسين بن مسعود الفراء): معالم التنزيل، بهامش تفسير

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

الخازن، مطبعة الاستقامة، القاهرة ١٣٨١هـ.

٢٠- بلاشير: تاريخ الأدب العربي، ج١، تعريب إبراهيم الكيلاني، دمشق ١٩٥٦م.

٢١- البيضاوي (عبد الله بن عمر): أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م.

٢٢- ابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم): مجموع فتاوى شيخ الإسلام، الرياض.

٢٣- الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد): فقه اللغة وسر العربية، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، ط٢، مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٣هـ= ١٩٥٤م.

٢٤- ابن الجزري (أبو الخير محمد بن محمد):

أ- غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق براجستراسر، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٣٢م.

ب- منجد المقرئين، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٠هـ= ١٩٨٠م.

جـ- النشر في القراءات العشر، مطبعة مصطفى محمد بمصر.

٢٥- ابن جني: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءة، تحقيق علي النجدي ناصف وآخرين، القاهرة ١٩٦٦م.

٢٦- جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام، المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٥٠م.

٢٧- ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي):

- فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن، تحقيق د. رشيد العبيدي، مطبعة

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م.

- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، طبعة بغداد ١٩٩٠م، وطبعة دار صادر، بيروت ١٣٥٨هـ.

٢٨- جولدتسيهر: مذاهب التفسير الإسلامي، ترجمة د. عبد الحليم النجار، مكتبة الخانجي بمصر ١٩٥٥م.

٢٩- الجوهري (حماد بن إسماعيل): تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور، ط٣، دار العلم للملايين ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م.

٣٠- ابن أبي حاتم (عبد الرحمن بن محمد): كتاب الجرح والتعديل، ط١، حيدر آباد، الهند.

٣١- حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، استانبول ١٩٤١، ١٩٤٣م.

٣٢- الحاكم (محمد بن عبد الله): المستدرك على الصحيحين، دائرة المعارف النظامية في الهند ١٣٣٤هـ.

٣٣- ابن حجر (أحمد بن علي): فتح الباري بشرح صحيح البخاري، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٨٠هـ.

٣٤- حسن محمد الهواري: أقدم أثر إسلامي، مجلة الهلال المصرية، السنة ٣٨-ج١٠، القاهرة ١٩٣٠م.

٣٥- حسين ناجي محمد محيي الدين: فتنة القرن العشرين، ط١، الكويت ١٩٨٥م.

٣٦- الحلبي (أبو الطيب عبد الواحد بن علي): مراتب النحويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار نهضة مصر، القاهرة ١٣٩٤هـ= ١٩٧٤م.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

٣٧- حمزة بن الحسن الأصفهاني: التنبيه على حدوث التصحيف، تحقيق محمد حسن آل ياسين، مطبعة المعارف، بغداد ١٣٨٧هـ= ١٩٦٧م، وتحقيق محمد أسعد طلس، دمشق ١٩٦٨م.

٣٨- أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف): البحر المحيط، مكتبة النصر الحديثة، الرياض.

٣٩- الخازن (علي بن محمد البغدادي): لباب التأويل في معاني التنزيل، مطبعة الاستقامة، القاهرة ١٣٨١هـ.

٤٠- الخالدي (صلاح الدين عبد الفتاح): البيان في إعجاز القرآن، ط٣، دار عمار، عمان ١٩٩٢م.

٤١- الخطابي (حمد بن محمد): بيان إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، ضمن (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، ط٢، دار المعارف بمصر ١٣٨٧هـ= ١٩٦٨م.

٤٢- الخطيب الإسكافي (محمد بن عبد الله): درة التنزيل وغرة التأويل، دار الآفاق الجديدة، ط١، بيروت ١٣٩٣هـ= ١٩٧٣م.

٤٣- الخطيب البغدادي (أحمد بن علي): تاريخ بغداد، مطبعة السعادة بمصر ١٣٤٩هـ= ١٩٣١م.

٤٤- ابن خلدون (عبد الرحمن): العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت ١٩٥٦م.

٤٥- ابن خلكان (أحمد بن محمد): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٨م.

٤٦- خليفة بن خياط: تاريخ خليفة، دمشق ١٩٦٧م.

٤٧- الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تحقيق د. إبراهيم

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

السامرائي، ود. حمدي المخزومي، ج٣، بغداد ١٩٨١م.

٤٨- خليل يحيى نامي (دكتور): أصل الخط العربي وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام، مطبعة بول باربيه، القاهرة ١٩٣٥م.

٤٩- الخوئي (أبو القاسم): البيان في تفسير القرآن، مطبعة العمال المركزية، بغداد ١٤٠٩هـ= ١٩٨٨م.

٥٠- الداني (أبو عمرو عثمان بن سعيد):

أ - البيان في عد آي القرآن، تحقيق د. غانم قدري الحمد، ط١، مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت ١٤١٤هـ= ١٩٩٤م.

ب - التحديد في الإتقان والتجويد، تحقيق د. غانم قدوري الحمد، ط١، مكتبة دار الأنبار، بغداد ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، طبع دار عمار، الأردن ٢٠٠٠م.

جـ- التيسير في القراءات السبع، صححه أوتو بيرتزل، مطبعة الدولة، استانبول ١٩٣٠م.

د- جامع البيان في القراءات السبع المشهورة (مخطوط)، دار الكتب المصرية، (رقم ٣م قراءات).

هـ- المحكم في نقط المصاحف، تحقيق د. عزة حسن، دمشق ١٩٦٠م.

و- المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، تحقيق محمد أحمد دهمان، مطبعة الترقي، دمشق ١٣٥٩هـ= ١٩٤٠م.

ز- المنبهة في الحذق والإتقان وصفحة التجويد للقرآن (مخطوط) الخزانة العامة في الرباط الرقم ٢٨٠٩ (د ٢١٨٦).

٥١- ابن درستويه (عبد الله بن جعفر): كتاب الكُتَّاب، تحقيق إبراهيم السامرائي، ود. عبد الحسين الفتلي، الكويت ١٣٩٧هـ= ١٩٧٧م، وطبع دار

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

عمار، الأردن.

٥٢- أبو داود (سليمان بن الأشعث): كتاب السنن، مراجعة محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء السنة النبوية.

٥٣- ابن أبي داود (عبد الله بن سليمان): كتاب المصاحف، تحقيق آرثر جفري، ط١، المطبعة الرحمانية بمصر ١٣٥٥هـ= ١٩٣٦م.

٥٤- الداودي (محمد بن علي): طبقات المفسرين، تحقيق علي محمد عمر، ط١، القاهرة ١٩٧٢م.

٥٥- الذهبي (محمد بن أحمد): معرفة القراء الكبار، دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٩٦٩م.

٥٦- الراغب الأصفهاني (الحسين بن محمد): المفردات في غريب القرآن، ط١، دار المعرفة، بيروت ١٤١٨هـ= ١٩٩٨م.

٥٧- رشاد خليفة (دكتور): مقابلة مع رشاد خليفة، منشور في مجلة روز اليوسف المصرية ١٩٨٥م.

٥٨- الرضي (محمد بن الحسن الاستراباذي): شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد وآخرين، دار الكتب العلمية ١٣٩٥هـ= ١٩٧٥م.

٥٩- الرماني (علي بن عيسى): النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل، ينظر: المصدر رقم ٣٦).

٦٠- رمزي بعلبكي (دكتور): الكتابة العربية والسامية، ط١، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨١م.

٦١- زاكية محمد رشدي (دكتورة): النقوش السامية (القسم الثاني) مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة ١٩٦٧م مج٢٩ ج١-٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

٦٢- الزبيدي (محمد بن الحسن): طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف بمصر ١٣٩٢هـ= ١٩٧٣م.

٦٣- الزبيري (أبو جعفر أحمد بن إبراهيم): ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، تحقيق سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت ١٤٠٣هـ= ١٩٨٣م.

٦٤- الزجَّاج (إبراهيم بن السري): معاني القرآن وإعرابه، تحقيق د. عبد الجليل عبده شلبي، المكتبة العصرية، بيروت - صيدا ١٩٧٣م.

٦٥- الزرقاني (محمد عبد العظيم): مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٦٢هـ= ١٩٤٣م.

٦٦- الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله): البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٧٢م.

٦٧- الزركلي (خير الدين): الأعلام، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٠م.

٦٨- الزمخشري (جار الله محمود بن عمر): الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر.

٦٩- أبو زهرة (الشيخ محمد): المعجزة الكبرى (القرآن)، دار الفكر العربي، القاهرة ١٣٩٠هـ= ١٩٧٠م.

٧٠- السبكي (عبد الوهاب بن علي): طبقات الشافعية الكبرى، ط٢، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، ود. محمود محمد الطناحي، هجر للطباعة، القاهرة ١٩٩٢م.

٧١- السخاوي (علم الدين علي بن محمد): جمال القراء وكمال الإقراء،

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

تحقيق د. علي حسين البواب، مكتبة التراث، مكة المكرمة ١٤٠٨هـ.

٧٢- ابن سعد (محمد): الطبقات الكبرى، دار صادر - دار بيروت ١٩٥٧م.

٧٣- السفاقسي (علي بن محمد النوري): غيث النفع في القراءات السبع بحاشية كتاب سراج القارىء لابن القاصح، المكتبة التجارية الكبرى.

٧٤- السكاكي (يوسف بن محمد): مفتاح العلوم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣هـ= ١٩٨٣م.

٧٥- السلمي (أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين): طبقات الصوفية، ط٣، تحقيق نور الدين شريبة، مكتبة الخانجي بمصر ١٤٠٦هـ= ١٩٨٦م.

٧٦- السمعاني (عبد الكريم بن محمد):

أ - أدب الإملاء والاستملاء، ليدن ١٩٧٠م.

ب - الأنساب، تحقيق البارودي، بيروت ١٩٨٨م.

٧٧- سهيلة ياسين الجبوري: أصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الأموي، مطبعة الأديب البغادية ١٩٧٧.

٧٨- سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان): الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة.

٧٩- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر):

أ - الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٦٧م.

ب - تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٤، القاهرة ١٩٦٩م.

جـ- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، ط١، تحقيق عبد الوهاب عبد

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

اللطيف، المكتبة العلمية، المدينة المنورة ١٣٧٩هـ= ١٩٥٩م.

د- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين، عيسى البابي الحلبي، القاهرة.

هـ- معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق محمد علي البجاوي، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٦٩م.

و- همع الهوامع شرح جمع الجوامع، صححه محمد بدر الدين النعساني، طبعة الخانجي بمصر ١٣٢٧هـ.

٨٠- أبو شامة (عبد الرحمن بن إسماعيل): المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، تحقيق طيار آلتي قولاج، دار صادر، بيروت ١٩٧٥م.

٨١- الشاطبي (القاسم بن فيره): ناظمة الزهر في عد آي السور (ضمن إتحاف البررة بالمتون العشرة)، مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٥٤هـ= ١٩٣٥م.

٨٢- الشوكاني (محمد بن علي): فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الفكر، بيروت.

٨٣- صلاح الدين المنجد (دكتور): دراسات في تاريخ الخط العربي، ط١، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٧٢م.

٨٤- الصولي (محمد بن يحيى): أدب الكتاب، تحقيق محمد بهجة الأثري، القاهرة ١٩٤١م.

٨٥- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير): جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط٣، مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٨٨هـ= ١٩٦٨م.

٨٦- ابن الطحان (عبد العزيز بن علي الإشبيلي): نظام الأداء في الوقف والابتداء، تحقيق د. علي حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض ١٤٠٦هـ= ١٩٨٥م.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

٨٧- عادل كمال جميل (دكتور): كمال الإعجاز في القرآن الكريم، مطبعة الديوان، بغداد ٢٠٠١م.

٨٨- ابن عبد البر (يوسف بن عبد الله): الاستيعاب في معرفة الأصحاب، القاهرة ١٩٦٠م.

٨٩- عبد الرحمن الطاهر بن محمد السورتي: مقدمة تحقيق (تفسير مجاهد)، ط١، الدوحة ١٣٩٦هـ= ١٩٧٦م.

٩٠- عبد الرزاق نوفل: الإعجاز العددي في القرآن الكريم، ثلاثة أجزاء في مجلد واحد، مطبوعات الشعب، القاهرة ١٩٧٥م.

٩١- عبد الصبور شاهين (دكتور): تاريخ القرآن، دار القلم، القاهرة ١٩٦٦م.

٩٢- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق محمد محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤٠٤هـ= ١٩٨٤م.

٩٣- عبد الكريم الخطيب: الإعجاز في دراسات السابقين، ط٢، دار المعرفة، بيروت ١٣٩٥هـ= ١٩٧٥م.

٩٤- عبد الله خورشيد (دكتور): القرآن وعلومه في مصر، دار المعارف بمصر ١٩٧٠م.

٩٥- عزالدين الصندوق: حجر حفنة الأبيض، مجلة سومر، مج١١-ج٢، بغداد ١٩٥٥.

٩٦- العسكري (أبو أحمد الحسين بن عبد الله):

- تصحيفات المحدثين، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م.

- شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، تحقيق عبد العزيز أحمد، ط١، البابي الحلبي بمصر ١٩٦٣م.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

٩٧- العسكري (أبو هلال الحسين ابن عبد الله): جمهرة الأمثال، ط٢، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، د. عبد المجيد قطامش، دار الفكر ١٩٨٨.

٩٨- العطار (أبو العلاء الحسن بن أحمد):

أ - التمهيد في معرفة التجويد، ط١، تحقيق د. غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان ١٤٢٠هـ= ٢٠٠٠م.

ب - غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار، ط١، تحقيق د. أشرف محمد فؤاد طلعت، جدة ١٤١٤هـ= ١٩٩٤م.

٩٩- علي شواخ إسحاق (دكتور): معجم مصنفات القرآن الكريم، ط١، دار الرفاعي، الرياض ١٤٠٣هـ= ١٩٨٣م.

١٠٠- أبو علي النحوي (الحسن بن أحمد الفارسي): الحجة في علل القراءات السبع، تحقيق علي النجدي ناصف وآخرين، القاهرة ١٩٦٥م.

١٠١- عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، دمشق ١٩٥٧م.

١٠٢- عياض بن موسى (القاضي): الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ط٢، تحقيق محمد أمين قره علي وآخرين، دار الفيحاء، عمان ١٤٠٧هـ= ١٩٨٦م.

١٠٣- غانم قدوري الحمد: رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية، بغداد ١٤٠٢هـ= ١٩٨٢م، وطبع دار عمار، ٢٠٠٢م.

١٠٤- الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد): إحياء علوم الدين، مطبعة الحلبي، القاهرة ١٣٥٨هـ= ١٩٣٩م.

١٠٥- ابن فارس (أحمد): الصاحبي في فقه العربية، تحقيق السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٧٧م.

١٠٦- الفاسي (محمد بن أحمد): العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج٧،

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

تحقيق فؤاد سيد، القاهرة ١٣٨٧هـ= ١٩٦٧م.

١٠٧- فاضل صالح السامرائي (دكتور): التعبير القرآني، طبع دار عمار، الأردن.

١٠٨- الفخر الرازي (محمد بن عمر): التفسير الكبير، ط٢، دار الفكر، ١٤٠٥هـ= ١٩٨٥م.

١٠٩- الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد): معاني القرآن، تحقيق محمد علي النجار وآخرين، القاهرة.

١١٠- فضل حسن عباس (دكتور) وسناء فضل: إعجاز القرآن الكريم، دار الفرقان، عمان ١٩٩١م.

١١١- الفيروزآبادي (محمد بن يعقوب): بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمد علي النجار، القاهرة ١٣٨٣هـ.

١١٢- ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم): تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، ط٢، القاهرة ١٩٧٣م، ط٣، المدينة المنورة ١٤٠١هـ= ١٩٨١م.

١١٣- القرطبي (محمد بن أحمد): الجامع لأحكام القرآن، دار الفكر.

١١٤- القزويني (جلال الدين محمد بن عبد الرحمن): الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ= ١٩٨٥م.

١١٥- القسطلاني (أحمد بن محمد): لطائف الإشارات لفنون القراءات، تحقيق الشيخ عامر السيد عثمان ود. عبد الصبور شاهين، القاهرة١٣٩٢هـ= ١٩٧٢م.

١١٦- القفطي (علي بن يوسف): إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة.

١١٧- القلقشندي (أحمد بن علي): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

١٩١٣م، ودمشق ١٩٧٨م.

١١٨- القنوجي (صديق حسن): أبجد العلوم، دمشق ١٩٧٨م.

١١٩- ابن قيم الجوزية (محمد بن أبي بكر):

أ - مدارج السالكين، تحقيق محمد أحمد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت.

ب - الوابل الصيب من الكلم الطيب، تحقيق محمد عبد الرحمن عوض، دار الكتاب العربي ١٤٠٥هـ= ١٩٨٥م.

١٢٠- الكرماني (محمود بن حمزة): أسرار التكرار في القرآن، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار بوسلامة، تونس ١٩٨٣م.

١٢١- الكليني (محمد بن يعقوب): الأصول من الكافي، صححه علي أكبر الغفاري، ط٣، طهران ١٣٨٨هـ.

١٢٢- المارغني (إبراهيم بن أحمد): دليل الحيران شرح مورد الظمآن، دار القرآن، القاهرة ١٩٧٤م.

١٢٣- مالك بن أنس: الموطأ، تصحيح محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة كتاب الشعب، القاهرة.

١٢٤- ابن مجاهد (أحمد بن موسى): كتاب السبعة في القراءات، تحقيق د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر ١٩٧٢م.

١٢٥- مجلة الأزهر، القاهرة، المجلد العشرون، شهر صفر ١٣٦٨هـ، باب الفتاوى.

١٢٦- مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز، القاهرة ١٤٠٠هـ= ١٩٨٠م.

١٢٧- محسن عبد الحميد (دكتور): حقيقة البابية والبهائية، ط٤، بغداد

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

١٩٨٠م.

١٢٨- محمد الحسناوي: الفاصلة في القرآن، دار عمار، الأردن، والمكتب الإسلامي، بيروت ١٩٨٣م.

١٢٩- محمد حسين هيكل (دكتور): الصديق أبو بكر، ط٥، القاهرة ١٩٦٤م.

١٣٠- محمد طاهر الكردي: تاريخ الخط العربي وآدابه، ط١، مكتبة الهلال ١٩٣٩م.

١٣١- محمد عبد الله دراز (دكتور): النبأ العظيم، ط٢، دار القلم، الكويت ١٣٩٠هـ= ١٩٧٠م.

١٣٢- محمد المتولي: تحقيق البيان في عدِّ آي القرآن، مخطوط، مكتبة المتحف، بغداد (الرقم ١٢٨٨٦).

١٣٣- محمود محمد شاكر: فصل في إعجاز القرآن (وهو تقديم لكتاب الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي) ترجمة د. عبد الصبور شاهين، دار الفكر.

١٣٤- المرتضى (الشريف علي بن الحسين): أمالي المرتضى، تحقيق أحمد الشنقيطي، مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٥هـ= ١٩٠٧م.

١٣٥- المرعشي (محمد بن أبي بكر):

أ - بيان جهد المقل، مخطوط، مكتبة المتحف، بغداد (الرقم ١١٠٦٨/ ٥).

ب - جهد المقل، تحقيق د. سالم قدوري الحمد، دار عمار، عمان ١٤٢٢هـ= ٢٠٠١م.

١٣٦- مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة المصرية، القاهرة.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

١٣٧- ابن معاذ الجهني (محمد بن يوسف): كتاب البديع في معرفة ما رُسِمَ في مصحف عثمان بن عفان، رضي الله عنه، تحقيق د. غانم قدوري الحمد، ط١، دار عمار، عمان ١٤٢١هـ= ٢٠٠٠م.

١٣٨- مكي بن أبي طالب القيسي:

أ - الإبانة عن معاني القراءات، تحقيق عبد الفتاح إسماعيل شلبي، مكتبة نهضة مصر ١٩٦٠م.

ب - التبصرة في القراءات السبع، الدار السلفية، بومبي ١٩٨٢م.

جـ- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، ط٣، تحقيق د. أحمد حسن فرحات، دار عمار، عمان ١٤١٧هـ= ١٩٩٦م.

د- الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحجمها، تحقيق محيي الدين رمضان، دمشق ١٣٩٤هـ= ١٩٧٤م.

١٣٩- مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، ط٣، منشورات العصر الحديث ١٩٧٣م.

١٤٠- المناوي (محمد عبد الرؤوف): التوقيف على مهمات التعاريف، ط١، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الفكر ١٤١٠هـ.

١٤١- المنذري (عبد العظيم بن عبد القوي): الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، تحقيق مصطفى محمد عمارة، دار الحديث، القاهرة ١٤٠٧هـ= ١٩٨٧م.

١٤٢- ابن منظور (محمد بن مكرم): لسان العرب، طبعة بولاق، القاهرة.

١٤٣- المهدوي (أحمد بن عمار): كتاب هجاء مصاحف الأمصار، تحقيق محيي الدين عبد الرحمن رمضان، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج١٩ - ج١، القاهرة ١٩٧٣م.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

١٤٤- ناصر النقشبندي: منشأ الخط العربي وتطوره لغاية عهد الخلفاء الراشدين، مجلة سومر مج٣ - ج١، بغداد ١٩٤٧م.

١٤٥- ابن النديم (محمد بن إسحاق): الفهرست، تحقيق رضا - تجدد طهران ١٩٧١م.

١٤٦- النسفي (عبد الله بن أحمد): مدارك التنزيل وحقائق التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٤٧- نصر الهوريني: المطالع النصرية للمطابع العصرية في الأصول الخطية، ط٢، بولاق، ١٩٠٢.

١٤٨- أبو نعيم (أحمد بن عبد الله الأصفهاني):

أ - حلية الأولياء، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٩هـ= ١٩٨٨م.

ب - دلائل النبوة، مكتبة النهضة، بغداد ١٩٨٣م.

١٤٩- النورسي (بديع الزمان سعيد):

أ - إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق إحسان قاسم الصالحي، ط١، دار الأنبار، بغداد ١٤٠٩هـ= ١٩٨٩م.

ب - الثمرة من شجرة الإيمان، ط١، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، مطبعة الزهراء، الموصل ١٤٠٦هـ= ١٩٨٥م.

جـ- المثنوي العربي النوري، ط١، تحقيق الصالحي، مطبعة الزهراء، الموصل ١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م.

د- المعجزات الأحمدية، ط٢، ترجمة الصالحي ١٤١١هـ= ١٩٩٠م.

هـ- المعجزات القرآنية، ط١، ترجمة الصالحي ١٤١٠هـ= ١٩٩٠م.

١٥٠- نوري حمودي القيسي (دكتور): مدرسة الخط العراقية من ابن مقلة إلى

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

هاشم البغدادي، مجلة المورد مج١٥- ع٤، بغداد ١٩٨٦م.

١٥١- النويري (محمد بن محمد): شرح طيبة النشر في القراءات العشر، تحقيق عبد الفتاح أبو سنة، القاهرة ١٩٨٦م.

١٥٢- ابن هشام (عبد الملك): السيرة النبوية، ط٢، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، مصطفى الحلبي بمصر ١٩٥٥م.

١٥٣- هلال ناجي: ابن البواب عبقري الخط العربي عبر العصور، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٨م.

١٥٤- ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم الأدباء، ط٣، دار الفكر ١٤٠٠هـ= ١٩٨٠م.

١٥٥- ابن وثيق (إبراهيم بن محمد الأندلسي): الجامع لما يُحتاج إليه من رسم المصحف، تحقيق د. غانم قدوري الحمد، مطبعة العاني، بغداد ١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م.

١٥٦- وليد الأعظمي (الخطاط): تراجم خطاطي بغداد المعاصرين، ط١، مكتبة النهضة، بغداد ١٩٧٧م.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

فهرس الموضوعات

الموضوع رقم الصفحة

مقدمة ٥

الفصل الأول: أبحاث في القراءات القرآنية ٧

(١) أصل القراءات القرآنية بين حقائق ودعاوى المبطلين ٧

المبحث الأول: تمهيد في التعريف بموضوع القراءات ١٠

المبحث الثاني: مناقشة دعوى أن أصل القراءات راجع إلى طبيعة الخط ١٤

المبحث الثالث: مناقشة دعوى أن القراءات اجتهاد من القراء ٢٥

المبحث الرابع: خاتمة في توضيح أصول قراءتنا التي نقرأ بها القرآن ... ٣١

(٢) الاختيار في قراءة القرآن ٣٥

المبحث الأول: الاختيار: دلالته، ونشأته، وضوابطه ٣٧

المبحث الثاني: أصحاب الاختيارات ٤٣

أولاً: أصحاب الاختيارات الصحيحة المقبولة ٤٤

ثانياً: أصحاب الاختيارات الشاذة ٥٥

المبحث الثالث: أثر ظاهرة الاختيار على دراسة القراءات وروايتها ٦١

الخاتمة ٧٠

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

الموضوع	رقم الصفحة
(٣) علم القراءة بين الرواية والدراية	٧٢
المبحث الأول: الرواية والدراية في التراث العلمي العربي	٧٤
المبحث الثاني: الرواية والدراية في علم القراءة	٧٩
خاتمة: مناقشة واستنتاج	٨٥
(٤) حفص بن سليمان الأسدي راوي قراءة عاصم بين الجرح والتعديل	٩١
أولاً: ترجمة حفص بن سليمان القارىء	٩٢
ثانياً: أشهر أقاويل المُجرِّحين	٩٣
ثالثاً: أقول المُوثِّقين	٩٧
رابعاً: مناقشة واستنتاج	١٠١
الفصل الثاني: أبحاث في المصحف الشريف ورسمه وطباعته	١٠٧
(١) كتاب الرد على من خالف مصحف عثمان	١٠٧
المبحث الأول: المقصود بمصحف عثمان	١٠٩
المبحث الثاني: قصة مخالفة مصحف عثمان	١١٢
المبحث الثالث: جهود أبي بكر الأنباري في علوم القرآن مع اعتناء خاص بكتاب: الرد على من خالف مصحف عثمان	١١٦
أولاً: جهوده في علوم القرآن	١١٧
ثانياً: كتاب الرد على من خالف مصحف عثمان	١٢٠
المبحث الرابع: نصوص من كتاب الرد على من خالف مصحف عثمان	١٢٣

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

الموضوع	رقم الصفحة
(٢) تحزيب القرآن في المصادر والمصاحف	١٢٨
المبحث الأول: تمهيد في تعريف المصطلح وأوليته	١٣٠
المبحث الثاني: تحزيب القرآن في المصادر	١٣٥
المبحث الثالث: تحزيب القرآن في المصاحف	١٤٤
المبحث الرابع: تحزيب القرآن بين المصادر والمصاحف	١٥١
خاتمة	١٥٩
(٣) موازنة بين رسم المصحف والنقوش العربية القديمة	١٦١
المبحث الأول: رسم المصحف: أصوله التاريخية ونظمة الإملائية	١٦٤
المطلب الأول: الأصول التاريخية لرسم المصحف	١٦٤
المطلب الثاني: خصائص رسم المصحف	١٧١
المبحث الثاني: النقوش العربية القديمة: تاريخها وقراءتها	١٨٠
المطلب الأول: النقوش العربية الجاهلية	١٨١
المطلب الثاني: نقوش العصر الإسلامي	١٨٥
المبحث الثالث: الظواهر الإملائية المشتركة بين رسم المصحف والنقوش العربية القديمة	١٩٢
خاتمة	١٩٨
نماذج مصورة	٢٠١
(٤) طباعة المصحف في العراق	٢٠٩

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

الموضوع رقم الصفحة

المبحث الأول: المصحف في العراق قبل عصر الطباعة ٢١٢
المبحث الثاني: تاريخ طباعة المصحف في العراق ٢١٧
المبحث الثالث: تقديم تجربة طباعة المصحف في العراق ٢٢٥
خاتمة ٢٣٥
الفصل الثالث: أبحاث في إعجاز القرآن الكريم ٢٣٧
(١) مناهج العلماء في دراسة إعجاز القرآن ٢٣٧
المبحث الأول: الإعجاز القرآني في عصر النبوة..... ٢٤٠
المبحث الثاني: مناهج العلماء في دراسة الإعجاز ٢٤٤
المبحث الثالث: ملامح المنهج الأمثل..... ٢٥٣
(٢) الإعجاز العددي في القرآن حقيقة أو توهم ٢٦٠
المبحث الأول: علم العدد القرآني ٢٦٣
المبحث الثاني: نظرية العدد (تسعة عشر) في إعجاز القرآن ٢٦٩
المبحث الثالث: التوافق العددي في القرآن..... ٢٧٦
المبحث الرابع: كتاب «كمال الإعجاز في القرآن الكريم» وتطبيق نظرية العدد (١٩) على الفواصل القرآنية ٢٨٠
خاتمة ٢٩٣
(٣) حكمة التكرار في القرآن الكريم من خلال رسائل النور..... ٢٩٤

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

الموضوع	رقم الصفحة

المبحث الأول: ظاهرة التكرار في القرآن الكريم، وموقف المفسرين والدارسين منها ٢٩٦

أولاً: صور التكرار في القرآن الكريم ٢٩٧

ثانياً: موقف علماء السلف من تفسير ظاهرة التكرار ٢٩٩

المبحث الثاني: ظاهرة التكرار في القرآن الكريم من خلال رسائل النور ٣١١

أولاً: استناد كتابات النورسي إلى القرآن الكريم ٣١١

ثانياً: أسس دراسة ظاهرة التكرار عند النورسي ٣١٣

ثالثاً: الفكرة الأساسية لتفسير ظاهرة التكرار لدى النورسي ٣١٥

رابعاً: حكمة التكرار في رسائل النور ٣١٧

فهرس الموضوعات ٣٤٩